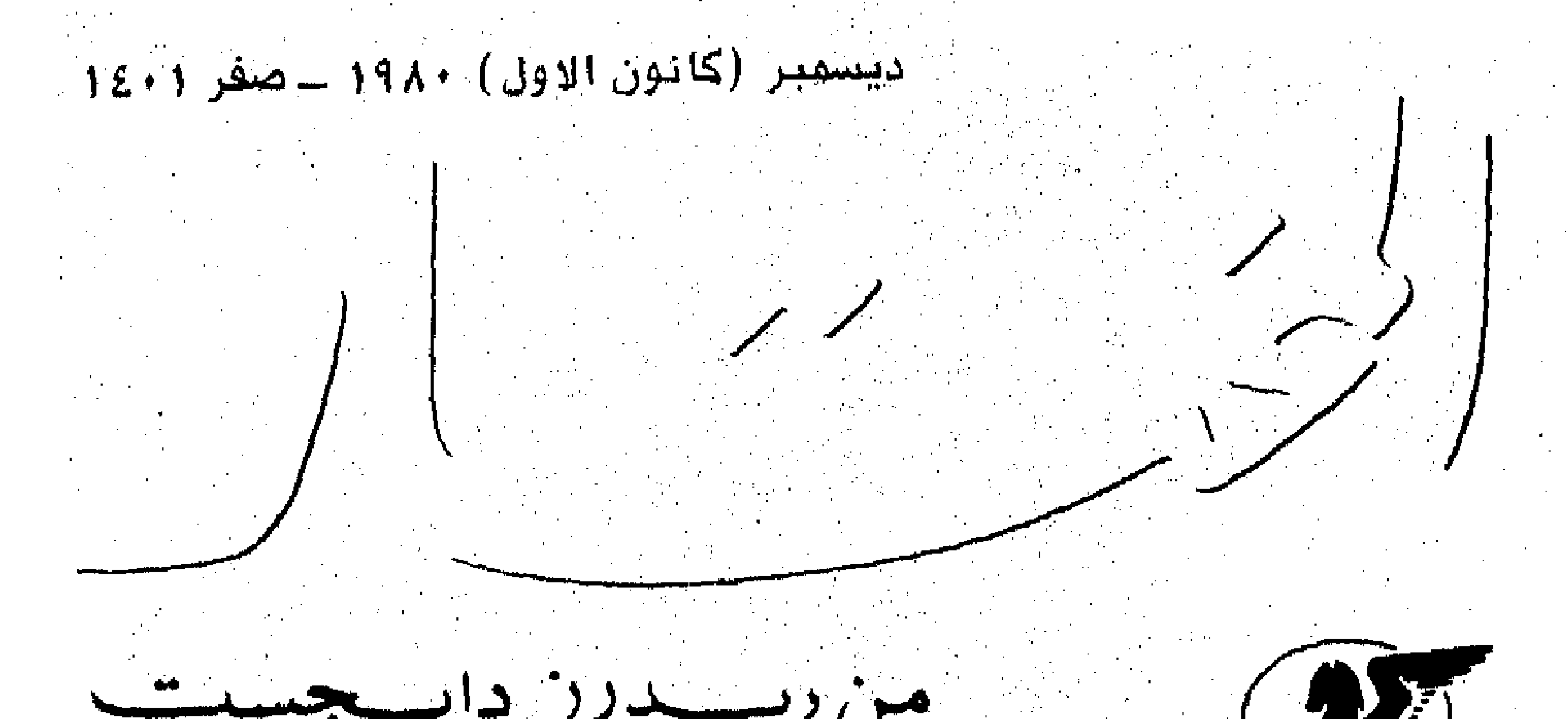
ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠ ـ صفر ١٤٠١



من ريدرز دايجست

كيف نداوي لنسيان

(ص ٢٠)

الأهوار لؤلؤة العراق الساحرة

(ص ٣٦)

قصة الصراع العنصري في جنوب افريقيا

(ص ١٠٨)

لبنان ٤٥٠ق ـ سورية ٦٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين ٦٠٠ف ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٦٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٦٠٠ف
تونس ٥٠٠م ـ المغرب ٤د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

العصر الجديد

تخويل جي في سي كمورد رسمي للانظمة

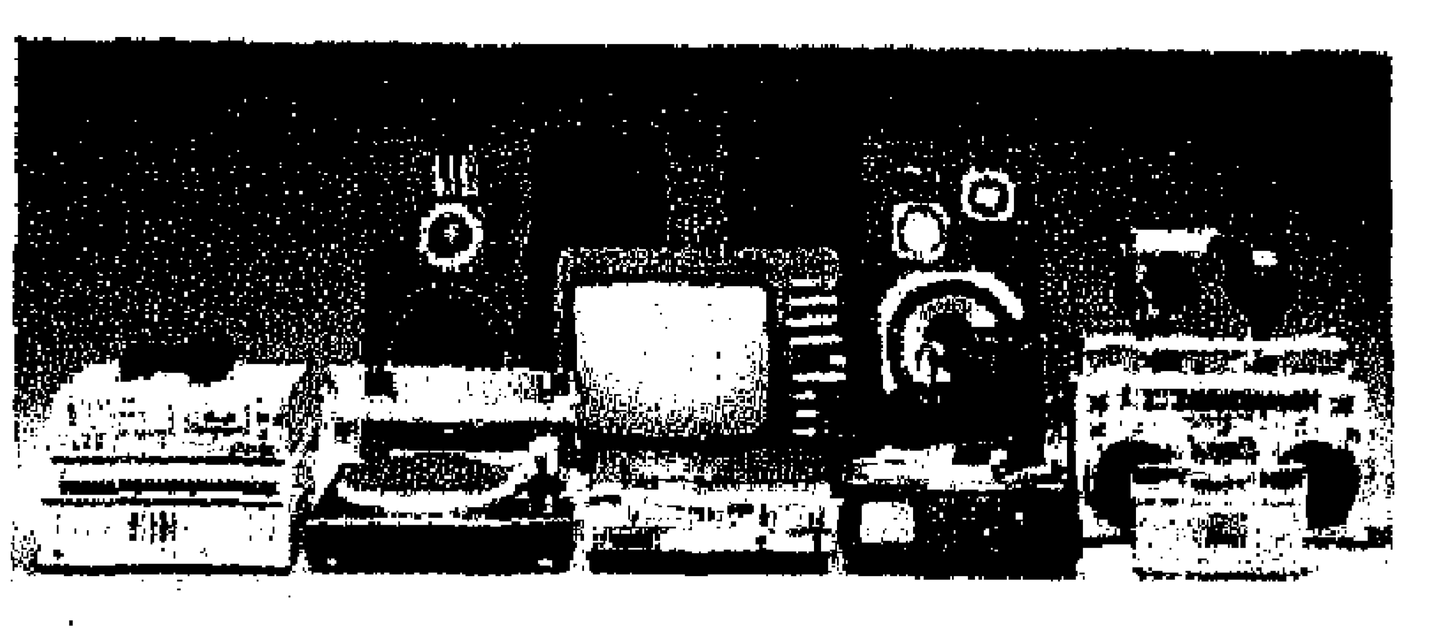
كلما لاحت تباشير عصر جديد فـي الانظمة السـمعية وانظمة الفيديو، كانت جي·في·سي· السباقة·

اننا نفخر باعلان قرب دخولنا عصراً اكثر تقدماً في انظمة الفيديو وذلك باطلاقنا تقنية تبشر بانقلاب حقيقي في عالم الفيديو· انه نظام اسطوانة الفيديو V.H.D.

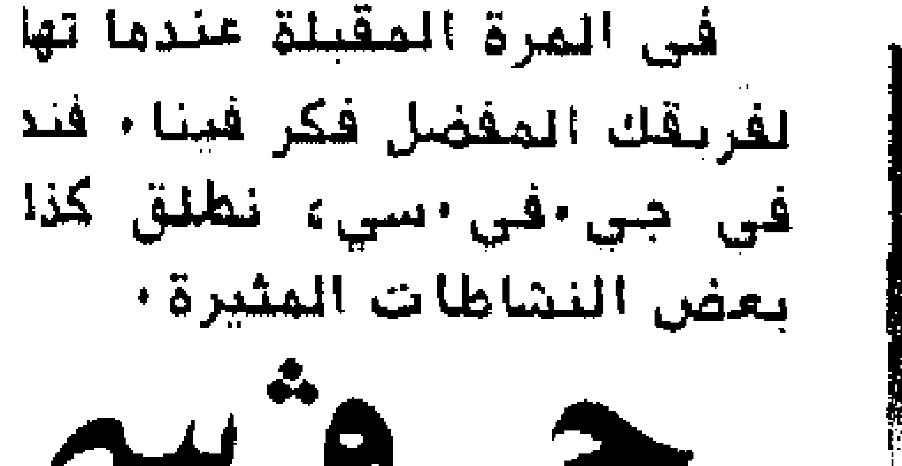
وهذا الابتكار يمثل تطوراً مثيراً الى درجة اننا شعرنـا بأن علينا الاحتفاء بالمناسبة على نحو خاص·

وقد ارتأينا اشراككم في هذا الحدث عبـر حـملة اعلامـية ننظمها من خلال الادوار النهائية لبطولة العالم في كرة القدم التي تمتد حتى بطولة كأس العالم في ١٩٨٢·

وربما تسائلون انفسكم: لم حملة رياضية؟ والجواب هو اننا في جي·في·سي·، نتمثل بالروح الشابة، وبالحيوية والشجاعة التي يحتاج اليها المرء ليصبح رياضياً عظيماً· فنحن نشعر بأننا كذلك كرسنا جهوداً مماثلة حتى استطعنا تجاوز العقبات وتحقيق النجاح المتواصل طوال ٥٣ عاماً. وقد حفلت هذه المرحلة بالتحسينات الرائـدة فـي الانظمة السـمعية وأنظمة الفيديو·

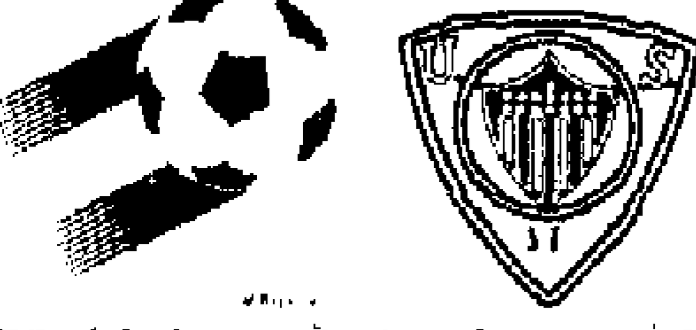


في المرة المقبلة عندما تهتف لفريقك المفضل فكر فينا· فنحن في جي·في·سي، نطلق كذلك بعض النشاطات المثيرة·

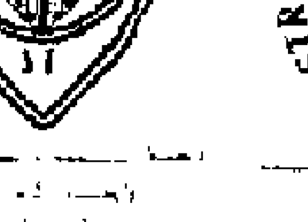




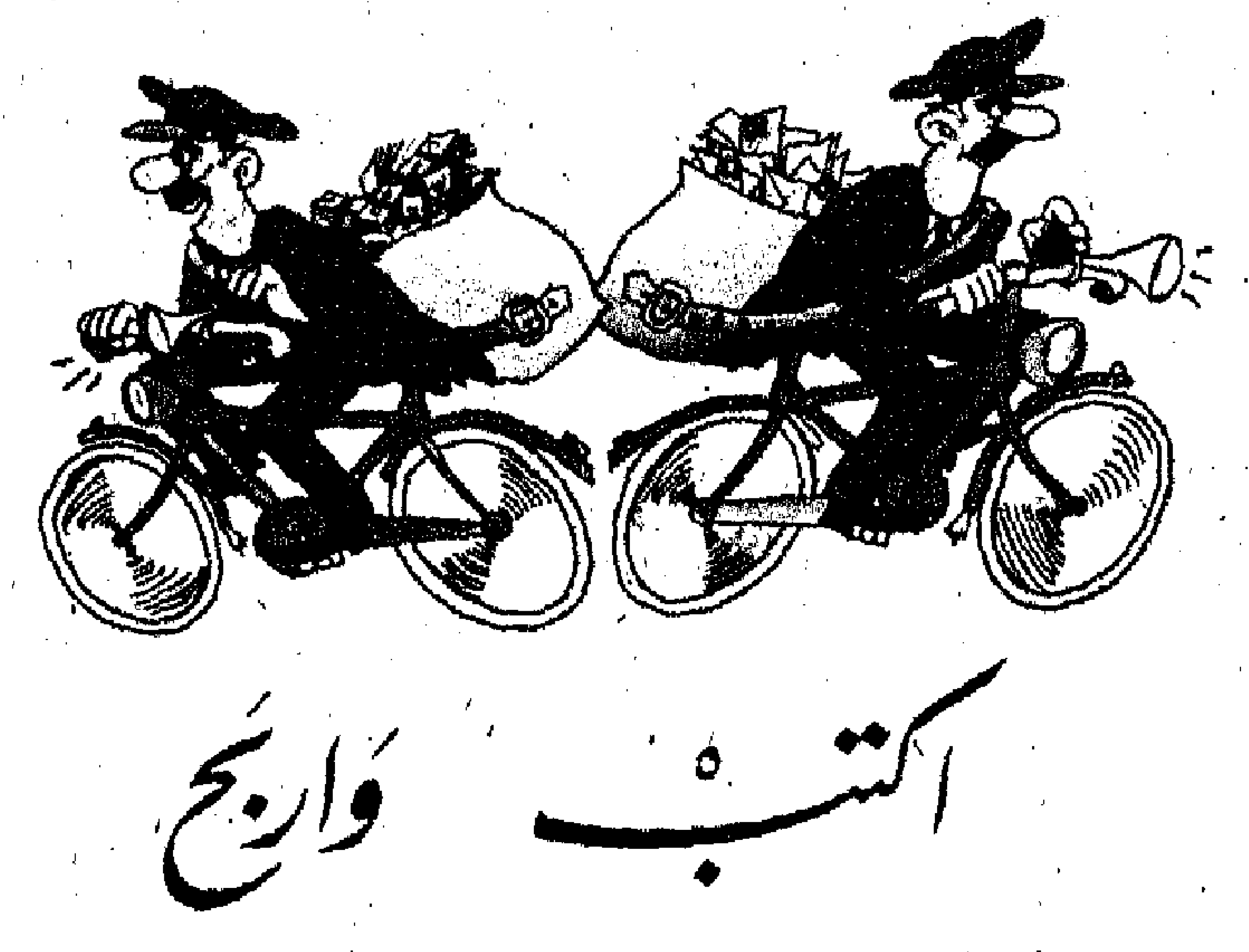












اكتب واربح

ل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في لمقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة تتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع بدي.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدادات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية، والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك حديقة أفكار...).
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة، ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

مجلة المختار من ريدرز دايجست
شارع المقدسي - بناية الشرتوني
ص.ب ٨٧٠٧ - بيروت - لبنان.



المختار
من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير: ادمون صعب.
رئيس التحرير المعاون: رمزي بخعازي.
امانة التحرير: راغدة حداد.
الاخراج: امل الزين عيد.

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا.
مدير التحرير: ألان دوليرو.

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية ـ باريس.

الناشر:
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ـ بيروت

الخدمات الصحافية:
شركة النهار ش.ت.م.ل. بيروت.

التحرير:
شارع روما، بناية هاشم، الطبقة الثانية، ص.ب ٣٣٢ ـ ١١ التلكس (الموقت) LE ٢٣٢٣٢
ANAHAR بيروت. التلفون ٣٤٠٠٥٦ ـ ٣٤٠٠٤٤

الادارة والاعلانات والاشتراكات:
شارع المقدسي، بناية الشرتوني، الطبقة السادسة، ص.ب. ٨٧٠٧ ـ (١١) التلكس LE ٢٢٢٨٨
التلفون ٣٤١٥٩٧ ـ ٣٤٥٧٣١

مكتب باريس:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE.

الصف والتنفيذ:
المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات.
بيروت.

الغلاف: جوق ملائكة (باتيك)

AL MUKHTAR min Reader's Digest

December 1980 No 25 (New Series). Vol 3

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ١٥ لغة

ماذا تعرف عن الغذاء؟

حاول الاجابة عن اسئلة هذا الاختبار،
ثم تحقق من صحة اجوبتك للحفاظ على صحتك

ماذا تعرف عن الغذاء؟

اذا كانت معرفتك مماثلة لمعرفة لشارين الذين أجابوا عن أسئلة وجهتها ادارة الغذاء والدواء لامريكية ضمن ثلاثة اختبارات منذ العام ١٩٦٩، فأنت تشارك غالبية من الامريكيين في بعض الاخطاء الشائعة.

وهناك عشرة من الاسئلة الآتية مستمدة من الاختبارات المذكورة، وسؤالان ينطويان على أخطاء مشابهة متعلقة بانقاص الوزن. والمطلوب الاجابة بعبارة "صحيح" أو "خطأ".

الاسئلة

١. يكفي أن تأكل أنواعاً مختلفة من الطعام للحصول على تغذية ملائمة.

٢. الذين لا يأكلون اللحوم والطيور والسمك يمكنهم أيضاً التمتع بصحة جيدة.

٣. الطعام الذي تتناوله بين الوجبات الرئيسية مفيد كالطعام الذي تتناوله خلال تلك الوجبات.

٤. الخضر الطازجة المطهوة في المنزل هي، في جميع الحالات، أكثر تغذية من الخضر المعلبة أو المجلدة.

٥. الوقعة الغنية بالبروتيين والقليلة الكاربوهيدرات (السكر والنشاء) هي خير سبيل الى انقاص الوزن.

٦. عندما تحاول انقاص وزنك، ابتعد عن النشويات كالخبز والبطاطا.

٧. اذا كان وزنك كما يجب أن يكون، فهذا دليل على حسن التغذية.

٨. اذا تناولت مقداراً من الفيتامينات يفوق المعدل، فهذا لن يعطيك حيوية وطاقة أكبر.

٩. الفيتامينات الطبيعية أكثر تغذية من الاصطناعية.

١٠. المتقدمون في السن يحتاجون الى كمية الفيتامين نفسها التي يحتاج اليها الشباب.



كوبٌ من نسكافه مع الحليب، في الصباح
وفي أي وقت، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقاً.
نسكافه، خلاصة القهوة اللذيذة، تملأك حيوية ونشاطاً.
نسكافه، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية، سريعة التحضير.

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

١١. الفيتامين الذي يحتوي عليه النبات النامي في تراب فقير مستنفد أقل من الذي يحتوي عليه النبات النامي في تراب غني.

١٢. النبات الذي ينمو بمساعدة الاسمدة الكيميائية مغذ كالنبات النامي على السماد الطبيعي.

الأجوبة

. خطأ.

التنوع لا يضمن التغذية الحسَنة. ويمكن أن يستمدّ الشخص البالغ غذاءً متوازناً، يضمن له ما يكفي حاجته الجسدية من سعرات حرارية وبروتيين وفيتامين ومعادن، اذا إعتمد طعامه اليومي هذه الفئات الأربع الرئيسية:

- عنصران أو أكثر من الألبان، أي الحليب ومشتقاته من جبن ولبن وما شابه.
- عنصران أو أكثر من اللحوم: اللحم، الدجاج والطيور، السمك، البيض، بدائل اللحم كالحبوب الجافة والعدس والجوز.
- أربعة عناصر أو أكثر من فئة الخبز: الخبز، المعجنات، الحبوب ومشتقاتها.
- أربعة عناصر أو أكثر من الخضَر: الخضَر والفاكهة.

٢. صحيح.

هناك كثيرون يظنون أن النباتيين يفرّطون بصحتهم حين يتجنبون اللحم والدجاج والسمك. ولكن إذا تناول المرء ما يكفي من الألبان والبيض وبدائل اللحم، فهو يحصل على المقدار الضروري من البروتيين.

٣. صحيح.

إنّ القيمة الغذائية تعتمد على أصناف الطعام التي نتناولها، لا على الوقت الذي نتناولها فيه. فالطعام الخفيف المؤلّف من بيضة مسلوقة أو برتقالة ذو قيمة غذائية جيدة. أما الاكثار من الأطعمة الخفيفة ذات السعرات المرتفعة والتغذية القليلة فقد يكون ضاراً بالصحة، خصوصاً اذا حلت هذه الأطعمة مكان الوقعات الرئيسية المغذية.

٤. خطأ.

لقد بينت اختبارات ادارة الغذاء والدواء الأخيرة أنّ ثلاثة أرباع الشارين تقريباً مقتنعون بأنّ الخضَر الطازجة التي تطهى في البيت تحمل على الدوام قيمة غذائية أرفع من قيمة الخضَر المعلّبة أو المجلّدة. والحقّ أنّ الفرق الغذائي يكمن في طريقة أعداد الخضَر وليس في كونها طازجة أو معلّبة وأنّ غلي الخضَر المفرط، على سبيل المثال، يقضي على الكثير من عناصرها المغذية. واذا غُليت الخضَر في مقدار كبير من الماء زُلّ عنها لاحقاً، فهو قد يحمل معه كمية كبيرة من الفيتامين القابل للانحلال في الماء. كما أنّ إبقاء الخضَر مدة طويلة تحت درجات حرارة غير مناسبة أو في أوعية مكشوفة قد ينقص عناصرها الغذائية، سواء أكانت طازجة أو معلّبة.

٥. خطأ.

ليس هناك شيء سحري متعلق بالبروتيين. وخلاصة القول أنه عليك استهلاك سعرات اكثر أو تناول سعرات اقل من أجل إنقاص وزنك.

وجدير بالذكر أن أحد أكثر الأوهام انتشاراً حول الوزن هو أن الكاربوهيدرات، وليس السعرات المفرطة، سبب الشحم.

ان الوقعات الغنية بالبروتيين والفقيرة بالكاربوهيدرات تحتوي عادة على كمية مرتفعة من الشحم (الذي هو، في أنظمة غذائية من هذا النوع، مصدر ٧٠ في المئة أو أكثر من السعرات). وكل مقدار من الشحم يحتوي على ضعفي السعرات التي يحتوي عليها المقدار نفسه من البروتيين أو الكاربوهيدرات.

والنظام الغذائي الذي يحد كثيراً من الكاربوهيدرات قد يكون ضاراً بالصحة عموماً. فمعظم الوظائف الجسدية تعتمد الكاربوهيدرات وقوداً أساسياً أو وحيداً. وفي حال عدم وجود كميات كافية منها، يضطر الجسم الى اعتماد وسيلة أقل جدارة، وهي تحويل البروتيين والشحم الى كاربوهيدرات. والافراط في تناول الشحم سيىء كذلك في حال الأشخاص الذين يعانون أمراضاً في أوعية القلب التاجية، كما ان الافراط في تناول البروتيين قد يكون سيئاً بالنسبة الى الذين يعانون خللاً في الكلى.

٦. خطأ.

اذا أوقفت تناول النشويات كالبازلا والبطاطا والخبز والحبوب، تكون قطعت مصدراً ممتازاً للفيتامين "ب" بأنواعه والفيتامين "ج" وسواهما من العناصر المغذية.

الى ذلك، نجد أن مقداراً معيناً من الخبز أو البطاطا يحوي سعرات تقل عما في مقدار مماثل من لحم خاصرة البقر أو فخذ البقر أو العناصر الغذائية الاخرى الغنية بالبروتيين.

٧. خطأ.

ان الوزن الملائم لا يعني بالضرورة أن النظام الغذائي المتبع غني بالفيتامين والمعادن. فالميزان يساوي بين السعرات التي تحتوي عليها قنينة صودا قليلة الغذاء وبيضتان. أما كيمياء الجسم البشري فلا تساوي بين الشيئين.

٨. صحيح.

ومعلوم على نطاق واسع أن الفيتامين الوافر يزود الجسم بمقدار أكبر من الحيوية والنشاط. واذا كان غذاؤك مفتقراً جداً الى الفيتامين، فهذا يضعف العمليات الحيوية داخل جسمك. ولكن اذا تناولت من الفيتامين فوق ما تحتاج اليه، فهذا لن يجعل جسمك يؤدي وظائفه على نحو أفضل، تماماً كما أن امتلاء خزان سيارتك بالوقود فوق سعته لن يعطي السيارة حركة أفضل.

٩. خطأ.

وهناك كثيرون يظنون أن الفيتامين "ج" الذي تحتوي عليه ثمرة برتقال طازجة أكثر نفعاً من كمية مساوية من الفيتامين المركب. والواقع أنه لا فرق بين الاثنين. فالفيتامين المصنوع في مختبر له الخصائص والبنية الكيميائية عينها التي لفيتامين مستخرج من النبات أو بعض أجزاء الحيوان.

١٠. صحيح.

المتقدمون في السن يحتاجون الى كمية الفيتامين نفسها التي يحتاج اليها الاصغر سناً. وان الحاجات الغذائية - باستثناء السعرات - لا

تتبدل كثيراً في المراحل المختلفة من حياة الشخص البالغ. ولئن تكن حاجة الجسم الى أنواع معينة من الفيتامين ترتفع في حال بعض الأمراض، الا أن هذا يصح على الشباب والشيوخ معاً.

١١. خطأ.

التراب الغني لا يجعل النبات النامي فيه أغنى من حيث الفيتامين. ذلك أن الفيتامين الذي تحمله مأكلنا ينتجه النبات نفسه عبر عمليات تقررها الخصائص الوراثية، وهو لا يأتي من التراب. الا أن المعادن التي ينطوي عليها النبات تأتي من الأرض.

١٢. صحيح.

ان علماء النبات لا يعترفون بالتمييز بين أسمدة "طبيعية" واخرى "كيميائية". والنوع الأخير لا يمكن النبات استعماله مباشرة. فهو يجب أن يمر أولا عبر البكتيريا التي في التراب لتفتته الى عناصر غير عضوية. والعناصر غير العضوية التي يمتصها النبات هي في الأسمدة الطبيعية مثلها في الأسمدة الكيميائية.

النتيجة

اذا جمعت ثماني اجابات صحيحة على الأقل، ففي امكانك أن تعد نفسك من العارفين بشؤون الطعام والتغذية بالنسبة الى المقاييس العصرية. ولكن لا تنس أن التغذية علم معقد ونام، وأن ما نعده حكمة تقليدية اليوم خاضع للتغير في ضوء المعلومات المستجدة.

■ ملخص من "تقرير المستهلك"



عشرة تحت الصفر

كنت اهنىء احدى تلميذاتي في صف لتخفيف الوزن على خسارة نحو عشرة كيلوغرامات بعد دورة استغرقت ١٦ اسبوعاً. وسألتها اذا كانت ثيابها اتسعت، فأجابت بسرعة: "كلا. غير انها لم تعد تؤلمني".

ج.ش.

حقل تجارب

لدي صديقة هندية قطعت عهداً على نفسها بأن تبقى نباتية طوال حياتها. وأدهشني ان أراها يوماً على الغداء تأكل قطعة من الدجاج برفق. وسألتها اذا حصل ذلك التغير بتأثير زوجها الذي لم يكن نباتياً. فأجابت:

"أجل. لقد جعلني أكتشف ملذات اللحم".

ر.ب.

سيارة العصر

هوندا "سيفيك" ، هوندا "اكورد" ، هوندا "بريليود" ، ثلاث سيارات تحتل صالات العرض العصرية .

ان سيارات هوندا الاقتصادية ، التي تلبي متطلبات العصر الحديث ، تؤمن قيادة مثالية بفضل تصاميمها الانيقة والمريحة والملائمة للمدينة والريف .

ليس في العالم سيارة اكثر مناسبة من هوندا . انتق الطراز الذي يعجبك ، واختبر قيادته فتجد ان القيادة الحقيقية تعني هوندا .

قد تختلف التجهيزات من بلد الى آخر



ساحرة الشرق الأقصى

انها منهج تفكير وسر موروث وتقليد
اجتماعي راسخ· تلك هي لعبة "الماجونغ"

توفي عامل مصنع في هونغ كونغ ن ٣٥ عاماً نتيجة نوبة قلبية اصابته ندما خسر ٣٠ دولاراً في لعبة لماجونغ· وطلق عامل كهرباء زوجته انها تلعب الماجونغ ليل نهار مهملة لاولاد وشؤون المنزل· كما اجبرت سيدة في الستين على ملازمة الفراش بسبب آلام مبرحة في ظهرها ناتجة من انهماكها اللاواعي في اللعب لمدة ٧٢ ساعة متواصلة·

ما هي هذه اللعبة التي يموت في سبيلها الرجال وتهمل النساء من اجلها بيوتهن؟

انها مجرد لعبة تستعمل فيها رقاقات البلاستيك او العاج· لكن محترفيها في انحاء آسيا يرون وجه الحياة مختلفاً من دونها·

وفي هونغ كونغ، عاصمة الماجونغ، يمارس اللعبة اكثر من مليونين، اي نحو ٦٠ في المئة من السكان· وهم يتداولون خلالها ما لا يقل عن ٥٠٠ الف دولار كل يوم· وفي جلسة واحدة قد يراهن بعض رجال الاعمال على مئات الالوف· وتتردد اصداء قعقعة رقاقات الماجونغ في الابنية السكنية حتى وقت متقدم من الليل·

وللعبة شعبيتها في العالم· وينتج مصنع كبير في هونغ كونغ نحو ١٤٠٠ مجموعة من رقاقات الماجونغ شهرياً، يصدّر ٧٠ في المئة منها بما يراوح بين ١٠ دولارات و٣٠٠ دولار للواحدة· وتضم جمعية الماجونغ اليابانية ٤٠ الف عضو موزعين على مئة فرع· ويجري كل فرع مباريات شهرية يشترك الفائزون فيها في مباريات اليابان الوطنية التي تنظم ست مرات في السنة·

ولعبة الماجونغ من البساطة بحيث يتعلمها الاولاد بسرعة بالغة· وتتألف مجموعة الماجونغ الكاملة من ١٤٤ رقاقة موزعة على مجموعات عدة تحمل نقوش خيزران او دوائر او حروفاً صينية· وتكدّس الرقاقات

وسط الطاولة في مربع يتكون ضلعه الواحد من صفي رقاقات مقلوبة رأساً على عقب. وفي البداية، يأخذ كل لاعب مجموعة من ١٣ رقاقة يصفها بعضها الى جانب بعض لتشكل ما يشبه الجدار او اليد. ثم يتناوب اللاعبون على اخذ الرقاقات من المربع طارحين في المقابل الرقاقات التي لا يحتاجون اليها. وهدف اللعبة تركيب "يد" من اربع مجموعات على الاقل، تضم الواحدة منها ثلاثة ارقام متتالية من المجموعة نفسها اضافة الى زوج متشابه.

وعلى نقيض لعبة البريدج، فلاعب الماجونغ لا يلحقه حرج من اخطائه. فقد يرتكب اللاعب اخطاء عدة من دون ان يلاحظه الآخرون، لان كل لاعب ينظر الى اليد التي يركبها هو. اما الرقاقات التي يتم التخلص منها فتوضع مقلوبة على الطاولة وتخلط على الفور.

لعبة بحرية – يظن المؤرخون ان لعبة الماجونغ نشأت عن لعبة ورق عرفت في السنوات الستمئة الماضية، منذ عهد اسرة مينغ المالكة. اما الاسطورة فتعزو اختراع الماجونغ الى صياد صيني يدعى تزه، زعم انه اول من نظم اسطولا للصيد في مياه البحر العميقة. ومضى تزه يستنبط تسلية تصرف انتباه الصيادين الذين يصابون بدوار البحر عن الامواج المتلاطمة. فكانت الماجونغ التي يقال انها انست الصيادين الريح والمطر. وأحد الشواهد على صحة هذه الرواية هو اطلاق اسماء الرياح الاربع على جولات الماجونغ: الشمال، الجنوب، الشرق والغرب.

ولا تزال الماجونغ حتى يومنا هذا لعبة البحارة الصينيين المفضلة. كما يجني اولئك الذين يؤجرون البحارة مجموعات رقاقات الماجونغ ارباحاً لا بأس فيها. ونقل البحارة الصينيون اللعبة الى عمال الموانىء في انحاء العالم.

ويندفع عشاق الماجونغ الى شرح سبب جاذبية اللعبة. ويقول رايموند هوي، بطل جزيرة هونغ كونغ للعام ١٩٧٦: "ان في الماجونغ سحراً خفياً يحفز اللاعب الى مزيد من اللعب". والفتى لاعب بارع هزم الف متبار، مع انه يمارس اللعبة منذ ثلاث سنوات فقط. وهو اوضح ان هذه اللعبة تمتاز بأنها تمارس بطرق مختلفة لا تحصى وباستحالة تقدير قوة الخصم.

اما علماء الاجتماع فلهم تفسيراتهم المعقدة. ويقول الاستاذ ونغ شاو لام، عميد كلية العلوم الاجتماعية في الجامعة الصينية ان الماجونغ تمثل دوراً مهماً في تنفيس الحيوية الفائضة والتخفيف من الاجهاد، وهما علتان يشكو منهما الناس في الاماكن المزدحمة – كما هي الحال في هونغ كونغ – وحيث تنعدم وسائل التسلية. وفي مركز سبو لام للعلاج النفسي، الذي تديره مصلحة السجون من اجل مساعدة المصابين بهوس الاجرام، يلعب السجناء الماجونغ كعلاج جماعي او كسلوى. اما المتقدمون في السن وربات البيوت فيلعبون الماجونغ لطرد الملل.

ويقول كازو شيمادا، وهو استاذ في جامعة القلب الاقدس في اليابان،

ان الماجونغ بالنسبة الى اليابانيين والصينيين هي "الطريقة الفضلى لتحسين العلاقات الاجتماعية". فهم لا يحيون حفلات كوكتيل كما يفعل الغربيون. لذلك اضحت الماجونغ الوسيلة التقليدية للتعارف والاختلاط بالمجتمع. ومن المعروف ان رجال الاعمال يتعمدون الخسارة امام موظفي الحكومة بغية الحصول على رخصات اذونات رسمية. كما اصبح من المتعارف عليه ان يفسح المرؤوسون، الذين يطمحون الى ترقية، المجال امام رؤسائهم كي يغلبوهم.

وتعتبر الماجونغ المحك لاختبار الصهر واختياره. فيدعو اهل الفتاة الصينية طالب يدها الى قضاء ليلة في لعب الماجونغ معهم. وهم يرون ان الشاب سينسى اصول السلوك المهذب فتنكشف شخصيته الحقيقية في اللحظات الحرجة.

ونظراً الى استئثار هذه اللعبة بقوى الفرد كلها، فليس من المستغرب ان يحاول الاباطرة والحكومات في آسيا قمعها عبر العصور. لكن احداً لم يفلح في ذلك. وفي هونغ كونغ اجازت السلطات البريطانية، على مضض، ممارسة اللعبة منذ ٢٢ سنة، ورخصت لانديتها مصرة على تسميتها "مدارس الماجونغ"، كي لا يبدو انها تغض الطرف عن لعب القمار. وهناك اليوم اكثر من ٩٠ "مدرسة".

وفي ١٩٤٩ حظرت الصين الشعبية ممارسة الماجونغ. لكن السياح يفيدون ان المواطنين ما زالوا يلعبون الماجونغ في السراديب او الاقبية مستعملين رقاقات خيزران منزلية الصنع. واذا قبض على احدهم وهو يلعب، فانه يجبر على اللعب مدة ٢٤ ساعة متواصلة في رقابة الشرطة. وعقاب كهذا لاي من عشاق الماجونغ ليس عقاباً قاسياً.

■ فيرونيكا هوانغ

عطاء لا ينضب

الطبيعة وحدها تفعل الامور الجسيمة من دون مقابل.

ا.ه.

قطار الافكار

بينما كنت اسافر في الهند، حيث الفلسفة طريقة حياة، ذهبت الى محطة القطار لاحجز مكاناً مع سرير. وبدأت اقول للموظف: "المعذرة. هل من الممكن..."
لكنه قاطعني بقوله: "في هذه الحياة، كل شيء ممكن، والانسان وحده لا شيء. وما الحياة سوى شيء عابر، الا أن جميع الاشياء يمكن تحقيقها".
واستمر على هذا النمط بضع دقائق قبل ان اتمكن من مقاطعته قائلا: "هل يمكنني حجز مكان مع سرير على قطار كالكتا السريع الثلثاء المقبل؟"
فحدق الموظف الي وقال من غير تردد: "في ذلك الوقت، هذا غير ممكن".

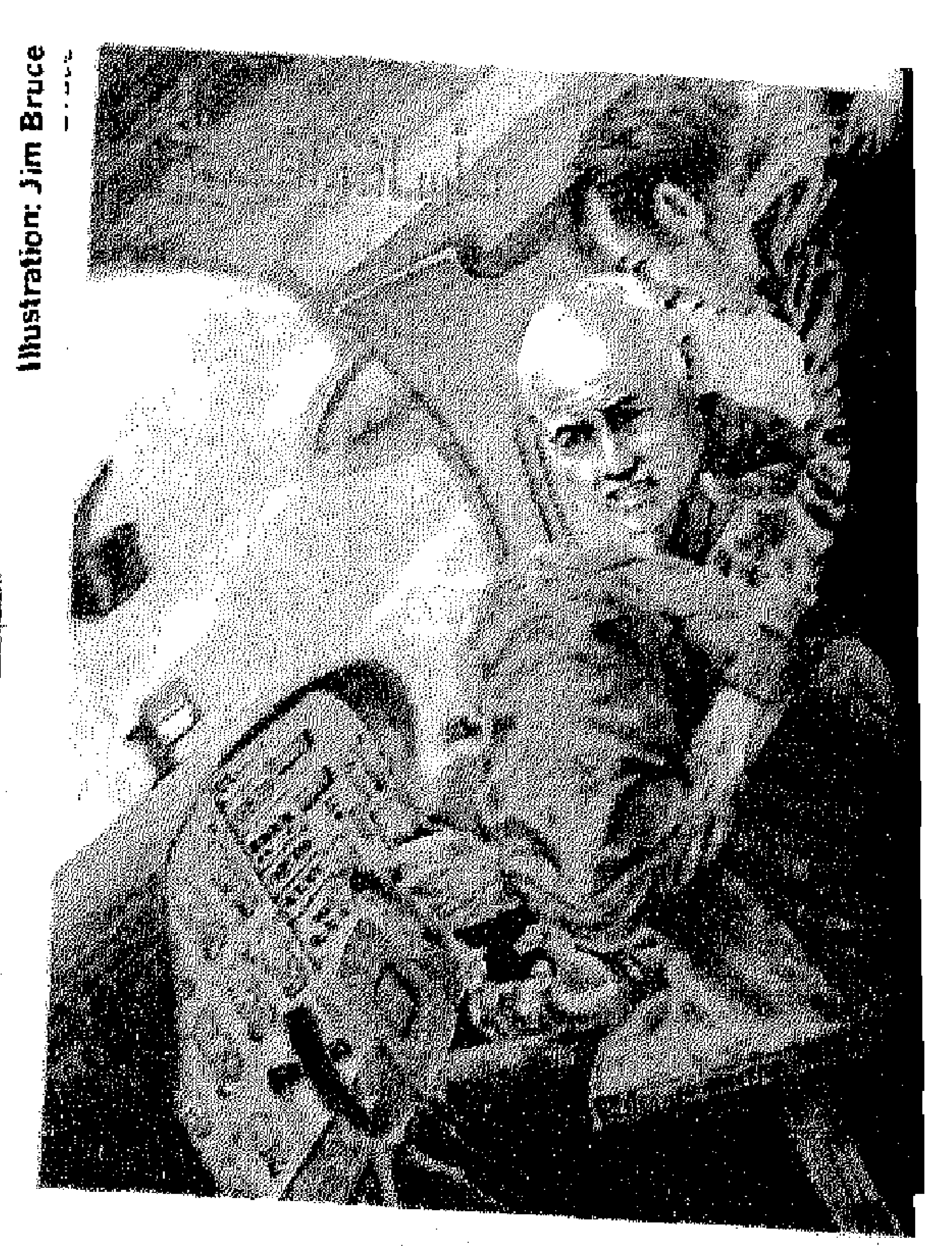
ب.ه.



نوبة قلبيّة تفاجئ قائد الطائرة فوق الغيوم!

ست ساعات من الدروس هي كل خبرته في الطيران. وها هو في محنته يسترجع تفاصيل كل ثانية منها

اخترقت طائرة "سيسنا ١٨٢"، ذات المقاعد الاربعة، الغيوم الدائرية واتجهت ثابتة نحو الشمال. وكانت اقلعت من مدينة هاملتون في اقليم اونتاريو الكندي صباح الرابع من يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨. وفي مقعد مساعد الطيار استرخى رجل اعمال في التاسعة والاربعين اسمه دونالد برات كان يهوى الطيران منذ زمن بعيد. وبدأ برات يمزح مع الربان بيتر كيروان (٥٨ سنة) والمهندس بول سميث (٣٩ سنة)، حول ما اذا كانوا سيصلون فعلا الى بلدة سبانيش


Illustration: Jim Bruce

الصغيرة قرب بحيرة اليوت حيث تتولى شركة برات تدعيم سطح احد الملاعب.

وكعادة برات في رحلاته بطائرات مستأجرة، كان يراقب كل ما يفعله الطيار. فهو يعلم ان خطة الطيران التي تم الاتفاق عليها مع مطار هاملتون المدني قبل الاقلاع نصت على "انظمة الطيران البصري"، اي ان الطائرة ستبقى على علو يمكن من فيها من رؤية الارض.

وعندما لاحظ برات ان الطائرة بدأت ترتفع وتخترق الغيوم سأل كيروان: "الى اي علو تستطيع هذه الطائرة ان تحلق؟" فأجاب الطيار: "الى ارتفاع ٤٨٠٠ متر".

فوجىء برات بالجواب، فرمق قائد الطائرة بنظرة سريعة ما لبث بعدها ان أحس بقشعريرة وبقليل من الهلع. فهو لاحظ على وجه كيروان توتراً، وفي يديه اهتزازاً واضطراباً. فحدق اليه، فاذا به يشير الى المذياع. وفجأة تدلت يده اليسرى وانهار الى الامام نحو برات.

وبدأت الطائرة الهبوط سريعاً وفي شكل لولبي أثار الغثيان.

الكلمات الثمينة – كان برات في السادسة عشرة عندما تلقى ست ساعات في دروس الطيران، وذلك منذ ٣٣ سنة وعلى طائرة صغيرة جداً من طراز "بايبر ج – ٣كب". ومع انه لم يكمل تدربه، فان تلك الدروس القليلة رسخت في ذاكرته. وكان يقرأ كل ما يقع عليه عن الطيران. وخلال رحلات العمل الجوية كان يحلو له الجلوس بجانب الطيار، كما فعل ذلك اليوم.

استأجر كيروان لرحلته هذه طائرة "سيسنا ١٨٢" الملقبة "الطائرة الغفور"، وهي طائرة سهلة القيادة تكاد تطير تلقائياً. واقلعت بهم قبيل الحادية عشرة صباحاً. كانت الرؤية جيدة ثم بدأت السحب تلف الطائرة. وانحنى سميث من المقعد الخلفي

ليسأل كيروان كيف يستطيع معرفة الاتجاه الذي تسير فيه الطائرة وهو لا يرى الارض. فأشار كيروان الى معين الاتجاه الاوتوماتيكي على لوحة اجهزة القياس، وقال: "نحن على اتصال بمحطة راديو اوين ساوند. وما دامت هذه الابرة تشير الى الصفر، فذلك يعني اننا نتجه نحو موجة تلك المحطة". واضاف انه ما لم يتم ضبط معين الاتجاه الاوتوماتيكي حين تبلغ الطائرة شمال اوين ساوند، فان الابرة ستدور نصف دائرة مشيرة الى ١٨٠ درجة.

وبين كيروان للمهندس سميث بعض الادوات الاخرى: الأفق الاصطناعي الذي يظهر انحراف الجناحين ودرجة انحدار الطائرة، ومؤشر الصعود، والصندوق الاسود الذي يتم بواسطته الاتصال بالرادار. ولم يدر في خلد سميث آنذاك انه سيحتاج الى تذكر كل كلمة من كلمات الطيار بعد برهة وجيزة.

كان لوقوع كيروان مغشياً عليه تأثير الصدمة على رفيقيه. وخيم الصمت برهة على المقصورة الصغيرة، ثم صرخ سميث: "بيتر، بيتر، ما بك!" ولم يجب بيتر. فأسرع سميث وفك حزام مقعده وبدأ يفرك عنق كيروان ويهزه.

وبحركة لا شعورية قبض برات على مقْرَن القيادة الخاص بمساعد الطيار. ولم يكن في وسعه رؤية لوحة اجهزة القياس من مقعده، الا ان سميث كان يراها.

وصرخ سميث فجأة: "اننا نهبط بسرعة ٤٥٠ متراً في الدقيقة". وتذكر برات دروس الطيران التي تلقاها في الماضي البعيد، وبدأ يسحب مقرن القيادة تدريجاً الى الوراء، فارتفع مقدم الطائرة قليلا. غير ان القرص على جهاز الأفق الاصطناعي بين لسميث ان الطائرة تنزلق جانبياً على نحو خطر. فصاح سميث: "دونالد، اننا ننقلب!".

من عادة الثبات الملازم لطائرة "سيسنا" ان يجعلها تعود فتستوي تلقائياً. الا ان قدم كيروان كانت تضغط على دواسة توجيه الدفة اليمنى. فتحكم برات بالدواستين الموجودتين بجانبه، فاستوت الطائرة بينما الرجلان يرتعدان لادراكهما انهما يقودان، منفردين، طائرة من دون طيار.

وارتفعت الطائرة بثبات فوق الغيوم الى علو ٢٣٠٠ متر. كان السحاب كثيفاً، وكان على الرجلين ان يوجها الطائرة نحو الجنوب، بعيداً عن المياه المثلجة في خليج جورجيان وبحيرة هورون. وتذكر برات ما قاله كيروان عن معين الاتجاه الاوتوماتيكي، فوجه الطائرة بانعطاف خفيف الى ان صار في امكان سميث رؤية الابرة وقد بلغت ١٨٠ درجة. انهم يتجهون الآن نحو مدينتهم هاملتون.

فوق السحاب — في برج المراقبة في مطار تورنتو الدولي، لمح مراقب حركة الطيران، غاري مكدونالد (٢٧ سنة) الطائرة المجهولة على شاشة الرادار. فاتصل بمحطات الرادار الاخرى لمعرفة ما اذا كان اي منها على اتصال بالطائرة، فكان جوابها سلباً. فحاول ان يتصل لاسلكياً بالطائرة التي كانت تحلق آنذاك

شمال غرب تورنتو، تدفعها رياح سرعتها ٣٠ عقدة (نحو ٥٦ كيلومتراً في الساعة) في اتجاه الشرق نحو الخط الخاص بالطائرات النفاثة الآتية الى المطار. ولما لم يتلق اي جواب، حوّل، هو والمراقبون الآخرون، وجهة كل الطائرات الآتية واوقفوا اقلاع الطائرات الاخرى.

وفي "السيسنا" رفع برات المذياع عن لوحة اجهزة القياس وتكلم، فلم يسمع غير صفير الهواء. ثم تذكر الراديو. وفحص سميث اللوح المشبكي فتبين له ان القرص ثبت في اتجاه ١٢٥ عندما غادرت الطائرة هاملتون. لذلك ادار الزر حتى ظهر الاتجاه ١٢٥ من جديد. وكبس برات على زر الارسال فرن صوته بوضوح في برج المراقبة التابع لمطار هاملتون المدني: "لقد اصيب طياري بنوبة قلبية. انا اقود "سيسنا ١٨٢" على مبين الاتجاه الاوتوماتيكي من اوين ساوند".

وعلى الفور انتصب مراقب حركة الطيران في هاملتون، جيم اندرسون ووجه نداء بواسطة المذياع المتدلي من السقف: "حسناً. نداء حول المصاب بنوبة قلبية. نريد مزيداً من الشرح".

- الطيار بيتر كيروان...

وعثر مراقب يعمل مع اندرسون على خطة الطيران التي اتفق عليها مع كيروان ذلك الصباح. فقال لرفيقه: "هذا هو سجل رمز الراديو يا جيم. كان كيروان يطير برمز جزك".

فأعاد أندرسون النداء اللاسلكي: "ج زك، استلم. ما هو موقعك"؟

وفي الجو شعر برات بارتياح حين سمع النداء وأجاب: "انا على بعد ٦٤ كيلومتراً من هاملتون. اني فوق السحاب. ولست طياراً خبيراً".

"حسناً. رائع! هل انت قادر على قيادة الطائرة"؟

- اقودها وابقي طيرانها مستوياً في الوقت الحاضر. وأعرف مبين الاتجاه الاوتوماتيكي. اني اطير في اتجاه ١٨٠ درجة ونحن عائدون.

بدا صوت برات هادئاً الى حد افترض معه اندرسون انه مارس الطيران سابقاً ولا ينقصه سوى التمرين. فنصح برات- بالبقاء في اتجاه ١٨٠ درجة وبالمحافظة على ارتفاع ٩٠٠ او ١٢٠٠ متر كي لا ينقطع الاتصال اللاسلكي.

القوة الخامسة - في الطائرة تقاسم الرجلان الاتصال اللاسلكي، وفجأة لمح برات كوة في السحاب فقال لاندرسون ان في وسعه ان يرى الارض ويهبط، ودفع مقرن القيادة وجعل الطائرة تنقض مباشرة من خلال هذه الكوة التي بدت بحجم طابع البريد. وامامه مباشرة كان مطار. فتنفس الصعداء وجعل اتجاه الطائرة افقياً.

وبصوت كان لا يزال هادئاً، اتصل برات بأندرسون وقال له: "اظن انني فوق مطار كتشنر - واترلو". فسأله اندرسون اذا كان المدرج يمتد بموازاة طريق. ساعتئذ تولى سميث الاجابة قائلا: "كلا، هذا المطار هو... هناك حظيرة للطائرات لا بأس بحجمها". ثم اضاف باهتياج: "انه مطار تورنتو!"

وفي اللحظة، طلب اندرسون الى برات ان يردد الرقم ٧٧٠٠، وهو رمز

الطوارى في تورنتو، بواسطة الجهاز الاسود في الطائرة، وذلك لتحديد موقعه الدقيق لمراقبي تورنتو ولاطلاق انذارات الطوارىء في انحاء منطقة المراقبة. وتم اخلاء مطار تورنتو حالا، واستدعيت فرق الطوارىء. وسأل مراقب حركة الطيران في تورنتو برات اذا كان طياراً مؤهلا وكم هي كمية الوقود في خزان الطائرة. فأجاب برات انه مارس الطيران منذ اعوام خلت، لكنه لم يقد طائرة في عمليات هبوط واقلاع منذ مدة طويلة (وهو في الواقع لم يقد طائرة في اي هبوط او اقلاع) واستنتج مكدونالد من هذا الجواب ان خبرة برات الحالية هي دون خبرته السابقة.

"حسناً اريدك ان تنعطف بالطائرة يساراً ثم تعود في اتجاه المطار، وتظل تهبط الى ان تصل الى ارتفاع ٦٠٠ متر. فهمت ان طياركم اصيب بنوبة قلبية. هل هذا صحيح؟"

– نعم.

"جزك، لدينا بعض معدات الطوارىء وهي في طريقها الى المدرج ٢٣ يساراً (المتجه من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي). انت ستهبط على المدرج ٢٣ يساراً".

في "السيسنا"، راقب سميث الاقراص بدقة وأطلع برات على معدل هبوط الطائرة. وصاح مكدونالد: "حسناً يا جزك، هل المطار باق في مجال رؤيتك؟"

– هل ذاك هو المدرج المقصود، ذلك الذي بجانب المرأب الكبير؟

"انه بجانب المرأب الثاني مباشرة، وهو الاقرب اليك الآن. انه المدرج ٢٣ يساراً وسنرفع انوار المدرج الى الدرجة الخامسة.

لا تدعهم يظنون! – ان رفع الاضاءة الى الدرجة الخامسة يجعل المدرج نيراً الى حد يكفي لجعله مشعاً حتى في وضح النهار. ويبلغ عرض المدرج الثاني ٦٠ متراً، اي انه مؤهل لاستقبال طائرة "بوينغ ٧٤٧" بينما لا يزيد عرض "السيسنا" على ١١ متراً. لكنه، بالنسبة الى برات، بدا شبيهاً بمكان ضيق لايقاف السيارة في شارع يعج بالحركة.

وقال مكدونالد: "توجه الآن الى اول المدرج ٢٣ يساراً. اضواء المدرج آخذة في الارتفاع. اهبط بالطائرة على النحو الذي ترتئيه، لان افضلية الهبوط هي لك وقد جمدنا هبوط الطائرات الاخرى".

– ما هي سرعة الانحدار؟

في المقعد الخلفي كان سميث يهمهم: "لا تستعمل هذه الاصطلاحات، فهم سيظنسون انك تعرف كل امور الطيران".

وأجاب مكدونالد: "مئة عقدة (١٨٥ كيلومتراً في الساعة) وربما اقل من ذلك قليلا. دع عجلات الطائرة تلامس أرض المدرج وهي تسير بسرعة تراوح بين ١١٠ عقد و١٢٠ عقدة. هذه السرعة تعطيك انسياقاً جيداً مع الريح".

كانت الطائرة تقترب من المدرج بسرعة ١٣٠ عقدة (٣٦٦ كيلومتراً في الساعة). وعلى مسافة ثلاثة كيلومترات من ارض المطار، خفف برات السرعة. وطمأنه مكدونالد: "انك تؤدي عملا رائعاً يا جزك، ويمكنك الهبوط الآن".

وهبطت سرعة الطائرة الى ١٤٠ عقدة فالى ١١٥ ثم الى ١١٠ . وهتف سميث من الخلف: "يبدو كل شيء على ما يرام" .

ولكي يهبط، قبض برات على مقرن القيادة وشده فيما ضغطت قدماه على دواستي توجيه الدفة لابقاء الطائرة مستوية .

وتعالى صوت مكدونالد: "اذا شعرت بانك ستواجه صعوبة لدى الهبوط، فلا تتردد في الانعطاف والدوران" .

لكن برات لم يكن في حاجة الى محاولة ثانية . فهبطت الطائرة بسرعة وحيث يجب وسمع صوت مكدونالد الهادىء في البرج وفي غرفة الرادار: "لقد هبطت الطائرة" .

كان الهبوط سريعاً وكثير الاضطراب، لكنه لا يختلف عن عمليات هبوط كثيرة كان مكدونالد يرى الطيارين المؤهلين يؤدونها كل يوم . وفيما دبت الطائرة على المدرج، اسرع رجال الطوارىء اليها، ففتحوا الباب وبدأوا عملية التنفس الاصطناعي قبل ان يحملوا بيتر كيروان خارج الطائرة الى سيارة اسعاف نقلته الى مستشفى ايتوبي كوك العمومي، لكنه كان فارق الحياة .

وجاء احدهم بحرام ليلف به برات المرتعش . وقاده رجال الشرطة الخيالة الملكية الكندية الى سيارتهم الدافئة . لم يكن هناك ما يمكن فعله من اجل كيروان .

ولم يستطع سميث وبرات ان يفرحا بحظهما السعيد الا بعد مدة . فقد قال برات: "كانت حياتنا، نحن الاثنين، في ايدينا . كان علينا ان نتحرك وقد حالفنا الحظ" .

■ ايلين بيتيفرو

... واكتفى بالحقيبة المفتوحة

بعد رحلة عمل الى باريس، عدت وزوجي الى الولايات المتحدة ومعنا اطفالنا الخمسة، وبينهم توأمان في سنتهما الاولى . ولدى وصولنا الى مطار نيويورك، وقفت انتظر دوري أمام دائرة الجمارك، بينما انصرف زوجي الى أمر آخر . وطلب أحد موظفي الجمرك مفاتيح الحقائب، وكنت محاطة بثلاثة من الاطفال وحاملة على كلّ ذراع أحد التوأمين . فأعطيت الموظف واحداً من الصغيرين لأبحث عن المفاتيح في حقيبتي . وبعدما نظر الي طوال دقائق وأنا ابحث عن الحقيبة، أعاد الي الطفل الذي كان يزعق وقال: "كفى يا سيدتي . لا شك في ان وقتك لم يسمح لك بتهريب اي شيء" . وهكذا قُضي الامر من دون فتح اي حقيبة .

أليس أسهل أن نسمي الاشياء القليلة التي لا تؤذي الصحة من أن نسمي تلك التي تؤذيها ؟

٠١٠١

النسيان ليس علّة

اتبع التعليمات الآتية في تحسين ذاكرتك، وسوف تذهلك النتائج

هل تستهويك القدرة على حفظ الاسماء وتواريخ مولد الاصدقاء والمناسبات السنوية وارقام الهاتف والخطب، وعلى تذكر ما قرأته في الكتب والمجلات وما ورد في قائمة المشتريات بل وحتى المكان الذي تركت فيه مفاتيح سيارتك أو نظارتيك؟ حسناً، ان في الامكان تحقيق ذلك، كما يقول مؤلفا "كتاب الذاكرة"، وما عليك في رأيهما الا ان تمرن وتقوّي عضلة ذهنية واحدة هي ذاكرتك وهما يرشدانك الى هذا السبيل.

لا جديد بالطبع في فكرة تدريب الذاكرة او فن الاستذكار (منيمونيكس) كما تعرف علمياً، والتقاليد الشعبية تعجّ بشتى النصائح والاساليب لتنبيه الذاكرة، كأن تعقد خيطاً حول اصبعك. لكن ما اقدم عليه مؤلفا "كتاب الذاكرة" هاري لورين وجيري لوكاس هو انهما اختارا النظريات الجوهرية الاساسية من فيض ما قيل حول الذاكرة وصاغاها في قالب لغوي سلس وشائق.

وبلغت سهولة قراءته حداً جعل

مبيعات الكتاب ترتفع في غضون ثلاثة اشهر من صدوره (مايو/ ايار ١٩٧٤) لتحتل المرتبة الثانية بين أكثر الكتب رواجاً، واحتفظ الكتاب بهذه المنزلة اشهراً عدة وتجاوز ما بيع منه الـ ١٤٠ الف نسخة.

والحق ان مؤلفي "كتاب الذاكرة" انفسهما خليقان بالتذكر، فقد بدأ هاري لورين اهتمامه بالذاكرة قبل سبعة وثلاثين عاماً عندما حاول التخفيف من حدة آلام المعدة التي انتابته وهو طالب فعكف على تنمية ذاكرته الى حد بات قادراً على حفظ اسماء قرابة ٥٠٠ شخص من الجمهور في اثناء اشتراكه في برامج تلفزيونية. ثم شرع في تأليف عدد من الكتب بلغ مجموعها تسعة بينها كتابه "كيف تنمي طاقة متفوقة في الذاكرة" الذي بيع منه اكثر من مليون نسخة في عشر لغات.

وقع احد هذه الكتب بين يدي جيري لوكاس لاعب كرة السلة اللامع في جامعة اوهايو الامريكية الذي يبلغ طوله مترين وثلاثة سنتيمترات. ويعزو لوكاس نجاحه الجامعي الباهر وفوزه بجائزة فخرية في دراسته الى اتباعه نظم لورين في تقوية الذاكرة. واحترف لوكاس من بعد كرة السلة وانتهى به المطاف في نيويورك حيث بادر الى التعرف على لورين. وسرعان ما تعاون الرجلان في شتى المجالات. وغدا لوكاس، هو الآخر، قادراً على ادهاش النظارة بطاقته الخارقة على الحفظ.

اين السر؟ — والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو: كيف استطاع هذان الرجلان تحقيق مآثرهما علماً بانهما يقران بان مستواهما الذكائي عادي وغير خارق؟

يعتمد فن الاستذكار اساساً على الخيال، اي القدرة على تكوين صور ذهنية واضحة وضوح الاشياء المرئية للعيان. مما يعني ان المهمة الاولى في تدريب الذاكرة تقوم على ترجمة ما تريد تذكره الى صور واضحة المعالم. "والحيلة ـ كما قال لي لورين ـ هي في ان تستنبط صورة ذهنية غريبة او غير معقولة. وكلما امعنت في الغرابة كان وضعك افضل".

ويؤكد المؤلفان ان غالبيتنا لا تنسى شيئاً في واقع الحال، كل ما في الامر هو اننا لا نعي تماماً ما يحدث حولنا ساعة يحصل ذلك. مثلا: لنفرض انك وضعت نظارتيك فوق جهاز التلفزيون وبعد دقائق رحت تبحث عنهما فلم تتذكر موضعهما. ان العلاج الشافي لهذا النوع من النسيان يقضي بان ترسم في ذهنك صورة غير معقولة. كأن تتصور، كما يقترح المؤلفان، هوائي التلفزيون وهو يخترق عدستي النظارتين فيحطمهما. ففي مثل هذه الصورة يمكنك ان تتذكر مكان النظارتين حتى بعد مرور ساعات طويلة على وضعهما هناك.

قلما ننسى وجوه الناس لأنها صور مرئية، اما تذكر إسمائهم فمسألة فيها نظر. ولكن ما من وسيلة تعينك على تذكر اسم ما اذا لم تسمعه أصلا بوضوح تام. ولذا ينصح المؤلفان بان تطلب الى الشخص الذي تتعرف عليه ان يكرر اسمه مما يدل على اهتمامك بحفظه على نحو سليم وفي الوقت نفسه يعطيك هذا التكرار فسحة لأن

تلصق الاسم بالوجه عن طريق ابتداع صورة ذهنية مضحكة فتختار مثلا قسمة بارزة من الوجه وتقرن بها ذهنياً كلمة بديلة او كلمات لاسم الشخص تمكنك من طبعها في الذهن كصورة.

الرابط ضروري – أما بالنسبة الى حفظ قائمة المشتريات او الارقام المتعددة أو الخطب الطويلة وما شابهها فثمة حاجة الى اتباع اسلوب أشد احكاماً. ويضرب المؤلفان مثلا بسرد قائمة مؤلفة من عشر مواد غير مترابطة ويشيران الى سبيل حفظها، حسب ترتيبها، بالربط في ما بينها بصور غير معقولة. فاذا تضمنت القائمة الكلمات الآتية: طائرة، شجرة، مغلفاً، قرطاً، دلواً، غناء، كرة سلة، "سلامي"، نجمة، انفاً، يستطيع المرء ان يقرن بينها بتصور طائرة تنبت مكان شجرة تتفرع منها مغلفات تتدلى من شحمة الاذن في دلو مزين باقراط ويغني مثلما تغني كرة السلة بينما يلعب "السلامي" بكرة السلة ويتلألأ في السماء وجه فيه نجمة بدلا من انف. وبمثل هذه الصور يمكن المرء ادارة بكرة الصور في ذهنه كراً وفراً متذكراً في آن المواد وتسلسلها الصحيح.

لنضرب مثلا آخر: افترض انك تريد ان تتذكر احضار المصباح الذي أوصيت عليه منذ مدة وتريد ايضاً شراء ورق للطباعة. إن عليك استنباط رابط بينهما. اقرن المصباح ذهنياً بالورق. وقد يخيل اليك انك ستضع المصباح المضاء داخل الآلة الكاتبة! او ربما انت تريد كذلك ان تتذكر المرور على محل تنظيف الملابس لأخذ بذلتك. تصور انك ترتدي صفحات من ورق الطباعة. وهلم جراً.

تصور الاعداد والكلمات – ان تصور الاشياء الملموسة والافعال التي نأتيها امر سهل نسبياً، بيد ان تصور المجردات من الاعداد والكلمات يحتاج الى وسائل اكثر تعقيداً منها استخدام الكلمة البديلة. وينصح المؤلفان، في هذا الصدد، بان تعمد لدى سماعك كلمة او جملة مجردة لا يسهل تجسيدها الى التفكير بشيء ما – اي شيء – له صوت مماثل او يذكرك بها وييسر تصورها في الذهن. ويصر الكاتبان مراراً وتكراراً على اهمية ايجاد افكار او عبارات بديلة خاصة بك انت لأن الصورة التي تكونها في هذه الحال لا ترسخ في الذاكرة فحسب بل من شأن عملية استنباط الصورة البديلة المناسبة ان تركز الذهن على ما تريد تذكره.

يتطلب حفظ الخطب اعتماد نظام الكلمة البديلة اضافة الى عامل الربط. وينصح "كتاب الذاكرة" في هذه الحال بان تكتب الخطاب اولا ثم تبدل كل فكرة رئيسية فيه بكلمة لها مدلولها او بعبارة يسهل ايجاد صورة لها، وتقرن من بعد بين الكلمات ذات الدلالة حسب التسلسل المطلوب. ومتى تذكر الفرد العادي الافكار الرئيسية سهل استذكار ما كان يريد قوله. وتنطبق هذه الطريقة ايضاً على القراءة لان التقاط كلمات او افكار رئيسية وترجمتها الى صور مرئية مترابطة يساعدان على الممارسة والمواظبة فيرسخ في ذهن المرء ما يقرأه بمجرد النظر. وقد يعيق هذا الاسلوب سرعة القراءة مبدئياً، لكن

الكاتبين يصران على ان اكبر مضيعة للوقت في القراءة هي الرجوع تكراراً الى النص المكتوب لتذكر ما غاب عن الذهن.

ويحتفظ لورين بصندوق ضخم من رسائل الشكر التي تسلمها من طلاب مثل لوكاس عزوا نجاحهم الجامعي الى اساليبه، ومن ممثلين وخطباء تغلبوا على الخوف بتعلم اساليب الحفظ بسهولة، ومن رجال ونساء فازوا بالوظائف نتيجة اعجاب اصحاب العمل ببراعتهم في تذكر الاشياء. لكن بين الرسائل واحدة يعتز بها لورين اكثر من سواها وهي الرسالة التي كتبها المقدم آرثر ت. بالارد (الابن) من سلاح الجو الامريكي بعد أسره في فيتنام الشمالية طوال ست سنوات. فهو كتب الآتي: "لم يكن لدينا ما نقرأه او ما نكتب بواسطته. فاعتمدنا اساساً على الذاكرة حفظاً لسلامة عقولنا. وقد حاولت خلال الاشهر القليلة الأولى في الأسر ان استعيد في ذاكرتي محتويات احد كتبك ثم علمت مئات من زملائي الاسرى ما حفظته عنك، واخذنا جميعنا نطبق اساليبك فتعلمنا آلافاً من الكلمات الاجنبية، والقصائد، والخطابات (القائمة في الواقع لا تنتهي) اني اردت فقط ان اعرب لك عن قيمة مؤلفاتك بالنسبة الينا جميعاً".

■ س. ا. شراينر (الابن)



العادة هي سلوك يصدر عنا من غير تفكير، وهذا يفسر وجود عادات كثيرة لدى معظمنا.

ف.ك.

خيبة بعد رجاء

قضيت وزوجي صباح أحد الايام برفقة حفيدنا ذي السنوات الأربع في حديقة حيوانات. ولما حل الظهر ذهبنا الى المطعم لتناول الطعام. وجاءت الخادمة بقائمة المأكولات، فراح زوجي يبحث عن نظارتيه ليقرأ القائمة. فوجد أنه أضاع النظارتين. عندئذ قال حفيدنا: "أعرف أين نظارتاك يا جدي".

فأشرق محيا زوجي وسأل الصغير: "أين هما؟"

ـ انهما في حديقة الحيوانات. لقد سقطتا من جيبك عندما أنزلتني من القطار لاشاهد الفيلة.

وقال زوجي، محاولا كبت غيظه: "ولكن اذا كنت شاهدت النظارتين تقعان من جيب قميصي، فلماذا لم تخبرني؟"

فأجاب الصغير: "حسناً يا جدي! بعدما خطوت فوقهما، لم أعد أظن أنك ستحتاج اليهما".

ل.ك.


القارّة الفتيّة

كانت هناك في وقت ما، خلف المضيق المسمى "اعمدة هرقل"، جزيرة اكبر من آسيا الصغرى وليبيا مجتمعتين. وعلى جزيرة اطلنطيد هذه قامت مملكة عظيمة ورائعة.

(افلاطون في محاورة "تيماكوس" العام ٣٥٠ قبل الميلاد)

لقد ساد شبه اجماع على ان جزيرة اطلنطيد، التي افاض افلاطون في وصفها، ليست سوى اسطورة. الا ان ثمة براهين مثيرة تشير الى ان افلاطون ربما كان مصيباً

افاض افلاطون في وصف اطلنطيد في محاورة اخرى له هي "كريتياس". فقال انها كانت جزيرة شبه استوائية بلغت مساحتها حوالي ٤٠٠ الف كيلومتر مربع. وقدر عدد سكانها بعشرين مليون نسمة. وكانت تحميها من الشمال جبال اعتقد الاطلنطيون ان الههم يسكن اعلى ذراها. وكثرت فيها الينابيع الحارة، وطافت في غاباتها الفيلة والحيوانات الافريقية الاخرى. وقطعت القنوات سهولها الخصبة عرضاً وطولا لنقل الغلال وتأمين الري لموسمي حصاد وافرين في السنة. واحاط عاصمتها، التي ارتفع فيها هيكل اله البحر بوسيدون، سور هائل مكسو بالبرونز. كما التمع الذهب والفضة في قصورها وهياكلها.

وقال افلاطون ان الاطلنطيين ظلوا طوال قرون (٢٠٠٠ الى ٩٠٠٠ قبل الميلاد) يحكمون المدنية المسيطرة على نصف العالم، فحكموا امبراطورية متوسطية امتدت الى حدود، مصر وايطاليا. وسعوا الى خلق امة يسود فيها الاخاء والخلق الرفيع. ثم استبد بهم "هاجس السعي الخاطىء الى الكسب المادي والقوة" وحاولوا اخضاع البحر الابيض المتوسط بأسره. فردهم اجداد الاغريقيين على اعقابهم.

"وفي يوم وليلة رهيبين"، قال افلاطون، ابتلع البحر اطلنطيد.

افتراض جريء – بعد موت افلاطون صرف النظر عن اطلنطيد بصفتها اسطورة. الا انها استمرت تفتن عشاق التاريخ والالغاز. وحدد اصحاب النظريات المختلفة موقعها في اسوج وجنوب افريقيا وكريت وجزر الباهاما وسيلان (سري لانكا). وصدر حول الموضوع نحو عشرة آلاف كتاب ومقالة، اغناها سحراً واثارة كتاب

اوتو هاينريك موك "سر اطلنطيد".
وموك مهندس من مدينة فيينا عاصمة النمسا، سجل باسمه براءة ٢٠٠٠ اختراع وساعد في تطوير الشنّر كل الذي يزود الغواصات بالهواء النقي محدثاً ثورة في حرب الغواصات ابان الحرب العالمية الثانية بتمكينه غواصات "اليوبوت" الالمانية من البقاء اسابيع تحت الماء. وكان ايضاً عضو فريق البحوث الذي طور اول صاروخين، "ف - ١" و"ف - ٢".
الى ذلك، اجرى موك دراسات في الجيوفيزياء والتاريخ قادته الى بحث مثير لحل احجية اطلنطيد. وفي هذه المهمة استعان بمهارته كعالم رياضيات وباطلاعه الموسوعي على العلوم الحديثة. وكانت النتيجة كتاباً لاقى رواجاً كبيراً، صدر في المانيا عام ١٩٧٦ بعد موت مؤلفه بعشرين عاماً. وفنّد الخبراء كثيراً من نظريات موك، الا ان مراجعي الكتاب شعروا انه يعرض فرضية شائقة حول هذا اللغز القديم الذي يحيط قارة مفقودة.
بدأ موك بافتراض جريء: "ينبغي اعتبار وصف افلاطون واقعياً من غالبية نواحيه". ثم نقب في حقول علوم مختلفة بغية العثور على ادلة تؤيد صحة رواية افلاطون - او لا تكذبها على الاقل.
قال افلاطون ان اطلنطيد قامت وراء مضيق هرقل، الذي يظن موك انه مضيق جبل طارق. واذا صح هذا الافتراض فهو يعني ان اطلنطيد كانت في جوار مجموعة جزر الازور، التي تقع على مسافة ١٢٠٠ كيلومتر الى الغرب من اوروبا. ويشير علماء الآثار الى انه، في تلك الحال، لا بد من وجود ادلة على حضارة متقدمة في اوروبا، حيث يفترض انه كان لاطلنطيد مستعمرات. غير ان الآنية الفخارية والاسلحة البسيطة التي استخدمها الانسان النياندرتالي (رجل الكهف) في ذلك العصر تشير الى حضارة عصر حجري.
ويذكر موك انسان كرومانيون الذي يعود عهده الى ما قبل التاريخ. كان انسان كرومانيون اطول قامة من انسان نياندرتال واكثر تطوراً منه. ونسبت الرسوم الجميلة التي عثر عليها في بعض كهوف اسبانيا وفرنسا، وتمثل اناساً رشيقين ذوي بشرة حمراء، الى انسان كرومانيون. وفاقت مجوهرات هذا الانسان واسلحته وادواته صنا نياندرتال فناً وجمالا. و مدافن كرومانيون خمن جاؤوا من الغرب سالكير التيار من المحيط الاطل بأن الكرومانيونيين كانو كما لاحظ ان علماء الآثار اصل حضارتهم المتقدم مغايرة تماماً لاسلوب ا بساطة لدى النياندرتاليين

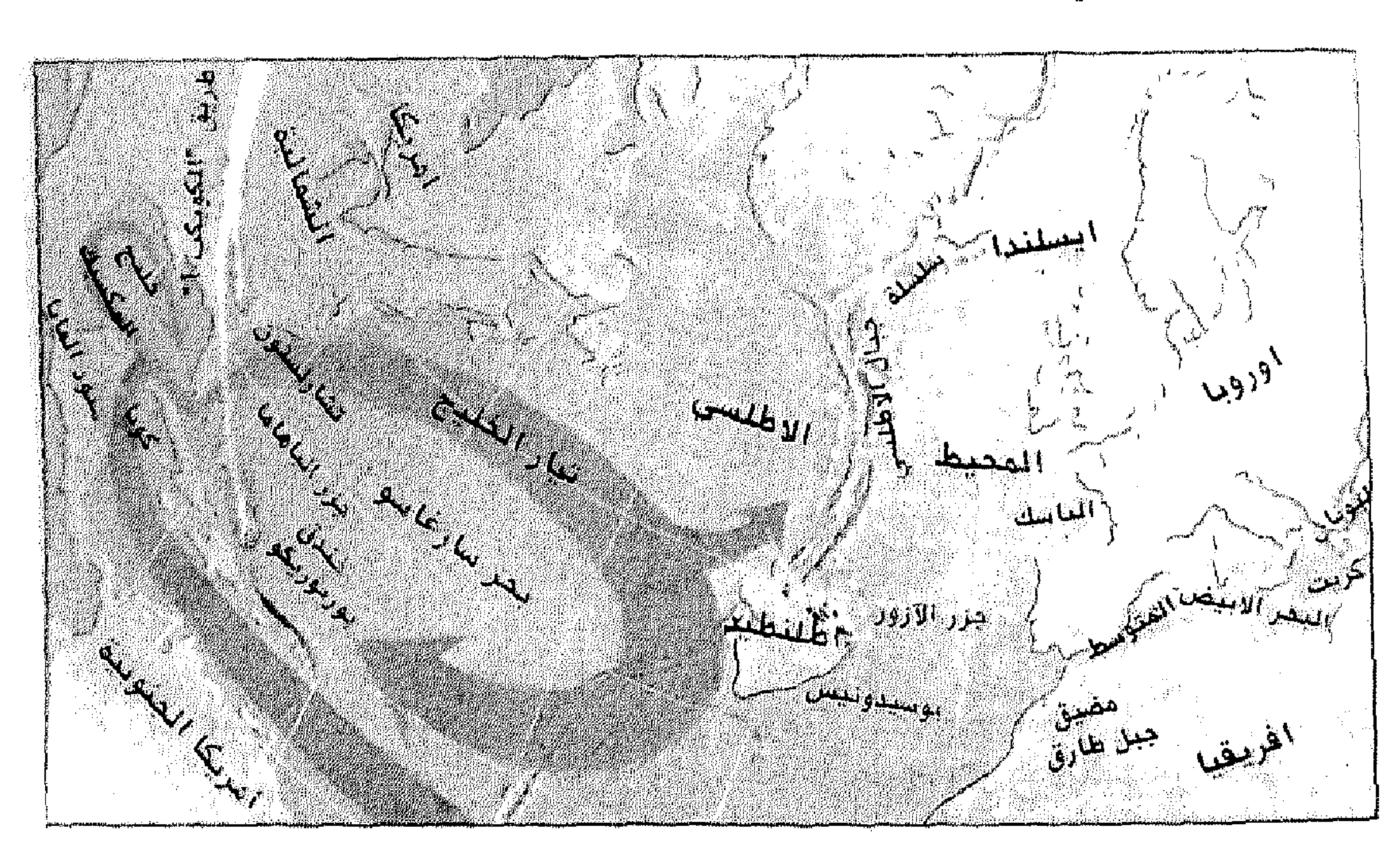
اوجه شبه مذهلة - علينا ان نتذكر ان قسماً كبيراً من اوروبا ايام اطلنطيد كان يغطيه الثلج والجليد. ولم تبدأ الانهر الجليدية بالتراجع الا قرابة العام ١١٠٠٠ قبل الميلاد. وكانت اطلنطيد، في حال وجودها فعلا، تسد الطريق امام تيار الخليج الذي ينطلق الآن من خليج المكسيك عابراً المحيط الاطلسي الى بريطانيا حيث يدفيء الساحل الاوروبي. واعتقد موك ان هذا النهر

الاوقيانوسي العظيم ضمن لاطلنطيد مناخاً معتدلا ربما ازدهرت فيه حضارة راقية.

ورأى موك ان العلاقة بين اطلنطيد وتيار الخليج توضح عادات التزاوج المحيرة التي يتميز بها سمك الانقليس (الحنكليس) الاوروبي. فهو يولد في بحر سارغاسو، جنوب غرب جزر الآزور، ويطفو مع تيار الخليج في رحلة الى اوروبا تستغرق ثلاث سنوات. وفي هذه الرحلة الجنونية يكون فريسة لكل الحيوانات الضارية في المحيط. وفي اوروبا يدخل هذا السمك الانهر وجداول المياه العذبة. وبعد مدة تراوح بين عشر سنين وخمس عشرة سنة يعود الى سارغاسو ليتوالد.

لماذا يتبع الانقليس الاوروبي هذا النمط الخطر؟ الجواب في رأي موك هو ان انهر المياه العذبة في اطلنطيد لم تكن تبعد عن سارغاسو الا مسافة قصيرة عندما تكونت غرائز الانقليس الاوروبي، فاتاح ذلك له بعض الحماية من اعدائه البحريين. ومع عمى الغريزة استمر الانقليس في سفره عبر تيار الخليج حتى بعد اختفاء اطلنطيد.

ويرى موك ان اطلنطيد، بموقعها المركزي، ربما خلقت صلات بين امريكا والعالم القديم. وابرز هذه الصلات اللافتة اوجه الشبه بين اهرام مصر واهرام امريكا الوسطى والجنوبية. ولا تقل عنها اثارة الصفات المشتركة بين شعب الباسك في اسبانيا وهنود المايا (شعب قديم في امريكا الوسطى) الذين بنوا معظم اهرام العالم الجديد. فهذان الشعبان يتقاسمان مظهراً جانبياً نسرياً للوجه وأنفاً معقوفاً. ومع ان لغة الباسك فريدة من نوعها، فان موك يكتب عن مبشر من الباسك ذهل عندما اكتشف ان قبيلة معزولة من



المايا الاقحاح في غواتيمالا فهمته. واستخدم كلا الشعبين عصي حفر متشابهة لتليين الارض قبل زرعها، كما ان لعبة الباسك الشعبية "بيلوتا"، التي يلعبها بكرة قاسية صغيرة فريقان يضم كل منهما رجلين، هي الرياضة المفضلة ذاتها لدى الهنود المكسيكيين كما وصفها الاسبان الغزاة.

نذير الكارثة – واذا كان البحر ابتلع اطلنطيد حقاً، كما كتب افلاطون، فهل بحث احد عن الجزيرة – القارة المفقودة تحت الامواج؟ هذا هو السؤال الذي انطلق منه موك ليفكر في اللغز. وبفضل جغرافية المحيطات، باتت لدينا الآن صورة كاملة عن قاع الاوقيانوس: فهناك سلسلة جبال تحت الماء يبلغ ارتفاعها ٢٧٠٠ متر وتقسم الاطلسي قسمين. وهي تمتد من ايسلندا في الشمال الى ما قبل جرف القطب الجنوبي بمسافة قصيرة. وقرب جزر الازور، تصبح سلسلة الجبال هذه نتوءاً ضخماً يبلغ عرضه نحو ٤٠٠ كيلومتر من الشرق الى الغرب وطوله (١٠٩١ كيلو متراً)، مع وجود جبال بركانية تحت سطح الماء في الشمال (تبرز بعض القمم من البحر لتؤلف جزر الازور). ويتفق حجم هذا النجد الغائر وشكله اتفاقاً مذهلا مع وصف افلاطون لاطلنطيد.

هنا ينقلنا موك الى ساحل امريكا الشمالية، قرب مدينة تشارلستون في ولاية كارولينا الجنوبية. فقد كشف مسح جوي عام ١٩٣٠ صورة طوبوغرافية (★) تشبه ساحة قتال.

(★) الطوبوغرافيا هي الوصف او الرسم الدقيق لسطح الارض.

وينتشر في هذه المنطقة نحو ٣٠٠٠ فوهة بركان، بعضها دائري وبعضها الآخر بيضوي الشكل. والاهم من ذلك ان لكل من هذه المنخفضات جداراً في الجانب الجنوبي الشرقي. وهذا، في رأي خبير الصواريخ موك، دليل قوي على ان الجلاميد التي احدثت الحفر جاءت من الناحية الشمالية الغربية للسماء.

هذه الحفر في كارولينا تبدو صغيرة اذا قورنت بمنخفضين ضخمين يقعان في مكان ابعد على الساحل نفسه، انهما يشكلان "خندق بورتوريكو" ويبلغ عمقهما ٩٠٠٠ متر ومساحتهما ٧١٧ الف كيلومتر مربع. فما الذي احدث هذين الاخدودين الهائلين في قاع البحر وألوف الحفر الاخرى؟

يشير افلاطون الى "انحراف النجوم عن مسارها، ودمار كل ما على الارض بالنار".

ويستنتج موك ان النجم المنحرف كان كويكباً، من مجموعة ادونيس على الارجح التي تدور حول الشمس في مدارات غير متراكزة. ويسمي النجيم المقتحم "الكويكب أ"، ويعتقد انه اندفع بسرعة مثل صاروخ ضخم من السماء الشمالية الغربية. ويقدر موك ان قطر هذا الجرم الفضائي الهائل بلغ عشرة كيلومترات.

وعلى ارتفاع ٤٠٠ كيلومتر بدأ "الكويكب أ" يطلق الوهج الاحمر الذي يبعثه الهيدروجين المحترق، مخلفاً وراءه ذيلا من الغازات المحترقة يراوح طوله بين ٣٠ و٥٠ كيلومتراً. وفي اقل من دقيقتين اخترق "الكويكب أ" الجزء الاكثر كثافة من

غلافنا الجوي وانفجر. وهوت قطعتان عملاقتان، تزن كل منهما مليارات الاطنان، في البحر لتشكلا خندق بورتوريكو. ومزقت شظايا اصغر حجماً الارض في ولايتي كارولينا الجنوبية وكارولينا الشمالية.

ألم ورعب – سبب "الدوي العظيم"، كما يسميه موك، انفجاراً رهيباً. وشقت قطعتان هائلتان من "الكويكب أ" قشرة الارض عند احدى النقاط الحساسة، اي سلسلة الجبال الاطلنطية، فحركتا كل بركان فيها.

ويرسم موك صورة مليئة بالالم والرعب! فقد هزت اطلنطيد زلازل هائلة هدمت المنازل والهياكل وحولتها حطاماً. ويضيف: "وقعت الجزيرة بأسرها في شرك ناري. وتفجرت من اعماق الارض حمم متوهجة تدفقت في مياه الاطلسي فخلقت بخاراً حارقاً. وارتفع البخار بسرعة فائقة. وانطلقت اعمدة الاعاصير تعلوها سحب فطرية الشكل، وتجاوزت التروبوسفير (او الطبقة السفلى من الغلاف الجوي). وتكونت فوق المنطقة كلها سحب هائلة من البخار والرماد البركاني".

وعلى نحو فاجع بدأت اطلنطيد تغرق في المنخفض الذي احدثته الحمم المتفجرة. ويحسب موك ان اختفاء الجزيرة – القارة استغرق ٢٤ ساعة بالضبط، ولم يترك سوى قمم البراكين التسع المغطاة بالحمم والتي تشكل اليوم جزر الازور. وهكذا، "في يوم وليلة رهيبين" اختفت اطلنطيد.

كان لاصطدام "الكويكب أ" بالارض تأثير عالمي. فتتابعت الكوارث الواحدة تلو الاخرى، وهزت الزلازل كل قارة. ويستنتج موك ان الزاوية الشمالية الشرقية لامريكا الجنوبية غارت في الاطلسي، بينما نهضت الزاوية الشمالية الغربية فوق المحيط الهادىء رافعة الهياكل والمدن من مستوى سطح البحر الى مرتفعات جبال الانديز الحالية. وحملت الرياح السائدة غمامة سوداء عملاقة مليئة بالغازات المميتة فخنقت البشر والحيوانات حيثما حلت.

وبحثاً عن الدليل اللازم، يتحول موك الى هلاك حيوانات الماموث (فيلة منقرضة) السيبيرية. فقد كان في سيبيريا قبل العصر الجليدي عشرات الالوف من هذه الحيوانات المكسوة بالفرو والتي تعتبر من اضخم مخلوقات الارض. ويتصور موك ان الغمامة السوداء المميتة قتلت هذه الوحوش العظيمة فجأة، وفي بطونها آخر وجبات تناولتها. واليوم لا تنمو في سيبيريا انواع النباتات التي اقتاتها الماموث. ويظن موك ان احداً لم يستطع اعطاء تفسير مرض للصقيع الفجائي الذي جمد حيوان الماموث "ابن عم الفيل"، محولا سيبيريا الى ما يشبه ثلاجة هائلة. ويعتقد موك ان اصطدام الكويكب جعل الارض تتذبذب في دورانها، فأمالت القطب الشمالي الى حد يكفي لاحداث التغيير السريع في المناخ.

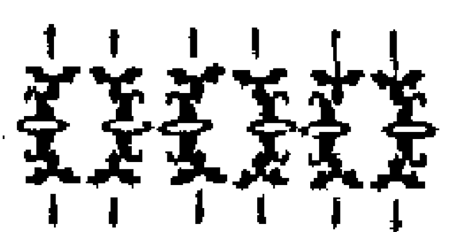
ويفترض موك ان الغمامة السوداء الهائلة المؤلفة من الرماد البركاني والبخار حملت كميات عظيمة من المياه التي خلقت ما سماه الكتاب المقدس "الطوفان". واشار افلاطون كذلك الى "بحر من الوحل" جعل الابحار وراء مضيق جبل طارق متعذراً

لوقت طويل. وفي العام ١٩٢٢ بدأ عالم الآثار السير ليناردوولي الحفريات في اور، عاصمة سومر القديمة في بلاد بابل (العراق). وتحت قبور الملوك الاوائل عثر وولي وفريقه على طبقة من الطين تبلغ سماكتها ٢،٥ امتار، الا انها خالية تماماً من الآثار، لا قدر فيها ولا قطعة نقود. لقد زال نهائياً كل ما وجد قبل هذا الطوفان.

هنا نجد التفسير الافضل لغياب ذكر اطلنطيد، اذ يقدر موك ان استعادة الجنس البشري رشده وحياته السوية بعد كارثة "الكويكب" استغرقت ٣٠٠٠ سنة. وخلال معظم ذلك الوقت حومت فوق اوروبا الشمالية غمامة سوداء هائلة من الرماد البركاني. وبالنسبة الى الذين نجوا من الطوفان وعاشوا تحت الغمامة، كانت الحياة صراعاً قصيراً وقاسياً من اجل البقاء. وكانوا يتجولون تحت سماء سوداء ضاربة الى اللون البني، بانت الشمس من خلالها وهجاً احمر باهتاً.

وبحلول الوقت الذي استرد الجنس البشري بداءة المدنية، نحو الالف الرابع قبل الميلاد، لم يبق من اطلنطيد غير اسمها. لقد اندثرت جميع آثار علومها وفنونها ولغتها. واحتاج الجنس البشري الى ٦٠٠٠ سنة اخرى ليجمع بكثير من الكد والجهد المعرفة التي استخدمها موك ليسبر اعماق المحيط ويكتشف في السماوات فوقه تلك النجوم المنحرفة التي يستنتج انها دمرت اطلنطيد.

■ توماس فليمنغ



الطبيب للمريض: "اليك الخبر المفرح أولا: هناك مرض جديد سيُطلَق اسمك عليه".

صحيفة "الأسد"

طويلا... ستنتظر

موظّف الهاتف للمتكلم: "المدير يتكلم على الخط الآخر، فهل تودّ ان تنتظر؟ واذا كان كذلك، فهل تريد الاستماع الى موسيقى كلاسيكية أو شعبية أو صاخبة؟"

هـ.م.

للجهل فوائد

أعطى أحد الكتّاب النصيحة الآتية: "إذا كنت تعد قائمة بأسماء اشخاص للذهاب في رحلة مشتركة، فاحرص على ان تضمّنها اسم شخص جاهل لا يتورّع عن طرح جميع انواع الاسئلة، لأن هذا سيؤمن لك مقداراً هائلا من المعلومات التي لن تأتيك عن طريق اخرى".

الآباء يأكلون الحصرم والأبناء يضرسون

عدد الاولاد الذين يصدمهم طلاق والديهم ينمو بالملايين، وبات يشكل ازمة اجتماعية تهدد بزعزعة متانة الاسرة في العالم

مظهرهم الخارجي يوحي بانهم لا يختلفون عن الاولاد الذين تبقى أسرهم متماسكة سليمة. فهم يرتدون سراويل الجينز البالية نفسها، وفي بسماتهم تلمع دعامات الأسنان المعدنية، ويمضون ساعات لا حساب لها في الاستماع الى الموسيقى العصرية، الصاخبة. لكن الطلاق يبقى سلسلة موجعة مؤثرة من الازمات التي تفصل اولئك الاولاد عن الآخرين وان هو لم يعد يعتبر وصمة عار.

عددهم هائل في ذاته. ففي الولايات المتحدة وحدها هناك حالياً اكثر من ١١ مليون ولد دون السن الثامنة عشرة حصل طلاق بين والديهم. وسنوياً يواجه مليون طفل آخر صعوبات جمة بسبب تفكك أسرهم. ويقدر ان ٤٥ في المئة من الاطفال الذين يولدون سنوياً في الولايات المتحدة يعيشون في كنف واحد من والديهم في وقت معين قبل بلوغهم الثامنة عشرة. ويقول البرت سولنيت، مدير مركز دراسة الطفل في جامعة ييل في نيو هيفن في ولاية كونيتيكت: "الطلاق هو احدى ازمات الصحة العقلية الاكثر خطورة وتعقيداً التي تواجه اولاد الثمانينات".

خامرني شعور بأني كنت السبب، وان الله ربما كان يعاقبني. ولذلك حاولت ان اكون صالحة فعلا عن طريق عدم ايقاظ امي قبل موعد المدرسة وتحضير فطوري بمفردي راجية ان يغير الله رأيه. لكن ثلاث سنوات مضت حتى الآن. ومع هذا، فعندما أسأل ما هي امنيتي، تراني ما زلت اتمنى ان يعود ابي الى البيت.

فتاة في التاسعة

وعلى رغم الانتشار الواسع للطلاق، فان قلة من الاولاد تملك الاستعداد الكافي لمواجهته. وحتى عندما يصل خبر الطلاق الى الطفل برفق، يقول

خبراء الاسرة، فان رد الفعل يكاد يكون واحداً: صدمة يعقبها انقباض فنفي فغضب فاحتقار للذات. ولدى الاولاد الذين لم يبلغوا سن المراهقة يلي ذلك شعور بانهم هم المسؤولون بطريقة ما.

حتى الأطفال الذين تراوح اعمارهم بين الثانية والرابعة قد يشعرون بأنهم تسببوا في الطلاق، وكثيرا ما ينكفئون الى سلوك اتكالي فيطالبون بأن يُطعَموا مثلا او يعودون الى الحفاضات (غيارات الاطفال).

والاطفال بين السادسة والثامنة كذلك ينسبون الى انفسهم مسؤولية الطلاق. غير ان مخاوف اضافية تساورهم وابرزها الخوف من ان يتخلى الجميع عنهم ومن ان يفقدوا محبة الجميع. ويشرح جون تدسكو، رئيس قسم علم النفس في مركز دي موين لتوجيه الطفل في ولاية آيوا: "ان سنهم تمكنهم من تفهم الوضع، لكنهم يفتقرون الى القدرة على التكيف معه". ويوافق خبراء كثيرون على ان هذه هي السن الحرجة بالنسبة الى اولاد الطلاق.

ويحاول بعض الاولاد، خصوصاً الصبيان الذين ترك آباؤهم البيت، ان يصبحوا هم الوالد المفقود. وقد انهك صبي في السابعة نفسه بسهره الليل كله ليحمي امه وشقيقته من اللصوص.

وبين التاسعة والثانية عشرة، تكون العاطفة الطاغية على الاولاد غضباً موجهاً نحو الوالد الذي يظنونه البادىء بالطلاق. لقد اتهمت فتاة في التاسعة أمها بأنها طردت اباها من البيت. وهي قالت لعاملة اجتماعية: "تتصرف امي مثل طالبة جامعية. فهي في الحادية والثلاثين، ومع هذا ترقص وتضرب مواعيد للشبان وتريد دائماً ان تكون مع اصدقائها".

وللاولاد بين الثالثة عشرة والتاسعة عشرة مجموعة مختلفة من المشاكل. فهم لا يلومون انفسهم كثيراً على انفصال والديهم، لكنهم يحملون عبء ما يسميه تدسكو "معضلة الولاء". وتقول فتاة من شيكاغو في الرابعة عشرة من عمرها: "امي لا تريدني ان احب أبي، والعكس بالعكس. فهي تخبرني قصصاً تسيىء الى أبي، وهو يروي لي قصصاً عنها".

ويمثل جنس الطفل دوراً في تأثره بالطلاق. ويقول عالم النفس في جامعة فرجينيا، إ. مافيس هذرنغتون الذي أنجز دراسة حديثة عن ٧٢ اسرة امريكية مطلقة من الطبقة الوسطى، ان لتأثير الصداقة اثراً ابلغ لدى الصبيان. فالجميع يتوقعون منهم اموراً لا يتوقعونها من البنات، ونتيجة لذلك يتلقون من امهاتهم ومعلميهم وأندادهم مقادير من التشجيع والمساعدة ادنى كثيراً مما تتلقاه البنات.

مآسي الصغار — الهاجس الذي يستحوذ على الاولاد جميعهم، بصرف النظر عن فارقي السن والجنس، هو جمع الوالدين بعد افتراقهما. وقد امضى طفل من شيكاغو لا يتجاوز عمره السنتين ونصف السنة ساعات قلقة محاولا ان يضع يد ابيه في يد امه. وقضت ابنة تسع سنوات في نيويورك الشتاء كله من دون ان ترتدي سترة (جاكيت)، محاولة ان تقع فريسة مرض يكفي لجعل والديها يضطران معاً الى العناية بها. وهي تقول بحزن: "كانت نتيجة كل جهدي ان اصبت بحالات زكام عدة".

بعد الزواج الثاني

في الولايات المتحدة نحو ٤ ملايين زوج أم (يسمى بالعربية الراب") وزوجة أب (الرابة) و٦،٥ ملايين ربيب من زواج سابق دون الثامنة عشرة. ومع انه يحلو للبعض ان يفكر في ان مثل هذه الاسر، "المكونة من جديد" او "المندمجة" تحيا في نعيم الزواج الثاني، فان هذا النعيم قد يكون قصير العمر. ذلك لان صدمة الزواج الثاني للأسرة، مهما ارتفعت الآمال والتوقعات، لا تفوقها قوة الا ازمة الطلاق. ونظراً الى عدم وجود خطوط هادية لسلوك الأسرة "المعاد تكوينها"، فان خبيراً واحداً على الاقل يعزو المعدل الأعلى للطلاق في الزيجات الثانية ـ ٤٠ في المئة في مقابل ٣٣ في المئة في الزيجات الاولى ـ الى ضغط محاولة حل جميع المشكلات الناشئة.

وكثيراً ما يشعر الاولاد الذين يدخلون أسرة ابيهم وزوجته او اسرة امهم وزوجها بهزيمتين اثنتين: الاولى عجزهم عن منع الطلاق، والثانية عجزهم عن منع الزواج من جديد. وقد يتحمل الراب" او الرابة وطأة الغضب الذي يضمره الاولاد للوالد الذي يشعرون بانه هجرهم وتخلى عنهم. ولزيادة البلبلة، كثيراً ما يرث اولاد الزواج الثاني مجموعة جاهزة من الأخوة والأخوات من الراب" او الرابة، وهم ليسوا مستعدين لهؤلاء الاقرباء.

وعلى رغم المشكلات، فان عالمة النفس املي فيشر وزوجها جون، وهو طبيب نفس (ويعمل كلاهما في مؤسسة امريكية تعنى بشؤون الزيجات الثانية)، يعربان عن تفاؤل حذر في ما يتعلق بفرص نجاح هذه الزيجات. وتقول املي فيشر التي اشتركت مع زوجها في تأليف كتاب عن هذا الموضوع: "لقد رأى الاولاد تمزق علاقات الراشدين إما عن طريق الموت واما عن طريق الطلاق، واما امهم فرصة رؤية زوجين يعملان معاً على نحو ايجابي. ويمكن ان يمنحهم هذا ايمانا بمستقبلهم".

الا ان تقدير ما قد يحدث يبقى غير ثابت بالنسبة الى معظم اولاد الطلاق. فلا احد يعلم علم اليقين ماذا سيكون التأثير في نهاية المطاف. ويلاحظ آرثر نورتون، رئيس فرع الزواج والأسرة في مكتب الاحصاء الرسمي الامريكي: "تقليدياً، كانت الأسرة هي التي تنقل القيم الاجتماعية. فهل ان عدم الاستقرار في الاسرة سيجعل المؤسسات الاجتماعية غير مستقرة؟ حتى الآن يصعب الجواب عن هذا السؤال".

لن تشعر بالانتماء والاستقرار بعد ذلك ابداً، بل تنتقل من مكان الى آخر. وانا لا اشعر أني في بيتي عندما اكون في بيت ابي، كما احسني غريبة جداً حين تكون صديقته موجودة.

فتاة في الخامسة عشرة

ان التكيف مع الحياة بين بيتين ووالدين هو امر معقد ومحير. وتكاليف المقاضاة ولوازم بيتين يمكن ان تخفض مستوى حياة الاسرة الى حد كبير. ووجد تقرير صدر حديثاً عن مكتب الاحصاء الرسمي الامريكي ان ٣٥ في المئة فقط من الامهات المطلقات او المنفصلات او اللواتي تزوجن ثانية او العازبات يتلقين نفقة عن الاولاد الذين هم في رعايتهن وكان على امرأة مطلقة تعاني ضائقة مالية في لوس انجلس ان تنقل اولادها الثلاثة الى منزل والديها الصغير في الجانب الآخر من المدينة. وبذلك الانتقال لم يخسر ابنها البكر والده وبيته فحسب، بل مدرسته واترابه ايضاً.

والاكثر تمزقاً هم الاولاد الذين

تجرى حولهم نزاعات قضائية تتعلق بالوصاية عليهم، والمحاكم هنا تواجه دعاوى ذات تعقيدات وملابسات غير مألوفة. وتتراكم القضايا الطويلة والأليمة لدى المحاكم العائلية نتيجة لتفاوض الوالدين على الوصاية المشتركة او اصرارهم على الانفراد بالوصاية، ونتيجة العدد المحزن من الازواج الذين يرفضون حمل عبء اي وصاية.

ولتجنب الالم الناتج من منازعات الوصاية العقيمة يتحول الوالدون اكثر فأكثر نحو الوصاية المشتركة، فيتقاسمون مسؤولية متساوية في رعاية الطفل والعناية به. وهذا يعني عادة ان الاولاد يتنقلون كالمكوك بين بيتي والديهم. ففي هيوستون في ولاية تكساس يمضي شقيقان، في السادسة والتاسعة من العمر، ليلة مع امهما وليلة مع ابيهما وزوجته، ويتم التبادل نفسه في عطل نهاية الاسبوع. لقد مضى على تطبيق هذا الاختبار اربع سنوات، ويبدو انه يجري بنجاح، او يكاد. فالتقرير المدرسي للصبي الأصغر سناً الذي لا يزال في الحضانة ممتاز في ما عدا اشكالا واحداً: لم يكن متأكداً اين يقيم.

اذكر قبيل عيد ميلادي السادس عندما قال ابي في اثناء الغداء انه سيتركنا، حاولت ان اقول: "لا يا ابي، لا تفعل"، لكني لم استطع النطق. وتغيرت حياتي في تلك اللحظة. كنت سعيدة دائماً وفجأة اصبحت حزينة.

فتاة في الثامنة

كم تطول فترة التكيف لدى اولاد الطلاق؟ هذه ايضاً تختلف تبعاً لسن الطفل ولاستقرار حياته في اعقاب الانفصال. ويستنتج العالم النفسي هذرنغتون ان الصدمة تبدأ تخف بعد سنة او سنتين من الانفصال. ووجدت احدى الدراسات التي اجريت على اولاد الطلاق بعد خمس سنوات من انفصال والديهم ان نحو ٣٣ في المئة منهم بدوا مرنين الى حد سهل عليهم التكيف وفقاً لحياتهم الجديدة، وان نسبة مماثلة تتدبر امورها ببعض الارتباك. اما الباقون فيعانون اثر الصدمة وينظرون خلفهم الى حياتهم السابقة بتوق شديد.

وتحاول المؤسسات واصحاب الاختصاص معالجة مشاكل الطلاق بطرق جديدة. فبدأت المدارس تتنبه الى الحاجات الخاصة لاطفال الاسر المطلقة. ويقدم "معهد ماكلين للاستشارات المدرسية" في بلمونت في ولاية مساتشوستس برنامجاً يدرب المعلمين على افضل السبل للتعامل مع المطلقين واولادهم. وبدأت مدارس عدة برامج هدفها اكتشاف الاولاد المضطربين في مرحلة باكرة. وفي لكسنغتون في الولاية نفسها تألفت جماعة تضم ٣٠ فتى وفتاة تراوح اعمارهم بين الثالثة عشرة والتاسعة عشرة وتدعى "جماعة الاولاد المطلقين". ويعمل هؤلاء على مساعدة انفسهم بأنفسهم ويجتمعون مرة في الاسبوع في اشراف احد مرشدي المدارس الثانوية، وذلك لتحليل مشاعرهم ومساندة بعضهم بعضاً.

"الناجون" – تستعين المحاكم بذوي الاختصاص لمساعدتها في تقرير قضايا الوصاية وحقوق زيارة الاولاد. وبدلا من الاجراءات القضائية الحافلة بالخصام المرير حيث يتقاتل المحامون دفاعاً عن موكليهم من غير

اعتبار لمصلحة الطفل العليا، تحيل بعض الولايات الامريكية هذه القضايا على محاكم التوفيق حيث تستطيع الاسر التوصل الى تسوية بمعونة فريق ثالث غير متحيز، او تعين وصياً يمثل الطفل. وفي قضايا التنازع على الوصاية في ولاية وسكونسن، يطلب القانون من المحكمة ان تعين محامياً للطفل.

وفي لوس انجلس، حيث تتوسط محكمة التوفيق بنجاح في ٥٥ في المئة من القضايا، تستخدم المحكمة ١٢ مستشاراً عائلياً لتقويم امور الوصاية فضلا عن هيئة للمحققين من عمال اجتماعيين يحملون درجة جامعية عالية (ماجستير) ويجرون دراسات عن الاسرة لتقرير الجهة التي تستطيع ضمان مصلحة الطفل. ويقول مارفين فريمان، الذي تقاعد من منصب القاضي المشرف على محكمة الاحوال الشخصية في لوس انجلس: "انهم يحلون من المشاكل اكثر مما يحل جميع المحامين والقضاة معاً".

وبرامج الاستشارات تساعد في حل المشاكل ايضاً. ففي مقاطعة هنبين في ولاية منيسوتا الامريكية، مثلا، تقدم دائرة خدمات المحاكم برنامجاً مجانياً يدعى "اختبار الطلاق" للاسر التي توشك على الانحلال. وفي احدى الحلقات تبحث النواحي القانونية والاجتماعية والعاطفية للطلاق ويجري اطلاع الاسر على الوسائل المتاحة لمساعدتها في التغلب على الصعوبات.

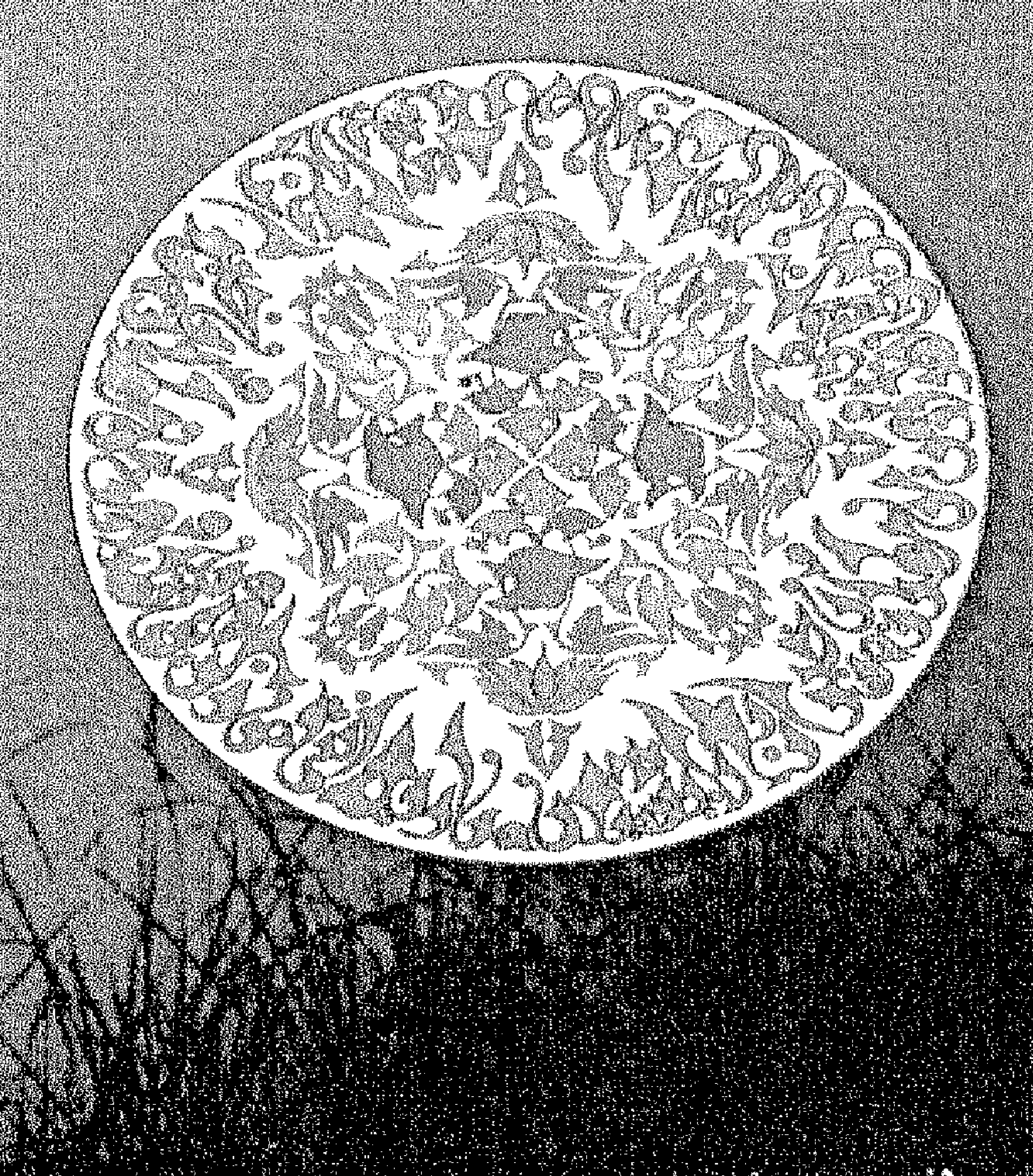
ويمكن تخفيف وطأة الطلاق منذ البداية اذا ابلغ الاولاد على نحو لائق وطمئنوا الى مستقبلهم. وينصح عالم نفس الاطفال لي سالك الوالدين باطلاع الطفل على خططهما معاً اذا أمكن وبعدم أخفاء كربهما. ويقول سالك، وهو نفسه أب مطلق يتولى الوصاية على ولديه: "ان اهم ما يتعين على الوالدين فعله هو ان يقولا للطفل انهما لن يطلقاه هو ان هما طلق احدهما الآخر".

ومع ان الطلاق ليس سهلا على اي ولد، فان بعض الاولاد يخرجون منه بجروح قليلة. المختصون في شؤون الاسر يسمون امثال هؤلاء الاولاد "الناجين"، ويقولون انه يمكنهم ان يصبحوا اكثر اعتماداً على النفس واكثر راحة متى افلتوا من جو النزاع العائلي. وتقول نانسي وستون مديرة "عيادة الاسرة المشرفة على الطلاق" في سانتا مونيكا في كاليفورنيا: "هؤلاء الاولاد ينسجمون تماماً مع كلا الوالدين". وثمة من يزعم ان الطلاق يمكن ان يكون ايجابياً للاولاد، فمن الواضح ان الكثيرين هم افضل حالا خارج الاسر التي يكثر فيها الشجار بين الابوين. وتقول لينور فايتسمان، العالمة الاجتماعية في جامعة ستانفورد ومديرة مشروع بحوث قانون الطلاق في ولاية كاليفورنيا: "لا احد يعلم مدى التمزق الذي يسببه اصرار الاسر الشقية على التماسك، فما من احد اجرى دراسة عن حال كهذه".

ويقول احد ابرز المحاضرين والكتاب الامريكيين المتخصصين بشؤون الطلاق ان هذا قد يكون اكثر ايذاء من الموت. ويضيف: "الفرق الكبير هو ان الموت له نهاية. اما الطلاق فلا ينتهي ابداً".

■ مجلة "نيوزويك"

أهوار العراق

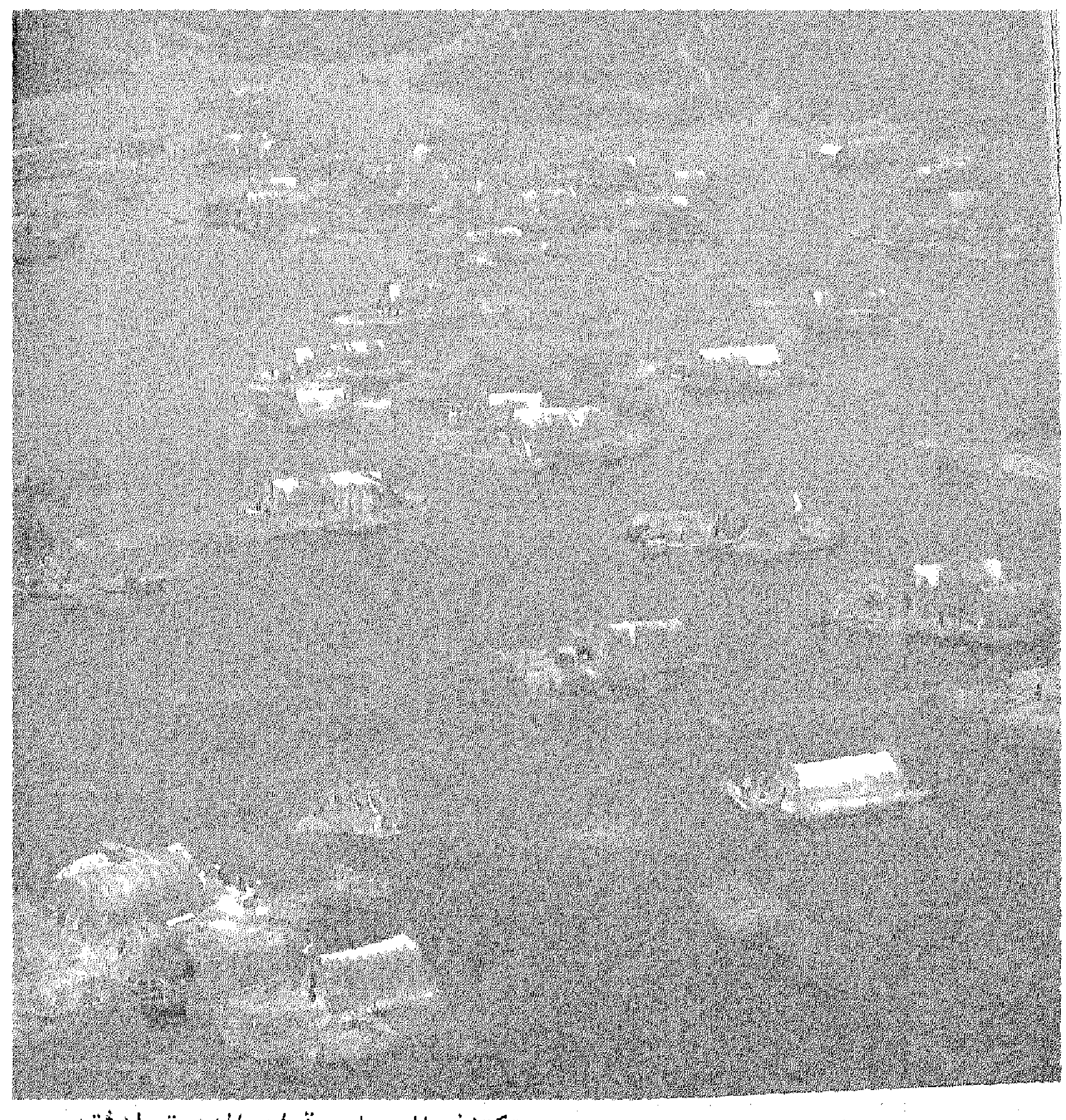


في تلك العزلة المهيبة
ترتاح أكواخ القصب فوق الماء
كمراكب راسية في بحر هادئ

حفظ من عذاب وباء

عند الاله الجليل العظيم الاحسان

حرب عن ماتعال.



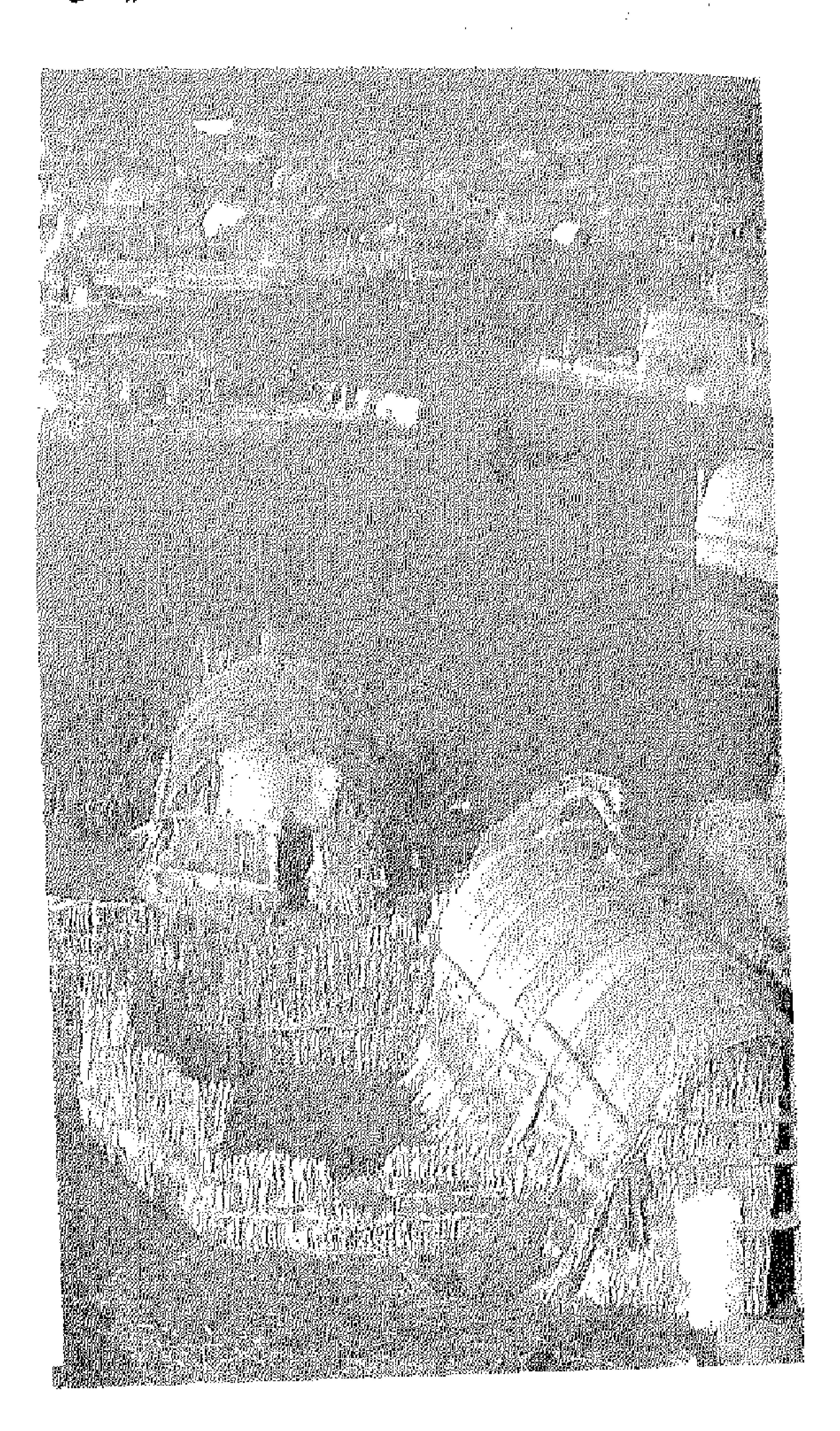
يخيّل الي الآن اني عرفت عرب الأهوار (في جنوب العراق) منذ زمن طويل، الا اني، قبل لقائهم في يوم مشمس من العام ١٩٥٢، كدت لا أعي وجودهم. كل ما كنت اعلمه انهم يعيشون في ارض سومر القديمة المنبسطة بين نهري دجلة والفرات، ومع ذلك، فحين دعاني الرحالة المستعرب الكبير ويلفرد تيسيغر لمرافقته الى عالم عرب الأهوار الذي تكتنفه الاسرار، قبلت الدعوة بلهفة.

التمست اجازة اسبوع من عملي، وسرعان ما وجدتني اغادر البصرة شمالا في سيارة أجرة متداعية، الى البلدة الصغيرة الرابضة على ضفة النهر والتي حددها تيسيغر ملتقى لنا.

بعد ثلاث ساعات اجتزنا خلالها مئة كيلومتر، وصلت السيارة الى درب موحلة حافلة بالاخاديد وتوقفت قرب

ية صَحَيْن ٠

سايغال ٠



مجرى مائي كبير٠ ولمحت في الماء زورقاً جميلا اسود على بعد بضعة امتار٠ وقف تيسيغر بجانب الزورق ومعه أربعة رجال تقدموا نحوي مصافحين٠ فقال تيسيغر: "هؤلاء الشبان هم من عرب الاهوار٠ وهم سيَعْتَنون بك٠ اصعد الى الزورق من وسطه تماماً والا انقلب عليك"٠ وغطس الشبان مجاذيفهم في الجدول البني الباهت، وانطلقنا الى عالم آخر، عالم يضيع فيه المرء، يمتد فوق مساحة ١٥٥٠٠ كيلومتر مربع٠ نظرت عبر صفحة الماء الجلية كالزجاج، فرأيت زواحف تدب عميقاً وأسماكاً مضطربة٠ وقال تيسيغر: "هذا هو الهور"٠

كانت الايام القليلة التالية ساحرة٠ وكنا نندفع خارج أدغال القصب الى بحيرات فسيحة باهرة ومشمسة٠ رأينا المِعْدان، وهم رجال الهور، يصيدون السمك برماح طويلة ذات خمسة رؤوس حادة وهم واقفون كل في مقدم زورقه٠

ومكثنا في قرى الهور، حيث ترتاح أكواخ القصب على الماء "كأسطول سفن مضاءة راسية في بحر هادىء" كما وصفها أحد الكتاب٠

والزوارق ضرورة حياتية للتنقل بين تلك الاكواخ٠

كان الجمال الطبيعي للمكان أخاذاً: طيور الرفراف (★) الأرقش تغوص حولنا منقضة على الاسماك، واسراب اللقالق تحوم عالياً في شبه دائرة، وأساطيل ناصعة كالثلج من بجع جليل يقصد البحيرات للصيد، فيما يحوِّم نسر واحد في السماء٠ وكان دَغْل القصب الذي اخترقناه يختلج بالحياة البرية: ثعالب الماء، طيور مالك الحزين، وسواها٠ وغالباً ما يرتفع في السكون صوت فتى يُطلق لحنجرته العنان في اغنية حب وهو يحصد الأسل (او السَّمار، وهو نبات تستخدم اوراقه الاسطوانية الطويلة في صنع الكراسي)٠

(★) الرفراف: طائر يعيش قرب الانهر ويقتات بالاسماك٠

Photos: Nik Wheeler/ Black Star

تسمير الالواح الجانبية في المشحوف.



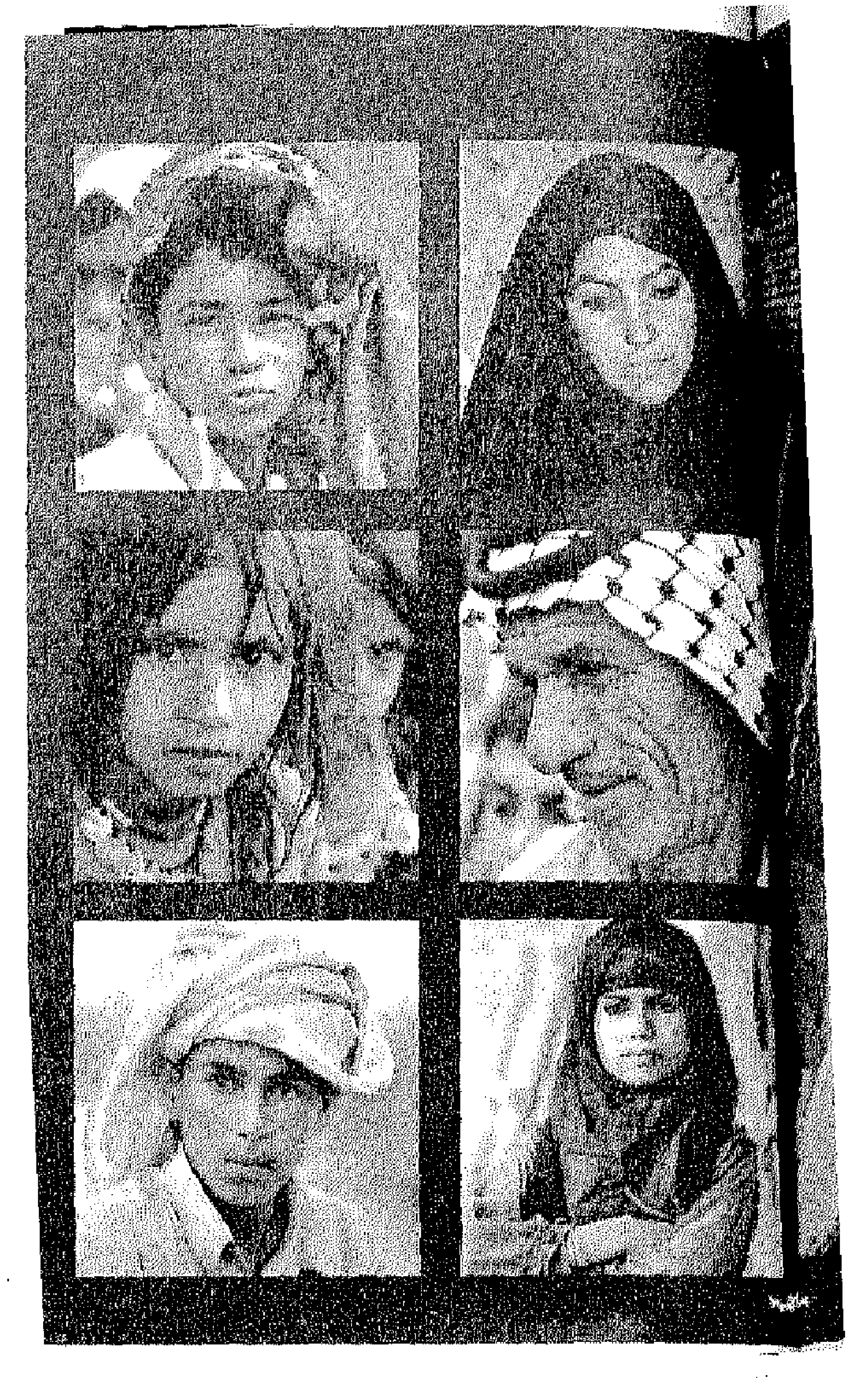
قوارب المشحوف الجاهزة تنتظر طليها بالقار.



في تلك العزلة المهيبة بنى الاله انليل – كما تروي الاسطورة – منبراً عائماً من القصب على وجه الغمر. ثم خلق الغبار ونثره حول المنبر. هكذا كوّن العالم. ان حنيناً كونياً يشد المرء الى هذا المكان.

بيوت من قصب – كان السومريون أول من تعلم القراءة من شعوب جنوب العراق. وفدوا في وقت ما قبل نحو خمسة آلاف سنة، واختلطوا بالشعوب المحلية. فأسسوا في منطقة الهور حضارة ذات عظمة لا تضاهى. وكانت مدن سومر مستعمرات واسعة أنيقة، ذات هياكل وخنادق وأسوار دفاعية. وكان يحكم كلا منها ملك. وفي المدن الهاجعة في أسرّة القصب العملاقة على الضفاف، وُلدت الكتابة، محفورة بقصب على ألواح طينية نُبشت منها مئات الألوف. وما زال هناك كثير للاكتشاف. فَمَن يعرفُ ماذا يكمن تحت مياه الاهوار؟

وشعب الاهوار اليوم يتكلم العربية لا السومرية، فهذه انقرضت منذ نحو اربعة آلاف سنة. غير أن عرب الاهوار ما زالوا يبنون زوارقهم بالطريقة التي بنى بها السومريون مراكبهم



ن اليمين افقياً: عروس من سايغال، تلميذ ن القباب، صُحَين: قوي ومرح وجليل، فتاة من عشيرة الفريجات تبرجت بالقطع لنقدية التقليدية، فتاة من عشيرة فرطوس في قرية نصايف بن جاسم، صبيّ من عشيرة البومحمد في العمارة.

قبل سبعة آلاف سنة. والمشحوف مركب شراعي صغير وسريع مبني من خشب التوت العراقي القاتم بأبسط الادوات، كالمنشار والمطرقة والمثقاب (واليوم يدخل في صنع هذه المراكب خشب مستورد من ماليزيا واندونيسيا).

ويغلب على الظن ان السومريين احضروا جواميسهم المائية الاولى من الهند. واليوم نشاهد سلالة هذه الجواميس المائية متقوقعة بأجسادها الثقيلة السوداء على المنابر الصغيرة المستديرة القائمة في كل كوخ.

ونادراً ما تُنْحر هذه الجواميس من أجل لحمها، لكن لحليبها وروثها اعتباراً خاصاً. فروثها يجفف قطعاً مربعة رقيقة تزود مواقد أكواخ الاهوار، اما حليبها فيشرب أو يُصنع منه اللبن الدسم أو السمن.

وبيوت الاهوار مبنية اليوم، كما كانت تبنى في عهود السومريين، من القصب: صف خلف صف من أعمدة قصب غليظة تُثنى وتقرن معاً في اطار مقوّس، تدعمه ركائز قصبية تربط بها حصر من قصب أيضاً تغطي السقف والجدران. وتطورت هذه الطرق قرناً بعد قرن، لتجنب ساكني الاهوار الحر والبرد معاً.

إن كلا من هذه المنازل مبنيّ على جزيرة صغيرة خاصة. ومع ذلك فقلما نجد جزيرة طبيعية بينها. يخلق الانسان الجزيرة، تماماً كما خلق انليل العالم.

فما على المرء الا ان يقرر حجم منزله. ثم يكوّم جبلا صغيراً من نبات الأسل ويدوس برجليه في الماء داخل سياج قصبي يرتفع فوق وجه الغَمْر. فحين تبلغ الاكوام الخضراء، المكدسة والمداسة، سطح الماء يُطوى السياج فوقها. ومن ثم تتابع عملية تكديس القصب ودوسه حتى يصبح في حجم جزيرة صغيرة. ومن اجل بناء جزيرة اكثر متانة، يمكن مد

رجال الاهوار يصيدون السمك برماحهم في بحيرة الدغيمة.

طبقات من الطمي بين طبقات القصب والاسل.

هب ازلي – بعد زيارتي الاولى برفقة نيسيغر عدت الى الاهوار مراراً، فاكتشفت انها ليست دائماً غارقة في اشعة الشمس. كان يكتنفها فجر ضبابي رمادي معتدل البرودة، رياح باردة تنتحب، وتساقطُ مطر يهسهس عبر الماء. في ذلك الوقت بدت البحيرة العملاقة خطرة، كأنها من رصاص. ومع ذلك كنت احبها.

ثم مرت عشرون سنة ونيّف قبل ان أعود، عام ١٩٧٣، الى الاهوار للمرة الاخيرة. وبعدما عبرنا دجلة عند العمارة، انبسطت الارض والسماء تماماً كما كنت اذكر. لكنني أدركت ان هناك تغييرات حصلت. وتوقفت السيارة أمام حافة الماء حيث التقيت نيسيغر قبل احدى وعشرين سنة. وتوقف محرّك الزورق الذي حملني الى الهور مرتين وسط المجرى المائي، لكننا تلوينا مع النهر بتمهل وتفة.

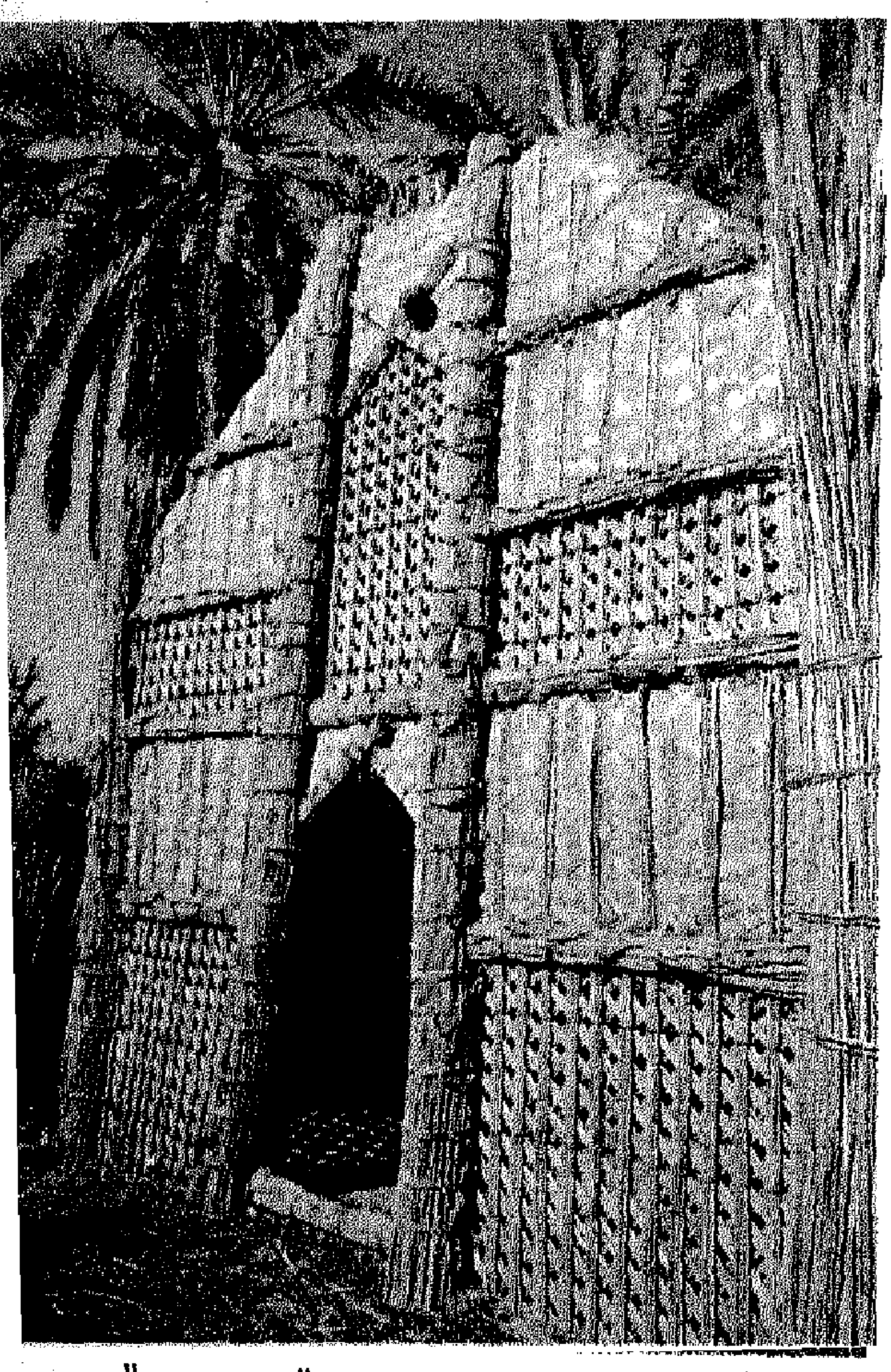
أسراب الرفراف الأرقش تهبط من أشجار الصفصاف كما كانت تفعل دائماً. والسلاحف الصغيرة القاتمة تنزلق كعادتها الى جحورها الوحلية حين كان الزورق يفري الماء قرباً في اتجاهها. كانت الشمس البرتقالية اللون الغاضبة، عينها، تنطفىء رويداً في ضباب مسائي بنفسجي رقيق.

بيد أني رأيت في الافق وراءنا

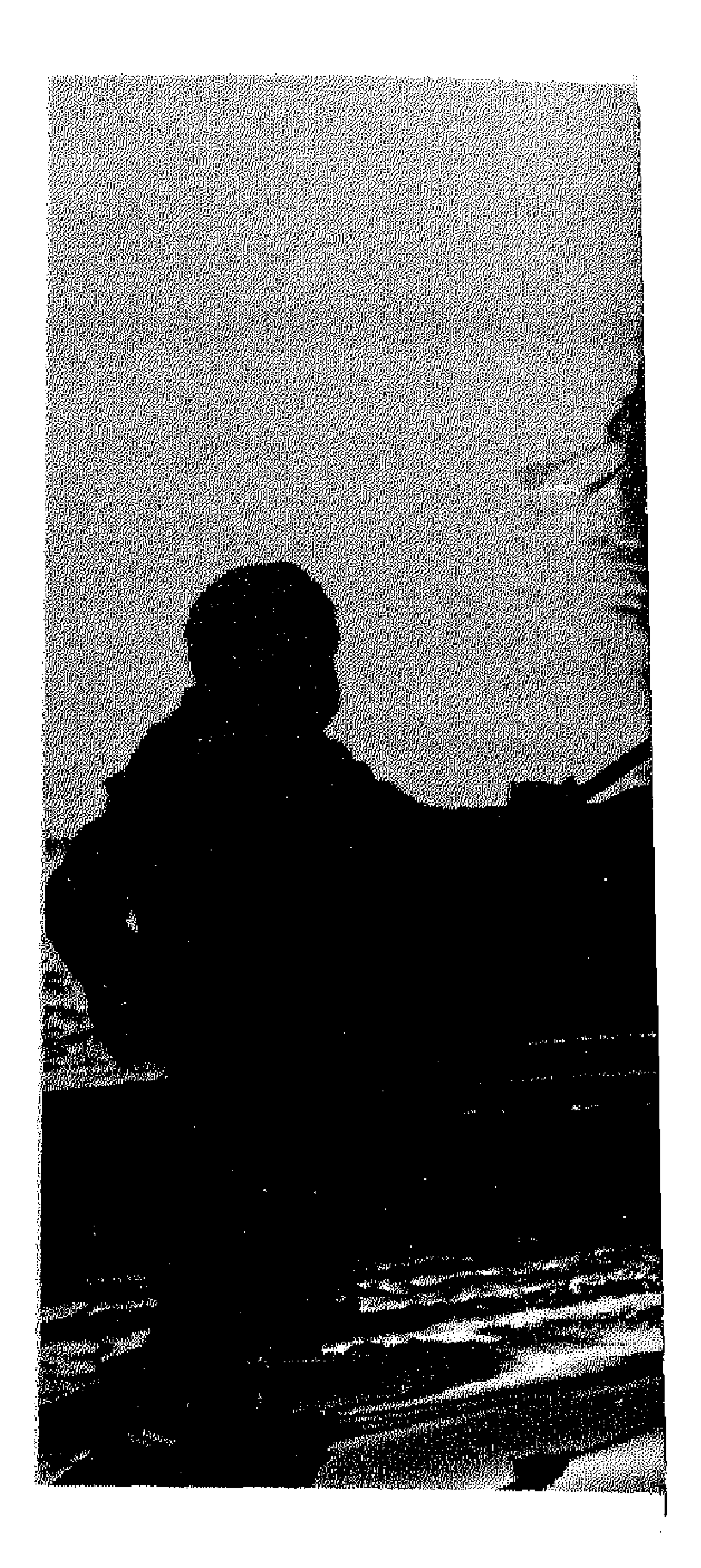

ايران
هور السعدية
هور
السنية
العراق
جزيرة العمارة
البومحمد
هور
الحوائزة
لاغاش
الفريجات
سومر
القباب
العقار
الفرات
هور
عندة
سايغال
أور
القرنة
مستنقعات
مياه مفتوحة
مدينة قديمة
مجار مائية
شط العرب
هور
الحمار
البصرة
اميال ٤٠ ٢٠ صفر

العودة بالقصب والاسل ٥

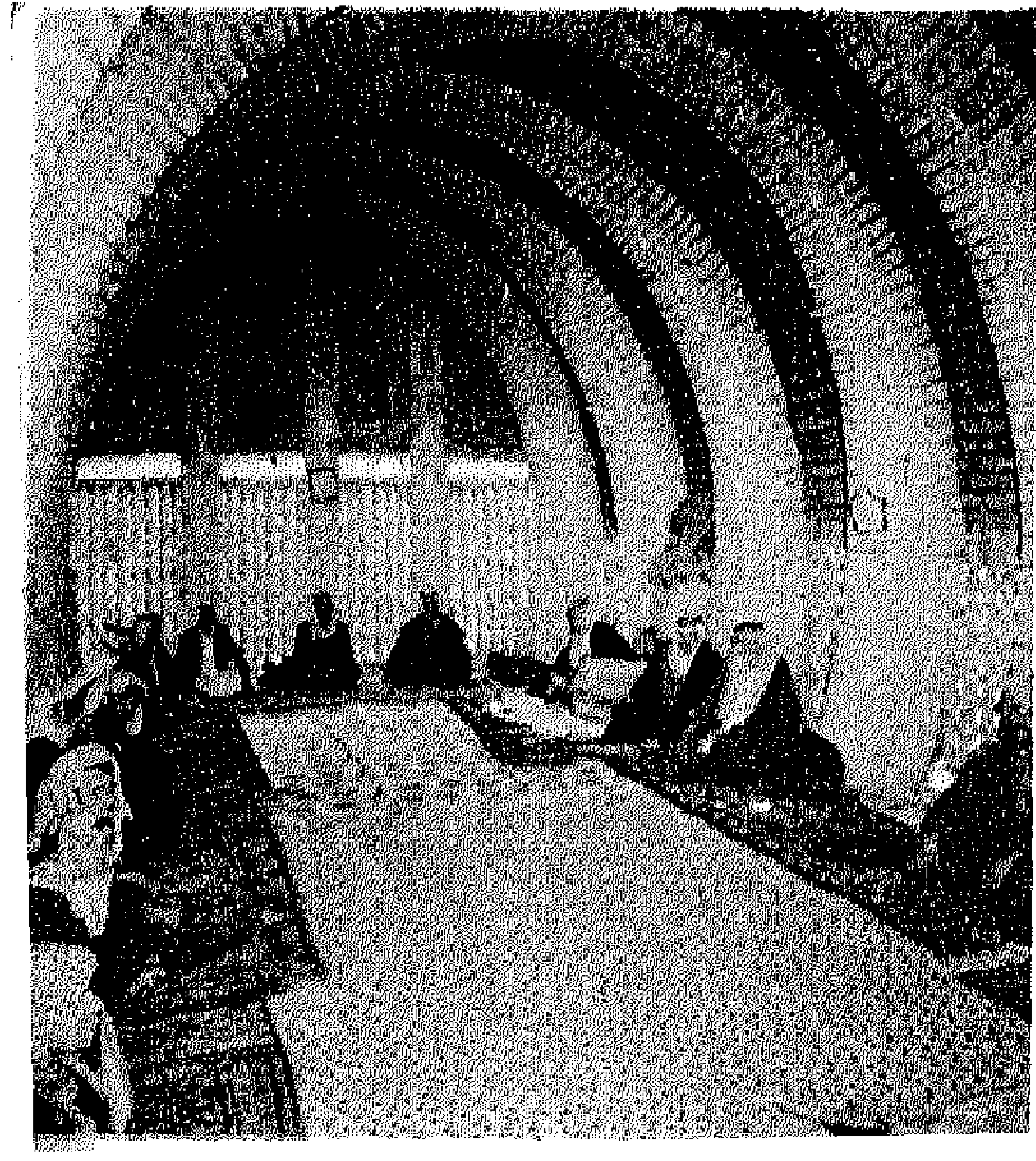




"اني رأيت بيتاً يشبه كنيسة من قصب..."



داخل "مضيف" الحاجي يونس في العقار.





بناء شاهقاً يشبه المصنع. وقال صاحب الزورق: "ذاك هو مصنع السكر الجديد". كانت قرية القباب تشتمل على أكثر من مئة منزل. وفيها مدرسة: هضبة كبيرة مكسوة بالقصب والأسل، سبع حجرات قصبية للدراسة، ومنزل قصبي، صغير للمدرسَين الشابين. صبيان القرية وبناتها جميعاً يذهبون الى المدرسة كل صباح. وتذكرت اني التقيت أهالي اولئك الاولاد قبل سنين، عندما كانت فكرة المدرسة تدهشهم.

ما هو مستقبل الاهوار؟

ان دلائل التقدم لكثيرة: هناك اطباء وممرضات وعيادات وآلات لغربلة الحبوب واطلالة أفضل على أسواق المدن وزيادة في الأراضي الصالحة للزراعة. وثمة خطط لمشاريع أكبر: السيطرة على الطوفان، مد شبكات الري، تحلية المياه، استصلاح الأراضي وبناء مصانع لتحويل القصب الى ورق. ويقول المخططون: "امهلونا عشر سنين وسنصنع المعجزات".

في غضون ذلك تبقى الاهوار دائبة النشاط وفي الامكان زيارتها. وهناك استراحات للسياح في قرية القرنة، نصفها من القصب ونصفها الآخر من الآجر، تمر بها الزوارق التي لا تهدأ ابداً. وما زال رجال الاهوار يرتدون العباءات، وقسمات وجوههم تتسم بالدقة والوسامة كما كانت من قبل. وتبقى المضافات القديمة، تلك الروائع الهندسية الفريدة، رابضة على ضفاف الفرات مثل قصور ذهبية محدودبة الظهر.

لكن في الاهوار كذلك منظراً طبيعياً لا يمحى: ابعاد السماء الشاهقة، وضخامتها التي تقزم كل شيء. وتحت قبة السماء تلك رجل يحمل حربة ويوازن زورقاً على صفحة ماء تبدو كأنها تمتد الى حافة الدنيا.

■ غافين يونغ

مهنة عقوقة

اني اطلق اسم "صحافة" على كل كتابة تصبح غداً أقل طرافة مما هي اليوم.

اندريه جيد

صحافة آخر زمان

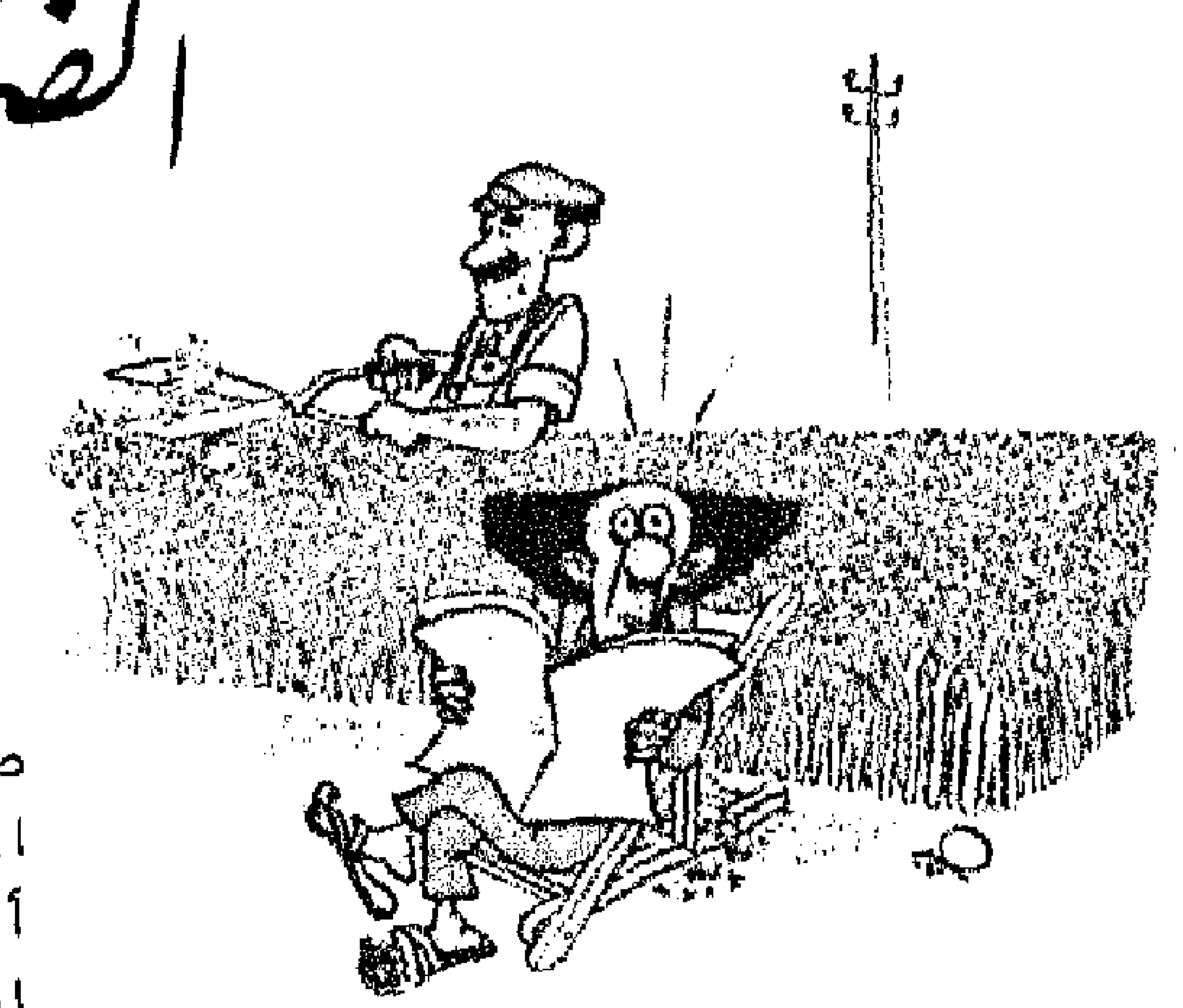
قال أحد الصحافيين ان رئيس التحرير أرسله مرة لانقاذ هرّ عالق في شجرة:

"حملتُ مع المصور سلماً طويلة، ولكن ما كدنا ان نضعها على الشجرة حتى نزل الهرّ من تلقائه، ولم يبقَ أمامي سوى امر واحد، وهو أن أحمل الهرّ واعيده الى الشجرة ليلتقط المصور صورة لي وأنا أنزله.

"وفي اليوم التالي صدرت الصحيفة وفيها صورتي وأنا أنقذ الهرّ المنكوب. إلاّ أن الصحيفة المنافسة لنا نشرت صورتي، وأنا أضع الهرّ فوق الشجرة".

س.د.ت.

الضحك خير دواء



صانعو التاريخ

في خطاب ألقاه صاحب دار نشر كبيرة أمام مؤتمر للكتاب، قال ان" مؤلفة" اتصلت به هاتفياً للاستعلام عن مخطوطة سلمتها الى الدار قبل أشهر. فسألها: "هل كانت رواية تاريخية؟"
- كلا. على الأقل" لم تكن هكذا عندما أرسلتُها اليك.

ر.ك.

مكواة الهاتف

فيما كان رجل مخمور يسير في الشارع واذناه متقر"حتان، صادف صديقاً سأله عما حدث. فأجاب: "تركت زوجتي المكواة الحامية بجانب الهاتف. ورن" جرس الهاتف، فرفعتُ المكواة الى اذني عوضاً عن رفع السماعة".
- ولكن ماذا أصاب اذنك الثانية؟
"لقد اتصل الوغد مرة" أخرى!"

ج.د.هـ.

غزل ريفي

كانت فتاة من المدينة تزور الريف، وهناك صادفت مزارعاً ونشأت بينهما صداقة. وبينما كانا يتنزهان في المزرعة ذات مساء، شاهدا ثوراً يحك" أنفه بلطف على أنف بقرة. عندئذ قال المزارع: "هذا يدفعني الى فعل الامر نفسه".
فأجابته الشابة: "حسناً، تقدم! أنها بقرتك".

ب.ل.ن.

يكفيني ما في البيت

سمع رئيس محكمة يقول لسيدة تريد الانضمام الى هيئة المحلفين: "أشك في أن تتمكني من العمل في هذه المحكمة. فأنتِ لا تصغين الى ما أقوله في البيت، ولذلك لن يمكنك الاصغاء الى ما أقوله هنا". ثم ظهرت ابتسامة عريضة على وجهه، وطلب من زوجته التوجه الى غرفة اخرى في المحكمة.

يونايتدبرس

المحلول العجيب

هرع طالب كيمياء ذات صباح الى صفه وأعلن بحماسة وابتهاج انه اكتشف محلولا يذيب كل" المواد": الخرسانة المسلحة، الفولاذ، الزجاج... فما كان من الاستاذ الا" أن سأله بهدوء: "والآن، هل لك أن تخبرنا في أي" وعاء ستضع ذلك المحلول العجيب؟"

ن.ت.ت.

مجموعة تقارير تبين انحياز
المجتمع لمصلحة الافراد الطويلي القامة



الطوال مفتاح الحظ!

وقف ليلاند دك منتظراً أمام مبنى نادي "دوكين" التابع لجامعة بيتسبورغ في ولاية بنسلفانيا الامريكية والمقصور على فئة معينة من الناس، وراح يتسلى بمراقبة الاعضاء وهم يدخلون النادي. ولفتته صفة واحدة تميزهم جميعاً، وهي انهم "كانوا طوالا على نحو مماثل"، حسبما يذكر دك من وقفته تلك قبل سنوات حين كان يشغل منصب مدير هيئة الموظفين في جامعة بيتسبورغ.

اسرت تلك الملاحظة تفكير دك الى حد قرر معه مسح عينة من متخرجي جامعة بيتسبورغ لاجراء مقارنة بين طول القامة ومعدل الراتب الشهري الذي يتقاضاه المتخرج في مستهل حياته العملية. وخرج بنتائج تحمل دلالات واضحة.

فبين ٩١ متخرجاً في صف واحد، وصل معدل الراتب الاولي للفئة التي

يقل طول افرادها عن ١٨٣ سنتيمتراً الى ٧٠١ دولار في الشهر، بينما بلغ معدل الراتب الشهري للذين هم في هذا الطول تماماً ٧١٩ دولاراً. كما تبين ان المتخرجين الذين يبلغ طولهم ١٨٥ سنتيمتراً حصلوا على رواتب معدلها ٧٢٣ دولاراً، في حين ان معدل الراتب الشهري، لمن كان طولهم ١٨٨ سنتيمتراً بلغ ٧٨٨ دولاراً. وهذا يعني ان نسبة الفرق في الراتب بين أفراد الصف الواحد الذين يبلغ طولهم ١٨٨ سنتيمتراً و١٨٠ سنتيمتراً هي ١٢ في المئة، علماً ان العلاوة المالية للمتفوقين علمياً لم تتجاوز الـ ٤ في المئة.

وأعطت النتائج التي حصل عليها ذلك عام ١٩٦٧ أول تأكيدات علمية ملموسة على حقيقة اشتبه في امرها منذ أمد بعيد، وهي ان بين المكافآت التي يمنحها المجتمع افراده الطوال المكافأة المالية.

وعلى أثر ظهور هذه النتائج، تولى الممول الاستثماري آدم بوكسر اعداد سجل وثائقي واف شرح فيه أثر الطول على دخل الفرد في الولايات المتحدة. وربط بوكسر، بالاشتراك مع زميله الاقتصادي المختص بشؤون العمال لي بنهام، بين الدخل وطول القامة في عينة قوامها ١٧ ألف طالب عسكري في سلاح الجو الامريكي كان قد سجل طول كل منهم عام ١٩٤٣. ومن هذه العينة فئة مؤلفة من عشرة آلاف طالب أبلغوا عن رواتبهم بعد مرور ١٢ عاماً وفئة ثانية من خمسة آلاف فعلت الامر نفسه بعد ٢٦ عاماً.

وخلص بوكسر وبنهام الى ان الذين يبلغ طولهم ١٨٣ سنتيمتراً وما فوق يمكنهم، حتى بعد اعتبار العوامل الاخرى كنسبة الذكاء والمستوى العلمي والوضع الزوجي، ان يضمنوا لانفسهم دخلا مالياً سنوياً يزيد بمعدل ٨ في المئة على دخل الذين يقل طولهم عن ١٧٠ سنتيمتراً، وذلك لمجرد كونهم أطول قامة. ويوجز بوكسر استنتاجاته بعبارة مقتضبة: "وجدنا تفاوتاً محدداً في الدخل يعزى الى الطول وحده".

مكافآت كثيرة — لا يقتصر تقدم الطوال على الناحية المالية وحدها. فهم سباقون ايضاً في ميادين أخرى كثيرة. والطول، كما يبدو، يفوق الاحجام الاخرى في التسابق على المكافآت الاجتماعية والجنسية والرياضية والسياسية والعملية. والذكر الطويل في الولايات المتحدة، فضلا عن كسبه ارفع الرواتب، قادر على ان يكون اوفر حظاً من سواه في لقاء الترحيب من النوادي والفوز بقلوب خير النساء والارتقاء الى اعلى المناصب. بل ان الدراسات التي اجريت حول انتخابات رئيس الولايات المتحدة اظهرت ان الناخبين لا يكتفون بتأييد المرشح الاطول، بل يسمون احياناً مرشحهم، ظناً منهم — وطالما أخطأوا — أنه أطول من منافسيه. ويصف الاقتصادي المعروف جون كنيث غالبريث (وطوله ٢٠٣ سنتيمترات) انحياز المجتمع الامريكي الى جانب الطول، واصفاً ذلك بأنه "افظع التحاملات وأيسرها غفراناً".

في مسعاي لمعرفة شعور الناس تجاه طول قاماتهم، عمدت الى توزيع عدد من الاستمارات. وتلقيت ٢٠٠

جواب. ووجدت انه يندر ان تقع على شخص واحد، مهما بلغ طوله، راض تماماً عن قامته. فالطوال يشتكون من صعوبة الحصول على ملابس ملائمة واصدقاء مناسبين ومقاعد مريحة في الطائرات. ومعتدلو القامة ـ ولو كانوا أكثر ميلا الى قبول طول قاماتهم ـ يقر معظمهم بالرغبة في ان يكون أكثر ارتفاعاً. والقصار، اي اولئك الذين لا يبلغون الحد الاوسط للطول وهو في امريكا ١٧٥ سنتيمتراً للرجال و١٦٢ سنتيمتراً للنساء، يتمنون، بلا استثناء، ان تكون قاماتهم أطول.

أما الراضون عن الطول الذي وهبوه فهم أقلية. وطالما لجأ الناس، لدى ذكر طولهم، الى الخلط بين الواقع والخيال. هناك، مثلا، مجموعة من الموظفين الجدد تبين لدى قياس طول ٣٠ واحداً منهم انهم لجأوا، عند ملء طلبات التوظيف، الى رفع ارقام طولهم الحقيقي بمقدار سنتيمترين او اكثر لجعله رقماً ملفتاً في نظرهم.

من مقاييس الرجولة ـ غالباً ما عزا الاشخاص، ولاسيما الرجال، الذين التقيهم بحكم العمل الى انفسهم طولا ليسوا هم عليه في الواقع. والسبب ان الطول، بالنسبة الى الرجال، هو من مقاييس الرجولة. ويقول احد علماء النفس: "الرجال هم اولئك الذين يبلغ طولهم ١٨٣ سنتيمتراً وما فوق"، علماً ان طول هذا العالم هو ١٨٠ سنتيمتراً. وغالباً ما يضيف، لدى ذكر طوله، السنتيمترات القليلة الناقصة، لمجرد الافتراض ان طوال القامة أقوى وأقدر من سواهم، مما يسفر عن تفضيل الطوال لدى اختيار الموظفين.

لقد عمد استاذ التسويق في جامعة شرق ميتشيغان، ديفيد كورتز، الى استفتاء ١٤٠ مسؤولا عن توظيف مديري البيع حول اختيار واحد من مرشحين متكافئين تماماً من حيث المؤهلات، طول احدهما ١٨٥ سنتيمتراً والآخر ١٦٥ سنتيمتراً. فأجاب ٧٢ في المئة انهم سيوظفون المرشح الاطول قامة. وأعرب ٢٧ في المئة عن عدم التمييز بين الاثنين، فيما قال شخص واحد فقط انه سيوظف الاقصر قامة. ومنذ نشر نتائجه هذه، لقي كورتز استجابة كبيرة من مديري شؤون التوظيف في شركات مختلفة، "ومعظمهم يقر بحقيقة ما تقدم ذكره".

واكتشف مسؤول عن اختيار مديرين تنفيذيين في سوق نيويورك المالية (وول ستريت) ان الطول شرط أساسي في الوظائف التي تقتضي صرف معظم الوقت مع الناس. وهو يقول: "حين ترسل شخصين مؤهلين متساويين لوظيفة ذات راتب سنوي مقداره ٥٠ ألف دولار، تجدهم، كل مرة، يختارون الرجل الاطول".

ويقول توم مشلينغ، مدير الاعلام سابقاً في شركة، "آي. بي. إم"، ان ثمة قانوناً غير مكتوب في ما يتعلق بممثلي الشركة "المنظورين"، كالمسؤولين عن المبيعات والعلاقات العامة والاعلام، ظل يحتم تفضيل الطوال على سواهم عبر تاريخ الشركة. وهو يقول: "ليس في القانون تشريع ينص على ذلك، لكنك تدرك بالفطرة الصورة المطلوبة. ومعروف ان رجال المبيعات في "آي.بي.ام". يبدون اشخاصاً

مغامرين ومكافحين وذوي شخصيات طاغية. والطول عنصر يساعد على ابراز هذا المظهر". ويضيف مشلينغ ان الشركة كلها كانت مشبعة بمثل ذلك الانحياز في التوظيف.

النساء أيضاً ـ ان عامل الطول في ميادين العمل لا يقتصر على الذكور. فالنساء اليوم يحاسبن باطراد بموجب الاحكام التي تنطبق على الذكور. وحتى وقت قريب، كانت النساء الضئيلات الحجم يتمتعن بمكانة مرموقة لكونهن المثل التقليدي الاعلى من حيث رقة الجسم واناقة الهندام والحشمة. لكن رقة الجسم لم تعد امراً مرغوباً، بل باتت تعني قصر الباع. لذلك تجد المرأة التي تقل طولا عن الرجل القصير صعوبة مزدوجة في ميدان الوظائف. وهذا عين ما اختبرته النائبة في الكونغرس الامريكي شيرلي تشيزولم بعد اتمام دراستها الجامعية، اذ هي رفضت حتى كمساعدة استاذ نظراً الى صغر حجمها.

وظلت على هذه الحال حتى انفجرت ذات يوم ثائرة لكرامتها وصاحت: "لا تحكموا على قدراتي من خلال حجمي". وعندئذ فقط اعطيت فرصة تجريبية تكللت بالنجاح.

وفي الوظائف التي تتطلب علاقات عامة تعطى الافضلية للنساء الفارعات. وتقول موظفة في مؤسسة للاستثمار في "وول ستريت" طولها ١٨٠ سنتيمتراً: "يمدني الطول بالهيمنة". وهي، في حضور الرجال، لا تشعر بمشكلة عدم اخذها على محمل الجد. وذلك عائد جزئياً الى الثقة التي يوحي بها طولها. لكنها لا تشك في ان للخوف كذلك شأنه مع زملائها من الذكور الاصغر حجماً.

من العسير جداً وضع سجل وثائقي عن التحيز ضد القصار، علماً ان التمييز ضد الاقليات والفئات العرقية والنساء ظاهرة درست الى حد لم يبق بعده زيادة لمستزيد. لكن التمييز على اساس الطول لا يزال موضوعاً لم يمسه اي تمحيص جدي حتى الآن. ولعل من المناسب هنا تسجيل الآتي: ان قصار القامة هم انسب الناس خلال عقد الثمانينات، نظراً الى انهم اقل استهلاكاً للموارد ويشغلون حيزاً ضئيلا ويتناسبون بسهولة مع احجام كل السيارات!

■ **رالف كايس**



السكرتيرة والمفتش

قالت سكرتيرة لاخرى: "ان مفتش العمل لا يحوّل انظاره عني في المدة الاخيرة. لكني لست ادري كيف اتصرف لارضيه: هل انهمك في عملي ام ابدي تجاوبي مع نظراته؟"

ف.ن.س.

زَرْعُ الكُلى

أنا أموت فتحيا كليتي وتحيي

منذ اوائل الستينات انقذت عمليات زرع الكلى حياة الآلاف.
واليوم يوصي المواطنون بوهب كلاهم بعد الموت
لانقاذ آلاف أخرى

نقل احد ضحايا حوادث السيارات في مدينة انديانابوليس الى مستشفى ولاية انديانا وهو مصاب بجروح خطيرة في رأسه، وخلال الايام الثلاثة التالية، فيما حافظت الآلات والعقاقير المعطاة من خلال الاوردة على عمل جهازي التنفس والدورة الدموية لدى المريض الفاقد الوعي، اجرى الاطباء اختبارات عدة شديدة التعقيد، لكنهم لم يجدوا اثراً لاي نشاط عصبي في المريض. فاستنتجوا انه اصيب بموت دماغي تام.

ولأن الضحية، وهو ذكر في الثالثة والعشرين من العمر، كان يتمتع بصحة جيدة قبل وفاته، فقد اثار الاطباء امكان الافادة من كليتيه لانقاذ حياة مريض، او اكثر، في خطر. وقد وافقت زوجته ووالدته على ذلك.

بقي على الاطباء ايجاد شخصين في حاجة ماسة الى الكليتين ويلائم جهاز المناعة الجسدية لديهما جهاز المناعة في جسد الواهب.

فاذا لم تكن مولدات المضادات (١) في دم الواهب والموهوب وفي انسجتهما هي نفسها او متشابهة جداً

(١) مولد المضاد هو مادة ينشأ عن حقنها في الجسم اجسام مضادة لها.

- وهنالك مئات الالوف من التوافقات الممكنة - فان الاحتمالات الغالبة هي ان "الجهاز الدماغي" لدى الموهوب سينبذ كلية الواهب.

وفي محاولة للعثور على ملاءمة كافية، ارسلت فئة دم الواهب بالمبرقة الكاتبة في المستشفى الى دماغ الكتروني تديره المؤسسة الجنوبية الشرقية لتأمين الاعضاء (سيوبف) في مدينة رتشموند في ولاية فرجينيا. وبعد بحث استغرق ٣٠ ثانية، وشمل نحو ١٥٠٠ مرشح سجلهم ٤٠ مركزاً من مراكز زرع الاعضاء في منطقة تضم ١٧ ولاية امريكية، لفظ الدماغ الالكتروني ورقة طبع عليها اكثر من مئة اسم.

ومع ان جميع الاشخاص الذين وردت اسماؤهم في القائمة لديهم فئة الدم نفسها وواحد او اكثر من مولدات المضادات الملائمة، فان اثنين منهم فقط لديهما ما يكفي من الخصائص المناسبة لاعتبارهما مرشحين رئيسيين: احدهما في انديانابوليس والآخر في بتسبرغ (ولاية بنسلفانيا).

وحالما نقل دماغ "سيوبف" الالكتروني هذه المعلومات الى انديانابوليس، استأصل فريق من جراحي الزرع كليتي الضحية وغسلهما بمحلول حافظ ووضعهما في اناءين مليئين بالثلج، وحملت سيارة اسعاف احد الاناءين بسرعة فائقة عبر المدينة، بينما نقل الآخر باليد الى بتسبرغ على متن طائرة نفاثة. وبعد مضي اقل من ثماني ساعات على عملية الاستئصال كانت الكليتان قد زرعتا بنجاح في جسمي المريضين.

هذه الاحداث تمثل ما يسميه الاطباء "سوقاً دولية مشتركة" للكلى. فبواسطة منظمات غير ربحية نظير "سيوبف" ومؤسسات مماثلة في اوروبا وكندا وغيرهما، اصبح ممكناً الآن الاستعانة بالدماغ الالكتروني لتحديد ملاءمة الاعضاء، المتوافرة للزرع في اي جزء من العالم، الخصائص الدفاعية لدى المرضى في اجزاء اخرى. مثال ذلك ان "الشبكة المتحدة لتقاسم الاعضاء" (٢)، تؤمن الملاءمة بواسطة الدماغ الالكتروني لـ١٣٦ مركزاً لنقل الاعضاء من اصل ١٥٥ مركزاً في الولايات المتحدة. وهي قادرة على عرض خصائص الانسجة لدى اكثر من ٤٥٠٠ مرشح في ٤٢ ولاية. ويقول الدكتور هـ.م. لي، استاذ الجراحة في كلية الطب في فرجينيا: "المسافة ووسيلة النقل عاملان مهمان في اختيار المرشحين. لذلك نعطي الافضلية للمرضى الموجودين في اماكن قريبة من مصدر الكلية الموهوبة".

الا ان الاطباء الامريكيين يصادفون احياناً اعضاء تتميز بمجموعات نادرة من مولّدات المضادات. وبدلا من اضاعة هذه الكلى التي تصعب ملاءمتها - وهناك نقص شديد في الاعضاء الموهوبة - يعرضها الاطباء على شبكات الملاءمة بواسطةالادمغة الالكترونية في انحاء العالم.

الامل الوحيد - قبل الستينات، كان الامريكيون المصابون بأمراض في الكلى يتعذر شفاؤها محكومين بموت بطيء، وباكر. اما اليوم ففي امكان ٩٠ في المئة منهم البقاء احياء بفضل

---

(٢) المقصود هنا بالأعضاء، اعضاء الجسم. وتعرف الشبكة باسم "يونوس".

كلى اصطناعية تزيل الفضلات السامة من الدم. على ان جراحة زرع الكلية تمثل، بالنسبة الى كثيرين، السبيل الوحيد الى حياة شبه طبيعية. أما الذين يتعذر ابقاؤهم على قيد الحياة بواسطة عملية غسل الدم المتكررة، فان زرع الكلية هو املهم الوحيد.

الدكتور جون فان رود، من جامعة لايدن في هولندا، كان اول من اقترح فكرة اقامة نظام لملاءمة الكلى بواسطة الدماغ الالكتروني عام ١٩٦٧. وهو يقول: "في الايام الاولى لعمليات الزرع، كان ثمة اعتقاد ان الافراد الذين تربطهم قرابة الدم يمكن ان يتمتعوا وحدهم بأجهزة مناعة متماثلة".

ثم اكتشف العلماء في اوائل الستينات انه تتوافر من حين الى آخر ملاءمات لمولدات المضادات بين اشخاص لا تقوم بينهم رابطة دم او عصب. "وكان لهذا الاكتشاف دلالة مهمة"، يقول الدكتور فان رود، "هي اننا اذا استطعنا حشد مجموعة كافية من المرضى ذوي الكلى المتعطلة لتمكنا من العثور في مكان ما على خصائص ملائمة لاي كلية تقريباً من الكلى الجاهزة".

في اول الامر كانت عملية استقصاء المعلومات عن مولدات المضادات تتم في اللحظة الاخيرة بواسطة مقارنة مباشرة بين الواهب والموهوب، على ان تجري في مستشفى واحد او مستشفيين متجاورين. ففي العام ١٩٦٧، مثلا، بدأ الدكتور ديفيد هيوم من كلية الطب في فرجينيا برنامج تبادل غير رسمي مع مراكز لزرع الكلى في ولايات جنوبية شرقية اخرى. وفي مايو (ايار) ١٩٦٨، اعد الدكتور فان رود ملفاً متواضعاً، بواسطة الدماغ الالكتروني، يشمل ٣٠٠ مريض مرشح، ودشن نظاماً يدعى "يوروترانسبلانت"، او عمليات الزرع الاوروبية، في جامعة لايدن (هولندا). وسرعان ما اضحت ملفات الدماغ الالكتروني اكبر حجماً وأفضل مضموناً. مثال ذلك ان "سيوبف" تأسست عام ١٩٦٩ لتنسيق المشاركة في اعضاء الجسم بين تسعة مراكز طبية في ولايات ماريلاند وفرجينيا وكارولينا الشمالية وجورجيا ودائرة كولومبيا التي تضم العاصمة واشنطن.

وفيما ازداد عدد جراحات الزرع، بات واضحاً ان الاجراء الجراحي -او عملية الزرع في ذاتها- لا ينطوي على اي خطر يذكر. وفي ما يتعلق بالكلى نفسها، فان ما يراوح بين ٥٥ و٦٠ في المئة من الكلى المنقولة من اجسام اشخاص متوفين في الولايات المتحدة تستمر في العمل اكثر من سنة واحدة، ونحو ٥٠ في المئة اكثر من خمس سنوات (نسبة النجاح اعلى كثيراً في الكلى المنقولة من اقرباء الدم). ويقول الخبراء ان هذه الارقام يمكن تحسينها متى ازداد عدد الكلى المتيسرة بحيث يصير من الممكن العثور على ملاءمات افضل.

المسافرة الغالية - للتعرف عن كثب الى الطريقة التي تعمل بها "السوق المشتركة" للكلى، تأمل في الاحداث الآتية التي بدأت في ٣١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩:

قرابة السابعة والنصف مساء تلقى اد مايرز، وهو منسق نقل الاعضاء في جامعة الطب في كارولينا الجنوبية،

مخابرة هاتفية من مستشفى ميموريال في مدينة سافانا في ولاية جورجيا تعلمه بان كليتين سليمتين متيسرتان في المستشفى. فاستقل مايرز طائرة حملته الى مطار سافانا حيث تسلم الكليتين وطار عائداً بهما الى تشارلستون. وهناك اجرى عليهما فنيو المختبر تجربة لتحديد فئة انسجتهما.

وفي الخامسة والنصف صباحاً تم تحديد الفئة وتلقيم الدماغ الالكتروني المعلومات التي حصل عليها الخبراء. وفي غضون دقائق بدأ جهاز المبرقة الكاتبة يبث المعلومات. وما لبث ان وجد في جامعة الطب في كارولينا الجنوبية مريض يعالج بغسل الدم ولديه ثلاثة مولدات للمضادات ملائمة تماماً كما ليست لديه اي موانع يمكن ان تحول دون اجراء عملية الزرع. وخلال ساعة جُمع فريق طبي واستدعي المريض الى المستشفى لتحضيره للعملية. وبعد ذلك بساعتين فقط، كان عضوه الجديد في مكانه ويؤدي وظيفته.

ماذا في شأن الكلية الاخرى؟

وجد مايرز شخصين في منطقة "سيوبف" يتمتعان بمولدي مضادات ملائمين. ولكن صرف النظر عنهما لوجود عوامل قد تؤدي الى مضاعفات وانتهى البحث في ملفات مناطق اخرى الى نتيجة سلبية. وفي هذه الاثناء اضحى عامل الوقت مهماً. فالكلى المحفوظة في الثلج تبقى قابلة للحياة مدة ٢٤ ساعة فقط. ويمكن الحفاظ على الكلية مدة اطول بوضعها في آلة نابضة حيث تنضح بمحلول حافظ، فيحتفظ بحيويتها لمدة ٥٤ ساعة.

وأخفقت مخابرة هاتفية الى كندا في العثور على مرشح مناسب. وأجرى مايرز اتصالا هاتفياً آخر مع مدير مركز "يوروترانسبلانت" في هولندا. وعاد هذا فاتصل به بعد ساعة ليقول ان مرشحاً اكتُشف في بروكسل عاصمة بلجيكا.

وفي الثالثة والنصف بعد الظهر، نقلت الشرطة بسرعة فائقة مايرز والكلية الموضبة في آلة نبضية متنقلة، وتدار بقوة البطارية، الى مطار تشارلستون حيث ركب الطائرة الى اطلنطا. واستقبله هناك ممثل لاحد الخطوط الجوية ومعه كرسي متحرك. يقول مايرز: "ركبت الكلية كرسي المعاقين فيما رحت انا اجري الى جانبها حتى بلغنا سلم الطائرة". وبعد ذلك بدقائق كان مايرز على متن طائرة متوجهة الى لندن، والآلة مربوطة الى المقعد المجاور له.

وفي لندن انتقل مايرز بسرعة الى طائرة اخرى قطعت به الشوط الاخير. واستغرقت الرحلة ساعة واحدة هبط بعدها في مطار امستردام وقد انهكه السفر. وهناك أمن له مرور سريع عبر الجمارك الهولندية، ثم أدخل سيارة اسعاف كانت تنتظره. وبعد ذلك بدقائق كان هو وحمولته النفيسة في لايدن، حيث اعاد الفنيون تحديد فئة الانسجة وملاءمتها، وهذا اجراء يتم قبل كل عملية زرع للتثبت من صحة التصنيف.

وفي الاولى والدقيقة الخامسة والاربعين بعد ظهر ٢ فبراير (شباط)، حسب توقيت مدينة تشارلستون، نقل مايرز والكلية في سيارة اسعاف الى بروكسل التي تبعد

نحو ساعتين ونصف ساعة، وقبيل الخامسة بعد الظهر ابتدأت عملية الزرع. وتسنى لمايرز ان ينام بضع ساعات قبل ان يستقل الطائرة عائداً، وقبيل صعوده الى الطائرة وصلته رسالة تفيد ان الكلية المزروعة بدأت تؤدي وظيفتها. وبعد اشهر بلغ مايرز ان المريض والكلية على ما يرام.

ويتم سنوياً زرع اكثر من ثلاثة آلاف كلية منقولة من اجسام اشخاص متوفين في الولايات المتحدة وحدها. وقد ارسلت كلى مجموعة من واهبين امريكيين الى المكسيك وكندا واوروبا واميركا الجنوبية والاتحاد السوفييتي. وهناك امكانات للمزيد من عمليات الزرع في حال توافر امدادات كافية بالكلى. ففي الولايات المتحدة وحدها يعالج الان اكثر من ٤٥ الف مريض بعمليات غسل الدم المتكررة، ونحو ٣٠ في المئة منهم مؤهلون لعمليات الزرع. ولكن المؤسف ان النقص في الكلى الموهوبة سيضطر معظمهم الى الانتظار طويلا قبل العثور على كلية مؤاتية. ومنهم من قد لا يتسنى له ذلك، فيبقى خاضعاً لمعالجة غسل الدم مدى الحياة، وهي عملية تستغرق ما بين اربع ساعات وست ساعات متواصلة بمعدل ثلاث مرات في الاسبوع.

ان استعمال "بطاقات الواهبين الموحدة" او ما يشبهها يمكنه القضاء على جانب كبير من هذا النقص. ذلك لان "قانون هبة الاعضاء الجسدية الموحد"، الذي اقر في الولايات الامريكية الخمسين كلها، يجعل اي شخص قادراً، من الناحية القانونية، على وهب اعضائه بعد الموت. وفي حال عدم وجود بطاقة الواهبين، يستطيع اقرب انسباء المتوفى اجازة هذا العطاء. كما ان جميع الولايات تترك حيزاً فارغاً في اجازة قيادة السيارات لتدوين هذه الرغبة.

ويقول جين بيرس، المدير التنفيذي لمنظمة "سيوبف": "ان هدفنا الادنى تلبية حاجات جميع الذين ينتظرون عملية زرع. ويتوقف ذلك على كرم الشعب".

■ ستانلي انفلبارت



الرياضي العجوز

لا يعلم جوني كيلي، وهو في الثانية والسبعين، اين حلّ بالضبط في سباق الركض في بوسطن عام ١٩٧٩، وهو السباق الثامن والاربعون الذي يشترك فيه منذ العام ١٩٢٨. وقال: "كنتُ في الصفوف الخلفية. وعلى رغم اني قطعت المسافة خلال ثلاث ساعات واربعين دقيقة، متأخراً ثماني دقائق عن العام الماضي، الا أن ذلك كان رائعاً. وقد قابلني المتفرجون على طول الطريق بهتافات حماسية. وكان كل متبار يتجاوزني يتمنى لي حظاً سعيداً".

وفي منتصف المباراة، سمع كيلي راكضيْن وراءه يتحدثان عنه. فقال أحدهما: "انظر، هذا كيلي العجوز. اتمنى أن اركض مثله عندما ابلغ سنه". وقال الآخر: "ليتني أعيش حتى تلك السن".

صحيفة "النيويورك تايمس"

مارك توين يروي حكايات عن مخلوقات غريبة

اربع دراسات عن الحيوان
للمؤلف الامريكي الفذ" مارك توين

الذئب المحتال والكلب الغرير – بعد تناول طعام الافطار شاهدنا على ارض الصحراء اول قيوط (ذئب صغير في شمال امريكا) انه مثال القباحة، هزيل بارز الاضلاع، اشعث الشعر، رث، ما ان يلمحك حتى يرفع شفته فتبرز انيابه. ثم يهرول بخطى طويلة نحو شجيرة مريمية (قصعين) ملقياً نظرة من فوق كتفه بين الفينة والفينة، حتى يصبح خارج مرمى المسدس، فيتوقف ليتأملك ملياً ويتابع سيره خبباً مسافة خمسين متراً ليتوقف مرة أخرى. ويختفي عن ناظريك حين يختلط لونه الاشهب بلون شجيرة المريمية. أما اذا بدرت منك اشارة عداء فانه يطلق لقوائمه العنان حتى يبتعد عن مجال سلاحك.

وللذئب هذا مع الكلب قصص طريفة. منها انه اذا طارده كلب يترك له مجالا للاقتراب منه، ساعتئذ يندفع بسرعةأكثر الى أمام. ويخيل الى الكلب انه يكاد يصل اليه، فيزيد جهده وسرعته. واذ يصير الكلب على بعد ستة امتار منه، ويكون الاجهاد اخذ منه مأخذه، يقفز الذئب قفزات تباعد بينهما ثم يخفف سيره. وهكذا، بين احتيال الذئب وانخداع الكلب، يرى هذا نفسه منهوك القوى، والذئب ما زال ممتنعاً عليه.

وتبلغ المعركة ذروتها بين محتال ومخدوع، حين لا يعود بين الاثنين سوى مترين فقط. فيشعر الكلب بارتياح لاقترابه من طريدته، غير ان هذا الارتياح ينقلب صدمة عنيفة حين يدير الذئب وجهه ناحية الكلب وقد بدت عليه امارات شماتة وهزء، كأنه

Condensed From The Books «Roughing It,» «A Tramp Abroad»,
and «Following The Equator,» by Mark Twain, Published By Harper & Row, Publishers, Inc., New York, N.

يقول له: "الآن، انتهى وقت العبث"، ويطلق لقوائمه العنان، فاذا الكلب وحيد وسط الغبار المتراكم والقفر الفسيح.

ماذا تكون نتائج الصدمة في الكلب؟ دوران في كل اتجاه وتسلق لكثبان الرمل القريبة،وتحديق الى الأفق، وهز عميق متواصل للرأس، ثم، عودة منهزم الى وراء وانضمام الى آخر العربات في القافلة. فالخائب يخجل من الاختلاط بصحبه، وهو يختار مكاناً وضيعاً مدة اسبوع، كأنه اسبوع حداد، ريثما ينسى، وينسى سواه مغامرته المضحكة.

النملة الغبية – يبدو لي ان مسألة ذكاء النمل مبالغ فيها كثيراً. فعندما اقول ذلك اعني النمل العادي، اذ ليست لدي الخبرة في النمل السويسري والافريقي العجيب الذي يدلي باصواته في الانتخابات ويحتفظ بجيوش مدربة ويملك العبيد ويناقش في امور الدين.غير اني مقتنع بأن النملة العادية غبية. أنا اعترف بكدها ومثابرتها، فهي اكثر المخلوقات كداً ونشاطاً. غير ان لي مأخذاً عليها هو رأسها الغبي.

تذهب النملة لتفتش عن مؤونة فتفوز بغنيمة، فماذا تفعل؟ هل تذهب الى بيتها؟ لا، لانها لا تعرف اين هو بيتها، وقد يكون على مسافة متر واحد من مكان وجودها ومع ذلك لا تتمكن من العثور عليه. وفي معظم الاحيان تكون الغنيمة شيئاً لا يفيدها ولا يفيد سواها، ويكون حجمها سبعة اضعاف ما يجب ان يكون. انها تفتش عن غنيمتها في الاماكن غير الملائمة، فترفعها في الهواء بكامل قوتها وتسير بسرعة جنونية فتصطدم بحصاة، فتتسلقها وتسير الى الوراء جارة الغنيمة وراءها. واذ تتعثر، تقفز قفزة غاضبة وتقبض على غنيمتها بوحشية، وتجذبها يمنة ويسرة، تدفعها الى الامام، ثم تدير ظهرها وتسحبها وراءها. واذا ازداد غضبها فهي ترفعها في الهواء وتسير بها بعنف في اتجاه جديد.

وتمرّ نصف ساعة تكون النملة خلالها بعدت ١٥ سنتيمتراً عن المكان الذي بدأت مسيرتها منه، فتلقي بحملها. وبعدما تأخذ قسطها من الراحة، تتابع سيرها على غير هدى، وبسرعتها ذاتها. وفجأة تعثر على غنيمتها نفسها، ولأنها غبية، لا تتذكر انها شاهدت هذا "الشيء" من قبل، فتقبض عليها وتسير في المتاهات نفسها التي كانت سلكتها...

اخيراً تتوقف لتستريح. فتأتيها احدى "الصديقات" وتشير الى ان قائمة الجندب الذي حظيتا به العام الفائت كانت مكسباً ممتازاً، آخذة على عاتقها مساعدتها على نقل الغنيمة الى وكرها، وهكذا تمسك كل منهما بأحد طرفي قائمة الجندب وتبدأ تشد بكل قواها في اتجاهها، فتخفق التجربة، لأن كل شيء يبقى مكانه. ويبدأ تبادل الاتهامات، فالاقتتال، وتأخذ كل منهما بفك الاخرى تعضه، الى ان تهويا منهوكتين وقد فقدت احداهما قرناً او قائمة.

وبعد هذه المعركة تتصالحان، وتعودان ثانية الى جر قائمة الجندب

بالطريقة ذاتها، وتتوصلان الى سوء المصير ذاته. اخيراً تقرران ان قائمة الجندب المجففة ليست سوى نوع رديء من المكتسبات. فتفترقان على امل العثور على ما قد يكون اكثر نفعاً واعم فائدة.

الكلب الغريب العجيب – في القطار من بارودا الى بومباي في الهند، كنت جاراً لرجل نبيل يصطحب كلباً رائع المنظر، ذا صوف اسود ناعم صقيل، وقد وسمت اطرافه بزركشة لافتة. كان، على رغم طوله، قليل الارتفاع عن الارض بسبب قصر قوائمه وتقوسها نحو الداخل.

ولولا رأسه وذنبه وبعض الحركة في جسمه، لظننته مقعداً طويلا واطئاً. وهذه المسافة التي تفصل بين مقدمه ومؤخره جعلتني افكر في ان بنيته واهنة، وانه عندما يكبر لا بد من ان يضعف وتخور قواه. وتمنيت لو ان قوائمه اكثر من اربع، اذاً لأمكن استخدامه على نحو افضل واثمر.

دعتني لياقتي الى عدم الاهتمام بهذا الكلب، لاعتقادي ان وضع صاحبه كوضع شخص يصطحب طفلا غير طبيعي. ولشدّ ما كانت دهشتي عندما لاحظت الرجل النبيل فخوراً بكلبه ومفاخراً.

فقد اخبرني ان هذا الكلب فاز بجوائز في اكثر من عرض للكلاب اقيم في الهند وانكلترا. واضاف ان الناس كانت تصطف لمشاهدة كلبه عندما كانا يسيران في شوارع لندن...

لزمت الصمت كي لا امس شعوره، اذ كان في استطاعتي ان اوضح له ان من الطبيعي وقوف الناس مندهشين، في اي شارع من شوارع العالم، لرؤية كلب ضخم طويل واطىء، شرط الاّ يفرض عليهم اي رسم في مقابل هذه المشاهدة.

وقلت في نفسي، لو كانت لي أنا بنية هذا الكلب، لكنت فزت بجوائز اكثر.

ولم يكتف رفيقي النبيل بترديد اسماء المعارض حيث فاز كلبه بجوائز، بل اضاف انه، اي الكلب، غنم صيداً وافراً في الهند وافريقيا، وهذا يعني ان كلبه يصطاد الفيلة. واني اقسم، ان هذا الكلب لا يصلح لصيد الفيلة نظراً الى قلة نشاطه وفتور همته وضعف شخصيته وانتفاء العنف عن قسمات وجهه. واتصوره في غابة للفيلة لا يجرؤ على المطاردة ولا حتى على الهرب اذا شاهد فيلا يتجه ناحيته، بل، جلّ ما يستطيعه، هو الركوع على ركبه الاربع، والاسترسال في... الصلاة!

الجمل المرهف الاحساس - حدث ذلك عند منبع نهر الاردن في سوريا، وقد عهد الى جمل في المحافظة على معطفي بينما كان الاهتمام منصباً على ضرب اوتاد الخيام. فراح الجمل يتفحص حمله باهتمام زائد كمن يفكر في من يصنع له معطفاً مثله. وبعدما انتهى من تأمله بدأ يفكر فيه كمادة للاكل. وهكذا، وضع خفه عليه وانتزع بأسنانه احد كميه وبدأ يمضغه ويبتلعه تدريجياً، وعيناه تنفتحان وتنغلقان بتناغم وكأنه في انجذاب روحي، او كأنه لم يذق في حياته شيئاً بلذة هذا المعطف.

بعد ذلك لمظ ومسح مشفريه مرة او مرتين وتناول الكم الثاني، ثم اتبعه بالياقة المخملية. وبدا مطمئناً مرتاحاً فيما خيل الي ان الياقة كانت اطيب شيء في المعطف. ثم جاء دور الاذيال مع بعض كبسولات القدح وحبوب السعال وبعض معجون التين.

بعد ذلك سقطت من المعطف المراسلات التي اعددتها لصحيفتي. فاغتنم الجمل الفرصة وراح يلتهمها - تحارير مكتوبة بخط اليد لترسل الى الصحف في بلادي. غير ان الجمل فاته انه يسلك طريقاً وعراً حين بدأ يصل الى الحقيقة المرة. فهنا نكتة هزته هزاً وخلخلت اسنانه، وهناك بيانات كادت ان تفقده رباطة جأشه وشجاعته، الى بيانات يعجز، حتى الجمل، عن ابتلاعها من دون التعرض للعقوبات... كل هذه، خصوصاً الاخيرة منها، جعلته يتقيأ ويلهث وعيناه جاحظتان وقائمتاه الاماميتان منفرجتان، الى آخر ما هنالك. وما ان مضت دقيقة او اقل، حتى سقط بلا حراك ولقي حتفه بعد حشرجة لا يحسد عليها.

اقتربت منه وسحبت المخطوطات من بين شدقيه، وكم كانت دهشتي عظيمة عندما تبين لي ان هذا المخلوق الحساس أماته اختناقاً بيان من الطف البيانات واقعية واكثرها اعتدالا، مما سبق وقدمته في حياتي الى شعب اولاني ثقته.

من الممكن دائماً استئجار الذئب كراع في مقابل ثمن بخس.

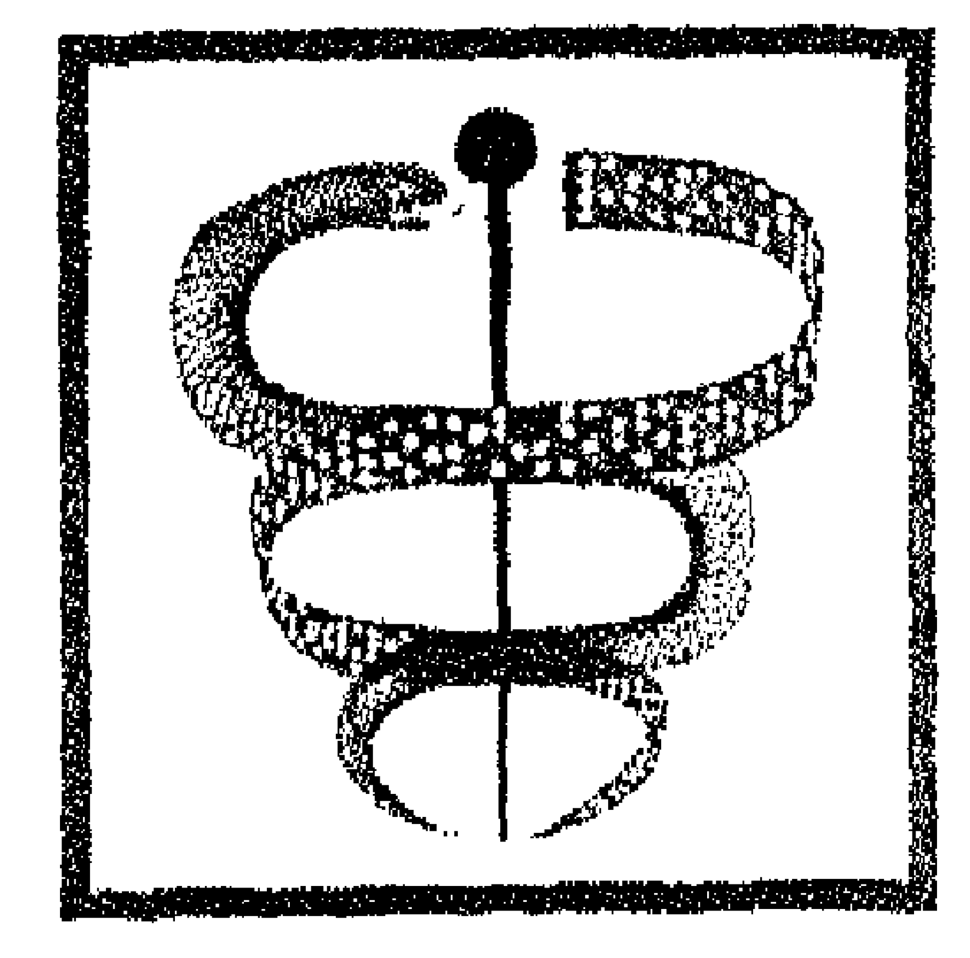
مثل روسي

من كاتب الى كلبه

اهدى المؤلف جفري كونفيتس كتابه "الحارس" الى "روفوس الذي أعد" الفصل السابع والعشرين للنشر". وروفوس هذا هو كلب المؤلف، ووزنه نحو ٨٢ كيلوغراماً. ويفسر كونفيتس الامر كما يأتي: "هذا الفصل كان يقلقني كثيراً. وتركته احد الايام على الطاولة. ولدى عودتي الى المنزل وجدت ان" روفوس علك اوراقه جميعاً. ولم يكن لدي" نسخة من الفصل، فاضطررت الى اعادة كتابته. وجاءت الصيغة الجديدة أفضل من السابقة. لذلك قررت إهداء الكتاب الى الكلب".

ر.م.

أصداء من عالم الطب



الجنس خلال الحمل

لا تزال مسألة الجنس خلال الحمل، منذ وقت طويل، تشغل الطب. وقد نصح أطباء التوليد غالباً بتجنب الجماع قبل أربعة أسابيع أو ستة من الولادة. والآن يأتي تقرير حول الموضوع، من شأنه ان يقلق الزوجين المعنيين.

فقد تولى عالم الأمراض ريتشارد ناي من جامعة بنسلفانيا تحليل نحو ٢٧ ألف حالة حمل، ووجد أن وفيات المولودين الجدد التي تعقب التهابات النخط، وهو السائل الذي يملأ السلى ويحيط بالجنين في الرحم، هي أكثر شيوعاً بالنسبة الى الأزواج الذين تجامعوا خلال الشهر الأخير من الحمل. ويذهب هذا التقرير المنشور في "مجلة نيو انغلاند للطب" (٢٩ نوفمبر /تشرين الثاني ١٩٧٩) الى أن هناك مشكلات اخرى، بينها عسر التنفس واليرقان، منتشرة بين مواليد النساء اللواتي مارسن الجماع في شهر الحمل الأخير بزيادة ضعفين عما هي بين مواليد النساء اللواتي انقطعن عنه.

ويتفق ناي وأطباء التوليد على أن التدبير الصحيح ليس حظر الجنس أو الحد منه كثيراً طوال فترة الحمل. ويشيرون الى أن دراسة الحالات التي أجروها تمت بين ١٩٥٩و١٩٦٦. وربما كانت الوسائل العصرية المتطورة للعناية بالحوامل والمواليد الجدد أزالت بعض الخطر الناجم عن ممارسة الجنس خلال الحمل. وفي مقدمة كتبها للمقال المذكور، يقول الدكتور آرثر هيربست، رئيس دائرة التوليد والطب النسائي في جامعة شيكاغو، انه يجدر بالنساء اللواتي اختبرن الاجهاض، او اولئك اللواتي بدأ عنق الرحم لديهن يتمدد، ان يمتنعن عن الجماع في الثلث الأخير من الحمل.

مجلة "تايم"

قياس السعادة

أظهرت دراسة طويلة الأمد حول التكيف النفسي والجسدي، نشرت نتائجها أخيراً في "مجلة نيو انغلاند للطب"، أن الرجال السعداء في الوظيفة والزواج والتسلية يتمتعون بحياة أطول وأصح من حياة الرجال التعساء في تلك الميادين.

وقد تولى الدكتور جورج فيلانت من جامعة هارفرد وزملاؤه قياس الصحة النفسية والجسدية لدى ١٨٨ رجلا، من العام ١٩٤٢ حتى اليوم، طالبين منهم الاجابة عن اسئلة تطرح مرة أو اثنتين سنوياً، مع مقابلات مطولة مرة كل سنتين. وتولى تقويم النتائج أطباء لا علم لهم بحال الأشخاص النفسية والجسدية السابقة. وبين الرجال الـ٥٩ الذين صنفوا "أصحاء نفسياً" عام ١٩٦٧، كان هناك ٩٧ في المئة أدرجت أسماؤهم في خانة "الصحة الممتازة" عام ١٩٧٥. أما التعساء والقلقون والمضطربون فكانوا عرضة لمشكلات صحية حادة.

يونايتد برس

اطفائيو الجنس الآخر

دخلت المرأة عالم اطفاء الحرائق محاولة اثبات جدارتها

راح متطوعون يضعون اقنعة الاوكسيجين ويكافحون النار المضطرمة في مطعم قرب مدينة دايل في ولاية فرجينيا الامريكية. وفجأة دوى صوت جرس ينذر بانخفاض خطر في خزان الهواء، فاندفع اطفائيّ الى الخارج وتعاون مع احد المتفرجين على ازاحة الحزمة المغطاة بمادة رقيقة جداً. ساعتئذ رفعت شيرلي بيرنز خوذتها وشكرت الرجل بينما انسدل شعرها الاشقر الغزير فوق معطفها الواقي. فصاح الرجل متعجباً: "يا الهي! امرأة!"

ليست شيرلي بيرنز الاطفائية الوحيدة. فالعديد من السيدات في الولايات المتحدة، فور سماعهن صوت صفارات الانذار بالحريق، يندفعن تاركات كل شيء: البضائع التي ابتعنها، ورق اللعب في نوادي البريدج، مقاعد المزينين في دور التجميل، وسواها. ولم يعد عمل السيدات مقصوراً على الادوار الثانوية المساندة كجمع الاموال وتقديم القهوة، فقد ملأت سيدات متزوجات وامهات وجدات فراغاً ملموساً في سلك الاطفاء، وضاعفن درجة حماية الحياة والممتلكات، فنلن اعجاب زملائهن الرجال، وربما حسدهم كذلك.

وتعتمد المتطوعين غالبيةُ مصالح الاطفاء في امريكا، وعددها ٢٨٠٠٠، لان المدن الصغيرة، وخصوصاً في الضواحي، تعجز عن دفع رواتب كاملة لكل الاطفائيين. وظلت هذه المصالح حكراً على الرجال حتى وقت قريب.

وببراعة فائقة، تروي تيريزا كراوس من مدينة سنتر سيتي في ولاية نيوجرسي الامريكية، قصة مشاهدتها ذات صباح في العام ١٩٧٣ بيتاً يحترق من أساسه. وتقول: "لم يستجب احد لطلب النجدة لان الاطفائيين المتطوعين كانوا بعيداً في اعمالهم".

وأثر الحادث في نفس كراوس

فتسجلت مع صديقتها بيتي لو ددلي في دورة تدريب محلية لفترة ستة اشهر وتعلمنا مكافحة انواع الحرائق المختلفة، وادارة المطافىء والخراطيم ومضخات الصهاريج وتشغيلها. وتقول السيدة ددلي معلقة: "لا علاقة لعملنا بتحرر المرأة. ان الواجب يدعونا الى ان نكون هنا".

وقبلت السيدات في المدن الامريكية الاخرى التحدي. واعربت السيدة كاترين غياجر، من مدينة باركر في ولاية كولورادو الامريكية (٥٦ عاما) عن تأثرها بالخسارة الجسيمة الناتجة من اشتعال الاغصان اليابسة المقطوعة خلال فصل الصيف. وكانت معظم هذه الحرائق تنشب في اثناء النهار، حين يكون الرجال في اعمالهم في دنفير على بعد ٥٠ كيلومتراً.

وعرضت السيدة غايجر ان تكافح النسوة الحرائق خلال النهار. وبناء على اقتراحها، عقدت ٣٤ سيدة اجتماعاً تنظيميا في العام ١٩٧٣، وانضمت ٢٢ منهن الى مصلحة الاطفاء. فتدنت النسبة المئوية للخراب الناتج من هذه الحرائق.

هل يقدرن؟ — ويتطلب عمل الاطفاء قوة بدنية وثقة بالنفس واقداما. فهل يمكن سيدة ان تخرج شخصاً مغمى عليه، يبلغ وزنه ١٠٠ كيلوغرام، من بناية مشتعلة؟ لا، على الارجح. لكنها تقدر ان تسحبه فوق بطانية. انه اسلوب مقبول ويتبعه الرجال. لذا تبذل ثلاث نسوة الجهد الذي يبذله رجلان من اجل تحريك خرطوم الضغط العالي.

وتقول سيدات عديدات ان قوتهن تتضاعف في وقت الشدائد. ففي مدينة كينغوود في ولاية تكساس الامريكية، تعاونت السيدة بيتي آن فيريس (٤٢ عاماً) مع سيدة اخرى — وكلتاهما من مصلحة المتطوعين لمكافحة الحرائق — على نقل سرير مشتعل الى ممر مجاور. وبعد وقت قصير، وجدتا انهما غير قادرتين على زحزحة السرير من مكانه.

ويسهل بعض التعديلات التقنية عمل الاطفاء على الرجال والنساء.

ويمكن لاصغر النساء حجماً ان تجر خرطوماً يبلغ طوله ٦٠ متراً وقطره ٣٫٨ سنتيمترات، بواسطة اسلوب جديد لتثبيت الخرطوم في الصهريج.

ولا ننس بعض المشاكل التي تعترض عمل النساء في هذا الحقل. ففي مدينة كينغوود عجزت "الاطفائيات" القصيرات عن قيادة الشاحنات لأن اقدامهن قصُرت عن بلوغ الدواسات. وتعذر على بعضهن الركض بأحذية الاطفائيين، والاهم من كل ذلك، ان الخوذات لم تراع شعورهن المصففة المرفوعة...

وتستعيض النساء من ضعفهن بتصميمهن وثباتهن في العمل. وكانت لوري هوفمان بين اول الحاضرين الى مكان حريق هائل احدثه انفجار ليلي في مصنع للزجاج البركاني في ضواحي مدينة بيغ باين في ولاية كاليفورنيا الامريكية. وأمر قائد المجموعة جون مرزانو بتسليط الخراطيم على النار من ثلاثة اتجاهات. واطلق كل اطفائي يقف في الطليعة غازاً غير قابل للاحتراق ليشكل سحابة تقيهم الحر وتسمح بالاقتراب من النار. وما ان تقدموا

حتى لفحتهم الحرارة. فاتكأ مرزانو على خرطومه وكشر عن اسنانه، وتطلع الى اليمين فرأى لوري هوفمان تقود طليعة الفرقة المهاجمة.

وصب الاطفائيون الماء على النار مدة ثلاث ساعات واضطروا الى السهر حتى الصباح حين اخمدت النار. وصرح مرزانو بعد ذلك: "لا يسعني ان اثني على لوري بما فيه الكفاية. وكم اود ان اراها تعمل الى جانب كل اطفائي في مكافحة النيران".

ويرى السيد لو ويتزمان، وهو رئيس مؤسسة عقود لمكافحة الحرائق في مدينة سكوتسدايل في ولاية اريزونا الامريكية، ان وظائف مكافحة الحرائق ستوزع بالتساوي بين النساء والرجال في غضون السنين العشر المقبلة. "ان النساء يكملن الرجال، فهن يسعين الى انقاذ المنزل لا الى مجرد اخماد الحريق". علماً بأن ١٥ امرأة من اصل ٦٠٠ متطوع وأجير، يعملن الآن في امرة ويتزمان.

ويحول الاطفال دون اشتراك امهاتهم في اعمال الاطفاء. ولكن المشكلة حلت في ترينيداد وبعض المدن الاخرى بواسطة مكاتب تأجير اشخاص يعنون بالاطفال في اثناء غياب والديهم. فحين تدوي صفارات انذار الحريق، تتجه الفتيات المراهقات والسيدات المتقدمات في السن الى منازل حددت لهن سلفاً، فيما تهرع الامهات الى مكان الحريق.

ويألف المرء الصعوبات الجسدية والنفسية في عمل الاطفاء، بعد الخبرة والممارسة. كما ان للتدريب دوراً فعالا. ويقدم فرع التدريب على الوقاية من الحريق في جامعة تكساس للزراعة والميكانيك، الذي بدأ العمل منذ ٥٠ سنة، بعض افضل التدريبات. ففي الصباح يتلقى الطالب امراً بالزحف داخل بناية سوّدها الدخان المتصاعد منها. ثم يرى نفسه بعد الظهر يخوض في معمعان النار المائجة التي سببها اشتعال زيت الوقود. وفي ضوء القمر يكافح حريقاً هائلا.

والتحقت السيدة كارين اكر، (٣٧ عاما) من مدينة كينغوود في ولاية تكساس، وهي أم لفتاتين مراهقتين، بهذه المدرسة ثلاث مرات. واحتلت الطليعة في تمارين الدورة الاخيرة التي اشتركت فيها. وكافحت حريقاً تلو آخر وهي ترتدي المعطف الواقي. وبعد التمرين الاخير، ارتمت فجأة على الارض من شدة العياء. وتعلق على ذلك: "اظن اني اجهدت نفسي كثيراً لاني حملت التمرينات على محمل الجد".

وتعمل ٢٥ امرأة من بين ٨٠ اطفائياً في اشراف السيد ستيف دالاس، رئيس مصلحة مكافحة الحرائق في مدينة دايل في ولاية كولورادو الامريكية. ويقول السيد دالاس: "لا اعرف ماذا افعل اذا تخلت السيدات الاطفائيات عن مساعدتنا لان عملهن قيم للغاية. وقد نسخر احياناً منهن، لكننا نراهن يسعفن المصابين ويهاجمن النيران ويقدن الصهاريج كأي رجل اطفاء. ان هذا يبدو خارقاً بالنسبة الى الاجانب، لكن الخوارق تتحول لدى سيداتنا اموراً روتينية بسيطة".

■ جاي ستولير



"كان عالمي دافئاً ومريحاً وصامتاً ... كان نعيماً"

س.د.

دالي
الفنّان البَهلوان

ان سلفادور دالي، أمير المهرجين في ميدان الرسم الحديث، ليس في الحقيقة مهرجاً على الاطلاق. فهو يقضي سبعة اشهر من كل سنة لا يتوقف فيها عن الرسم. أما بقية السنة فيقضيها في مهرجان من الجنون المهتاج.

تراه في روما يخرج من جوف بيضة هائلة معلناً: "هأنذا أولد من جديد!"

وفي باريس يصل الى جامعة السوربون في سيارة رولزرويس مطلية بالأسود والأصفر وملأى بثمار القنبيط، لينبىء جمهوره بان كل فن يبدأ في أساسه بهذا النوع المتواضع من الخضر. ويأتي صحافي ليجري مقابلة معه، فيقترح عليه دالي: "هيا بنا نتسلق تلك الشجرة حيث يمكننا أن نحظى بالراحة".

«Crucifixion», Metropolitan Museum of Art, gift of the Chester Dale Collection, 1955, NYC.

وينظر الصحافي ليري كرسيين كبيرين معلقين بين اغصان الشجرة.

هل دالي مجنون حقاً، أم أن الأمر كله تمثيل سوريالي (★) للتضليل والتسلية؟ ان تقرير ذلك أمر عسير، على رغم كثرة الذين حاولوه. وقد كتب الناقد الفني وينثروب سارجنت في ذلك: "ليس هناك شيء غير طبيعي في دالي. إنه، ببساطة، انسان ضد الطبيعة".

لكن فهم دالي الفنان امر أسهل. فهو رجل يحظى بالتقدير من متاحف العالم الكبرى. وعندما حصل متحف المتروبوليتان في نيويورك على لوحة دالي "الصلب"، عرضها في قاعة المدخل الكبرى. أما المدير الراحل لمتحف البرادو في مدريد فرنسيسكو كانتون، فقرّظ دالي بقوله: "إنه فنان تقليدي يثير الاعجاب، كما أنه في الوقت نفسه مجدد عظيم".

بدأت "ظاهرة" دالي في ١١ مايو (أيار) ١٩٠٤، عندما ولد في بلدة فيغيراس الاسبانية قرب الحدود الفرنسية. وجرياً على طريقته المتميزة، يصر سلفادور فيليبي خاثينتو دالي على أنه ولد قبل موعده بشهرين لأن حياته الفكرية - أي عبقريته - بدأت وهو جنين في شهره السابع. ولا يزال دالي حتى اليوم مهووساً بحياته قبل ولادته. وهو يرسم بيضات، ويبني بيضات، بل إن غرفة نومه بيضوية الشكل.

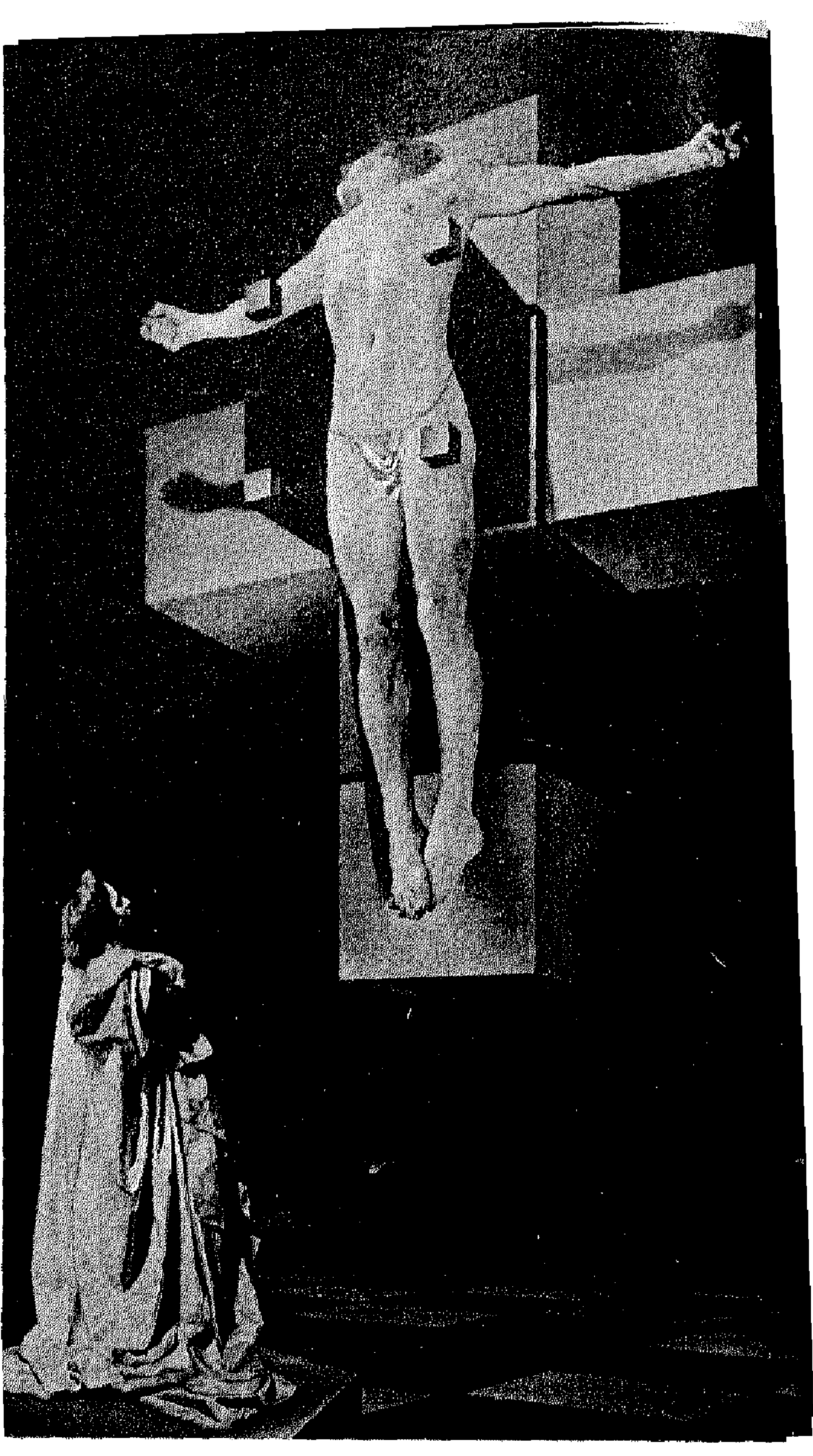
في سنواته الدراسية الاولى كان دالي مخفقاً في معظم الامور. لكنه تعلم فن العرض وأتقنه. وذات يوم دفعته حماسته المفرطة الى التدحرج على سلم طويلة ليستقر في أسفلها بعنف وقد أصيب برضوض شديدة. لكنه سعد كثيراً بما حظي به من ثناء وتقريظ. ومنذ تلك اللحظة، أصبح كلما اقترب من درج يتجمع رفاقه التلاميذ متطلعين. وكان ملجأه - بين عروضه العنيفة تلك - هو بيته، في غرفة الغسل حيث يقضي الساعات جالساً في حوض ضخم. في هذه الغرفة بدأ دالي الرسم. وكانت لوحة ألوانه لوحاً للغسيل، أما "لوحات الرسم" فكانت أغطية صناديق القبعات القديمة. ومع ان سنه لم تكن تتجاوز السابعة، إلا أن رسومه كشفت عن مقدار كبير من الأصالة والابتكار.

وفي ما بعد، عندما التحق دالي بمدرسة الفن في مدريد، احتفظ بشعره طويلا تحت قبعة سوداء كبيرة ("كنت أول هيبي في التاريخ"). وكان يحمل عصا ذات رأس فضي. وأراد يوماً ان يظهر اعتراضه على تعيين أحد الأساتذة، فانسحب بطريقة مسرحية من اجتماع لجمعية عمومية، مثيراً هياجاً طالبيا أسفر عن استدعاء الشرطة للسيطرة على الموقف. وأوقف دالي، وكان في الحادية والعشرين، واقتيد الى السجن. وبعد ذلك بسنة طرد من مدرسة الفن نهائياً.

الكوابيس الملونة - في العشرينات المجنونة من هذا القرن كان دالي ينتج بين لوحتين وثلاث لوحات كل أسبوع: تكعيبية، وانطباعية، وتنقيطية. وفي العام ١٩٢٥ أقام المعرض الاول لأعماله في برشلونة،

(★) السوريالية مذهب فرنسي حديث في الفن والادب يهدف الى التعبير عن نشاطات العقل الباطن بصور يعوزها النظام والترابط.

فقوبل بحماسة كبيرة من النقاد. واقترح عليه مواطنه بابلو بيكاسو اقامة معرض في باريس. ووصل دالي الى العاصمة الفرنسية عام ١٩٢٧، حيث أبهجه أن يكتشف أن أعماله تتفق مع فلسفة فنية جديدة هي السوريالية.



"الصّلب"، ١٩٥٤.

كان السورياليون يؤمنون بضرورة التخلص من القواعد التقليدية. واجتذبهم عالم اللاوعي غير العقلاني الذي كان يستكشفه آنذاك سغموند فرويد، فراحوا يتجولون في عالم الأحلام بشباك خيالهم كي يصطادوا فراشاته البديعة والغريبة.

وانتهوا الى التمرد تماماً على المنطق التقليدي، فأسبغوا على القمامة صفة الجمال وعلى الفوضى صفة أسمى أشكال التنظيم (وكان هؤلاء السورياليون وحلفاؤهم رواد ادب اللامعقول).

وعلى هذا النحو أصبح هذيان السوريالية ميدانا لدالي يصول فيه ويجول، تماماً مثلما أينعت غرائبه السابقة المسلية بسرعة حتى اصبحت نزوعاً راسخاً الى الحياة الاستعراضية الصارخة.

وكان دالي حتى ذلك الحين رساماً لامعاً، لكنه غير موحد الأسلوب، تنتقل فُرشاته اللبقة بمرونة لا جهد فيها من أسلوب الى آخر. أما الآن فقد تبلورت رؤياه في مشاهد أحلام تنطبع في الخيال فلا تغادره صورها

ذات الخطوط الحادة الواضحة والانطباعات الآسرة التي يفيض منها شعر عجيب. واكتسبت رسومه تأثيراً طاغياً أشبه بما يراه الذاهل في الغيبوبة: يغسلها ضوء نجمي بارد فتبدو طيعة لمنطق سري يفيض من كون آخر مختلف.

وحين عاد دالي الى اسبانيا، التقى هيلين دياكانوف ايلوار التي أطلق عليها اسم "غالا". وهي روسية المولد تكبره بعشر سنين وذات جاذبية لافتة تعوض افتقارها الى الجمال. وربط الاثنان حياتيهما فوراً. فكان لاتحاد سلفادور وغالا طعم اتحاد دانتي وبياتريس أو بترارك ولورا... حياة أشبه بالفردوس الأرضي.

لم يقف تأثير غالا عند القضاء على نوبات دالي وقلقه وأعراضه الهستيرية، بل انها أسبغت النظام على حياته أيضاً. وهي أدركت للوهلة الاولى أنه كاتب بمقدار ما هو رسام، فشجعته على إنتاج كتابه الأول. ومنذ ذلك الحين، انجز دالي عشرين كتاباً تصدّر أحدها، وهو "مذكرات عبقري"، قائمة أكثر الكتب رواجاً فترة طويلة.

وتحمل بعض لوحات دالي توقيع "غالا - دالي". كما ان غالا تظهر في كثير من هذه اللوحات وسواها: عند أسفل الصليب في لوحة "الصلب"، وعلى الراية التي يحملها كولمبس عالياً في لوحة "اكتشاف كريستوفر كولمبس امريكا". ودالي على وعي كامل بدينه لهذه "النحلة التي تحمل الي عسل الالهام". وفي كل مرة تدخل محترفه، كان ينهض من مكانه بهيئة رسمية ويصفق لها. وفضلا عن ذلك كانت غالا العقل الحاد اليقظ الذي يتولى أمر مفاوضات العقود واستثمار الأموال التي يملكها دالي.

اني اعود - كانت اوائل الثلاثينات سنوات قحط وجوع. وتحول دالي في يأسه الى مخترع. ومضت غالا تذرع شوارع باريس محاولة ان تبيع تصاميمه الغريبة - من كراس وأحواض استحمام وأظافر تعكس النور كالمرآة وأحذية نسائية ذات رفاصات عالية من الصلب. لكن ذلك كله لم يسفر عن اي نتيجة.

وكان اثنان من أصدقائهما السورياليين لقيا نجاحاً في أمريكا، حيث بدأ دالي يتمتع ببوادر شهرة. وهكذا ابحر دالي وغالا الى الولايات المتحدة على متن السفينة "تشامبلين"، في الدرجة الثالثة، بتذاكر سفر دفع بيكاسو ثمنها - هكذا قال دالي. وأثبت دالي خلال الرحلة أنه بحار حريص، إذ اصر على ارتداء حزام النجاة ليل نهار طوال الرحلة الناعمة التي لم تصادف موجة عالية واحدة.

وعندما بلغت السفينة نيويورك جاء مخبرو الصحف يبحثون عنه. وكان بين اللوحات التي عرضها عليهم لوحة تمثل غالا عارية وعلى كتفها شرائح من لحم الضأن. فجحظت عيون الصحافيين عجباً وتساءلوا: "ولماذا شرائح الضأن؟"

فأجاب الرجل القصير ذو الشارب الطويل الرفيع: "المسألة غاية في البساطة. إني أعشق زوجتي، وأعشق شرائح الضأن. وها هما معاً... منتهى الانسجام".

واذا بافعال دالي التي اعتمدها

طوال حياته كوسيلة للعلاج والتسلية تصبح، فجأة، حديث المدينة. وذات صباح ظهرت في برودواي (شارع الفن في نيويورك) سيارة تاكسي جهزها دالي بالأنابيب كي تنتج مطراً اصطناعياً، وقد جلس في مقعدها الخلفي "كولمبس"، أو نسخة طبق الاصل عنه، وهو يحمل لوحة كتب عليها: "اني أعود". وجذبت هذه الدعاية الناس الى حيث يعرض دالي لوحاته، وراحوا منها يشترون.

وقد أدى التهريج بطبيعة الحال الى لفت الانظار الى عمل دالي وما يتسم به فنه من امتياز محلق. ووضعه النقاد في مرتبة الأساتذة الفلمنكيين (البلجيكيين) العظام امثال جان فان آيك. ففي تلك الفترة الباكرة كان الرسامون يخلقون درجات اللون بأن يضعوا أولا طبقة رقيقة من اللون الزيتي ويتركوها لتجف، ثم يدهنوا فوقها طبقة اخرى رقيقة تظهر الأولى جزئياً من خلالها، ويكرروا هذه العملية حتى يتم التوصل الى درجة اللون المنشودة. ولا يزال دالي يتبع هذا الأسلوب الفني.

وبمقدار ما يتبع دالي أسلوباً تقليدياً في رسومه، فهو يختار للوحاته موضوعات بعيدة عن التصور المألوف، توغل في اللاواقعية الى درجة تخرجها عن نطاق القوانين الطبيعية للزمان والمكان والجاذبية. فنرى فيها ساعة جيب تتدلى من مكتب كأنها قرص من الجبن، لكنها مع ذلك تبدو حقيقية تماماً لتنبئك بالوقت الدقيق. ونرى المسيح (عيسى) في لوحة "الصلب" وقد تعلق جسده بالهواء منفصلا عن الصليب، لكنه يبدو على رغم ذلك مثبتا اليه بالمسامير.

ترى ما معنى ذلك كله؟ يقول بعض النقاد ان دالي يحاول "أن يصوغ الأحلام في صورة ملموسة". وهذا تفسير لا يختلف كثيراً عن سواه في صدقه وانطباقه. ولا جدوى اطلاقاً من سؤال دالي نفسه، إلا اذا كنت على استعداد لأن تقبل منه رداً في شكل ساعة تشبه قرص الجبن.

على اي حال فان قصة دالي هي من اكثر القصص غرابة في عصرنا. فهو رجل اوشك على الموت جوعاً في أوائل الثلاثينات، وأصبح اليوم ثرياً يملك الملايين ويتمتع بشهرة يكاد لا يضارعه فيها رسام آخر. وفي معرضه الاول في باريس، لم يتجاوز ثمن افضل لوحاته الخمسمئة دولار. ومنذ عهد قريب بيعت احدى لوحاته في نيويورك بـ ٤٤٥ الف دولار. وكانت رسومه تبشر بما أصبح يعرف أخيراً بفن "الأوب" و"البوب" وحركات الادراك الحسي في الفن، وهي تزين اليوم جدران ٤١ من متاحف الفن العالمية، وتثري عدداً من أبرز المجموعات الخاصة. وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٧٤، افتتحت الحكومة الاسبانية متحفاً مخصصاً بأكمله لأعمال دالي. وهناك متحف مماثل في مدينة كليفلاند الامريكية.

ويقول دالي: "ان هناك أياماً أشعر فيها بأني أوشك على الموت من فرط الرضا". ويجمع الخبراء على أنه اذا حدث ذلك فعلا فستبقى اعماله تعبيراً حياً عن عبقرية من أعظم العبقريات المبدعة في عصرنا.

جورج كنت

كيفما تسافر...



أوميغا: تصميم رائع

أوميغا من سامسونايت هي الجمع الكامل بين التكنولوجيا الحديثة وروعة التصميم.

صنع إطارها من مادة المغنيزيوم الصلبة القوية والخفيفة مما جعلها تواكب عصر الفضاء.

أوميغا تؤمّن الحماية الكاملة لمحتوياتها.

كل جزء من أجزاء أوميغا مصنوع من أفضل المواد نوعية، هيكلها من مادة الـ"ABSOLITE" يجعل منها الحقيبة التي لا تزاحم من حيث القوة والمتانة.

أضف الى ذلك جهاز الزر الضاغط والقفل المرقّم الذي يجعل من أوميغا صفقة كاملة ورابحة.

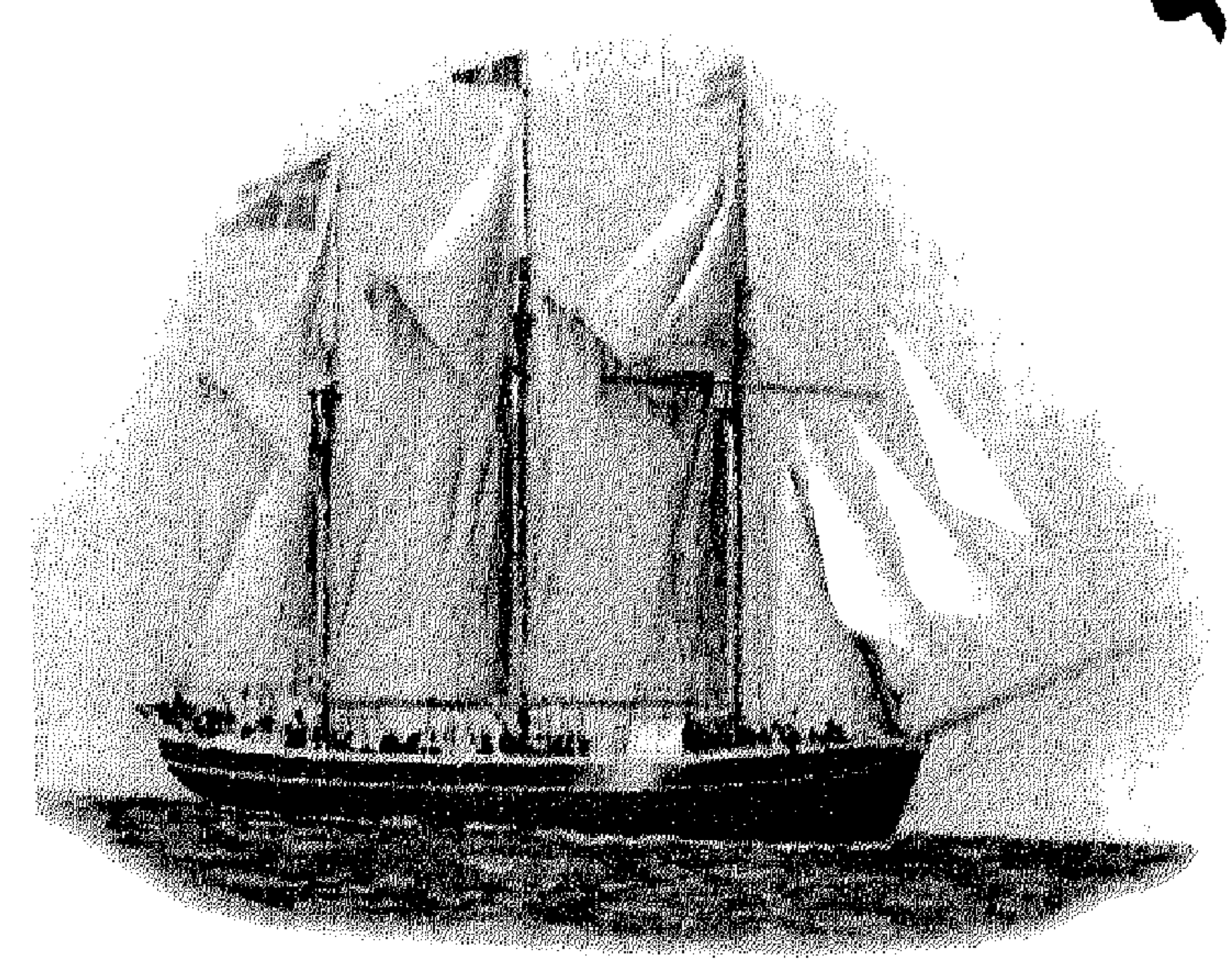
أوميغا حقيبة اليد لكل رجل عصري.

إنها أصليّة ~ إنها سامسونايت

سامسونايت Samsonite®

حقائب سامسونايت الأصليّة - مصنوعة في الولايات المتحدة

الاصلاحيّة العائمة



على متن
سفينة فريدة
يعاون هذا البحريّ
الاحداث الجانحين
على العودة الى المجتمع

وجد كارستن سورنسن نفسه في مأزق، وهو مراهق دانمركي جانح قبض عليه خمس مرات بتهمة سرقة السيارات. وها هو الآن، وقد بلغ السابعة عشرة، يصبح مدمن مخدرات. وحين التمس ان يبحر على متن "الفالتون" التي يقودها القبطان الشهير موغنز فرون نيلسن، كان بلا امل او مستقبل.

وأبحر كارستن على ظهر الفالتون، وهي اصلاحية عائمة تستقبل الاحداث الجانحين. فعانى في مستهل رحلته التي دامت نحو سنة نوبات البرد والعرق، اذ انه توقف تماماً عن تعاطي المخدرات. لكنه سرعان ما تعلم، بمساعدة زملائه، ان يكون عضواً عاملا في طاقم السفينة: فيدير الصواري ويوازن الاشرعة ويصبح بحاراً. وكانت كلمات التشجيع تأتيه من القبطان باستمرار. والآن، بعد خمس سنوات يعيش كارستن حياة هادئة ومستقرة على البر.

بعد عشر سنين من اطلاق الفالتون في وجه موجة الاجرام التي اجتاحت الغرب، تمكن موغنز فرون نيلسن من تحقيق نتائج باهرة عجزت عن مضاهاتها المؤسسات الخيرية والسجون. فمن اصل ٤٦٣ شاباً وفتاة ابحروا مع موغنز (٧٠ في المئة منهم مؤهلون لدخول السجن) لم يعد الى الاجرام الا تسعة. ونسبة اخفاق موغنز هذه اقل من اربعة في المئة، في حين تتوقع المؤسسات الجزائية عودة اكثر من ١٦ في المئة من السجناء الذين تطلقهم.

الا ان موغنز لا يغفر لنفسه اي

Photos by Erling Mondelmann

اخفاق، وهو يقول: "اني لا استطيع ان انام جيداً كلما فكرت في هؤلاء التسعة، وطالما تساءلت عن سبب عجزي عن معالجتهم".

ونظرية موغنز في اعادة تأهيل الاحداث بسيطة، لقد افترض ان طاقم السفينة نموذج مصغر للمجتمع، فاذا استطاع الجانح ان يتكيف مع مسؤولية الحياة والعمل على متن السفينة، فربما امكنه ان يسلك السلوك نفسه حين يعود الى البر، وقد اثبتت التجربة صواب رأيه.

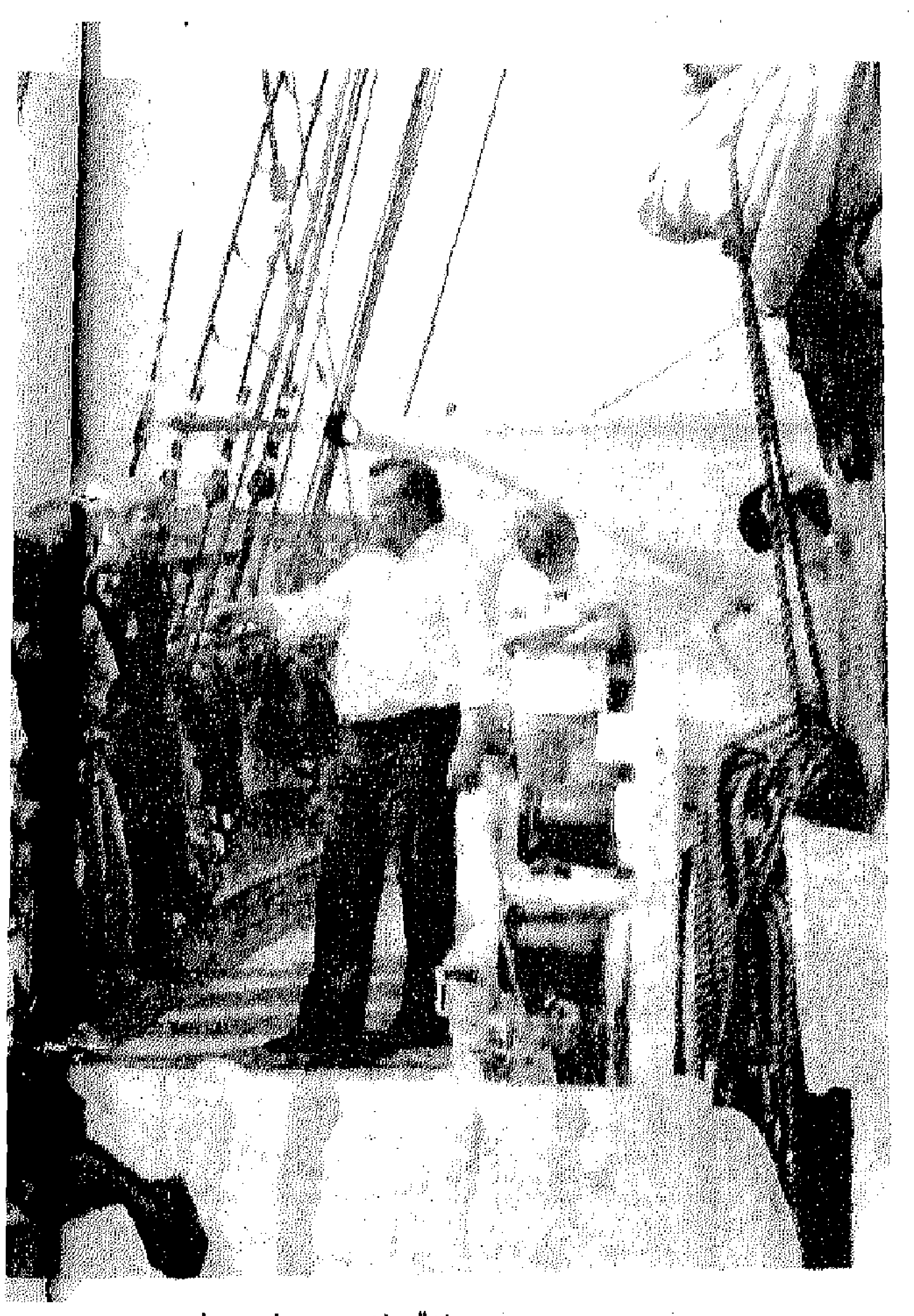
ماذا فعلت بولدي؟ — بدأت تجربة موغنز الفريدة عام ١٩٦٧، حين طلبت منه شركة لانتاج الافلام ان يرمم سفينة شراعية قديمة ذات ثلاثة صوار تدعى "الاوديسيوس"، لاستخدامها في تصوير احد الافلام، ونظراً الى قلة الاموال المخصصة لهذا المشروع فقد عمل بمفرده على اصلاح السفينة الراسية في مرفأ آلبورغ الدانمركي.

وبعد عودته الى السفينة ذات يوم، وجد أن احد زوارق النجاة قد سرق ولمح صبيين يقودان الزورق بصعوبة حول المرفأ، فاستقل موغنز زورقاً آخر وتعقبهما حتى قبض عليهما. وقال للصبين اللذين كانا يرتجفان: "اذا كنتما تودان ان تغرقا، فلا تستعملا زورقي، كما ان عليكما استئذاني لاستعارته اولا، وان ترتديا اثواب النجاة ثانياً، وان تتعلما التجذيف ثالثاً". ثم خطرت له فكرة اطلعهما عليها: "سأدربكما على الملاحة اذا عاونتماني على اصلاح "الاوديسيوس". فكل ساعة عمل اعطيكما في مقابلها ساعة من الدروس العملية".

ونجحت خطة موغنز، وسرعان ما بلغ عدد مساعديه ١٦ شاباً اقوياء البنية يعملون على تبديل الالواح الخشبية وتنظيف السفينة وطليها. وفي غضون ستة اشهر اضحت "الاوديسيوس" صالحة للابحار من جديد، كما غدت لائقة لتصوير مشهد سينمائي رائع.

وذات يوم زار والد احد التلاميذ ـ العمال في السفينة موغنز وسأله: "ماذا فعلت بولدي حتى تحسن سلوكه وتقدم تحصيله الدراسي؟"

وجاء معلم مدرسة مرة ليناقش في امر شاب آخر، مؤكداً انه لص، فرد موغنز ضاحكاً: "لقد تولى هذا الشاب



القبطان موغنز فرون

١٩٨٠ امانة صندوق السفينة، ولم نفقد كورونا (★) واحدة". وقفل المعلم راجعاً وهو يهز رأسه.

وأخيراً اهدى تجار شاطىء آلبورغ الى موغنز ٢٠٠٠ كورون كي يشتري لنفسه وللشباب ما طاب لهم، واعلنوا: "هذه هي السنة الاولى التي لم يكسر زجاج نافذة واحدة في اي متجر".

ثم ابحر موغنز مع طاقمه الكامل الذي اتقن فن الملاحة، وقصد كوبنهاغن، عاصمة الدانمرك، ليسلم السفينة. وقبل عودة الشبان الـ١٦ الى آلبورغ، طلبوا من موغنز ان يعود خلال سنتين في سفينة أخرى.

انبعاث الفالتون – مرّ موغنز بفترة يائسة في حداثته، اذ كان مصاباً بالعمى القرائي (اضطراب مخي يتميز بالعجز عن القراءة). فهرب من المدرسة وهو يكاد لا يحسن كتابة اسمه. وتنقل بين عدد من الوظائف الوضيعة قبل ان يجد وظيفة خالية على متن احدى السفن الشراعية القليلة المستخدمة في نقل البضائع. وبعد ان امضى في البحر سنتين قاسيتين، التحق بمدرسة بحرية ونال شهادة قبطان.

وفيما كان موغنز يتسلق صواري سفينة التدريب، لاحظ لدهشته انه على رغم اخفاقه على البر فانه كان يثق بنفسه وهو في البحر. وفي اثناء خدمته العسكرية برتبة ملازم بحار، لاحظ انه كلما كان العمل المطلوب من رجاله نافعاً زاد انضباطهم.

ولكي يتمكن موغنز من العودة الى شبان آلبورغ، سعى الى الحصول على وظيفة عامل اجتماعي آملا بأن يقنع رؤساءه بمساعدته في انزال مركب الى البحر يكون بمثابة اصلاحية للاحداث. لكن موغنز لم يكن حائزاً درجة جامعية، فاضطر الى القبول بوظيفة حاجب. وعلى رغم ضآلة راتبه، فانه استطاع التجول عارضاً فكرته.

وفي نهاية المطاف اتيحت لموغنز اذنان صاغيتان، اذ ان كراملين بيدرسن، مدير متحف سفن الفايكينغ في روزكيلده، قرب كوبنهاغن، راقه ان يضم سفينة شراعية الى مجموعة المتحف. كما ابدى الصناعي الراحل

(★) الكورون عملة دانمركية تعادل ١٨،٠ دولار.

يسكير رغبته في اهداء هذه السفينة لى الشعب الدانمركي لمناسبة مرور ٥٠ سنة على تأسيس شركته. وتطابقت افكار الرجال الثلاثة.

في البداية حاول موغنز ان يستعيد "الاوديسيوس"، لكن ثمنها كان باهظاً. ثم علم برسو "الفالتون" في ميناء آلبورغ، وهي سفينة شراعية ذات ثلاثة صوار بنيت عام ١٩١٥، وقد جردت لاحقاً من اشرعتها وتحطمت صواريها وعمود مقدمها. ثم انها جهزت بمحرك بخاري فلم تعد سفينة شراعية.

وذات يوم، فيما كان موغنز يتفحص السفينة من الداخل، سمع ضجة على السطح، وصعد ليجد ثلاثة من الشبان الذين ساعدوه في اصلاح "الاوديسيوس" - وكانوا سمعوا بعودته الى المدينة - يجرفون الثلج عن ظهر المركب. ولما رأوه بادروه: "لا بد من انها السفينة التي وعدتنا بها. سوف نساعدك في ترميمها". وفي اقل من خمسة اشهر، ابحر الشبان بقيادة قبطانهم على متن السفينة المرممة قاصدين روزكيلده.

وشعر موغنز بأن الفالتون لم تصنع لتعرض في متحف. فهي في رأيه على موعد مع عالمنا المعاصر. وطلب من العمال الاجتماعيين المهتمين بمساعدة المراهقين الجانحين ان يحيلوا عليه القضايا المستعصية. وعلى رغم عدم اقتناع هؤلاء بفكرته،

الا انهم سلموه بعض الجانحين الصعبي المراس. وفي يوليو (تموز) ١٩٧٠، ابحر موغنز مع طاقمه الاول من الاحداث الجانحين.

عطف وحزم – استفاد موغنز من تجربته في البحرية. فكلما ازداد عمل الشبان، قلت المشاكل التي يفتعلونها. ولم يجد موغنز صعوبة في جعل الاحداث يعملون طالما ان الغاية من العمل واضحة امامهم. فسطح السفينة، مثلا، يجب ان يمسح كل يوم لان ذلك يساعد خشبها على التماسك. ثم ان موغنز لم يكن مستبداً متعسفاً، فكان الاحداث يعدون بانفسهم جداول العمل ويقترعون على الاتجاه الذي ستسلكه السفينة.

وعلى اثر نجاح الرحلات الاولى، باشر موغنز نقل طلاب المدارس على متن الفالتون في نزهات بحرية قصيرة خلال فصل الصيف. وساعد ذلك في تأمين المصاريف. لكن موغنز كان يهدف الى اكثر من ذلك، فأنه جعل بحارته، الذين كانوا ناقمين على المجتمع والذين يبلغ عددهم ١٢ عادة، يعلمون طلاب المدارس فن الملاحة. وحين ادرك الاحداث المنحرفون مسؤولياتهم بدأوا يعملون بجد، تماماً كطاقم آلبورغ الاصلي.

وأثارت حماية موغنز للاحداث الجانحين تخوف الشرطة. وذات مرة عثر احد رجال المباحث على شاب مطلوب من العدالة على متن الفالتون. لكن موغنز رفض ببساطة ان يسلم الشاب الى الشرطي. وتوصل الرجلان في النهاية الى حل وسط يسمح للشاب بالبقاء على ظهر المركب اذا اعترف بجرمه. ثم حذر الشرطي موغنز بقوله: "لكن اذا خيب الشاب آمالك، فسيصبح اسيري".

واعترف الشاب بجنحته من دون اكراه.

ثم ابحر مع السفينة ليهجر نهائياً حياة الجرائم. وفي السنوات التالية ارسل رجل المباحث ذاك، وهو اليوم مفتش في دائرة الشرطة، العديد من الشبان الذين حكم عليهم بالسجن الى الفالتون، ورآهم يعودون الى المجتمع افراداً صالحين.

ليس موغنز عاطفياً غير واقعي ولا صارماً ولا ملتزماً بالتعاليم الشائعة. فاذا كان المراهق في حاجة الى عطف منحه منه كفايته. واذا ثار احد الاحداث وتهدده بالضرب، تمكن بفضل قوته الجسدية من السيطرة على الموقف. وحدث ان تحولت مقصورته يوماً الى ركام بعد ثورة غضب كهذه.

وقد اتيحت لي مشاهدة اسلوب موغنز في المواجهة المباشرة عندما انضممت الى طاقم الفالتون في رحلة صيفية على ساحل النروج المتعرج. وفيما نحن نتحدث مع القبطان في مؤخر السفينة وقف بالباب شاب ناحل كان في يومه الاول على متن الفالتون – وهو يوم مزعج عادة. وقد تخوف موغنز من احتمال هرب برايون، اذ كان وجهه مكفهراً على نحو ملحوظ. واجلس موغنز الفتى وقال له: "اسمع، اذا كنت تريد ان تضيع حياتك، فهذا شأنك. ولكن اعلم ان الفالتون هي هنا لمساعدتك. كما اني انا وزملاءك مستعدون لمعاونتك على بناء حياة افضل. واذا نجن عجزنا عن مساعدتك فاننا لن نخسر شيئاً". ولم يهرب

برايون، بل ان اساريره انفرجت في غضون ثلاثة ايام، ورأيته يبتسم ويروي الطرائف فيما كان يفرك الفالتون ويصقلها.

القدوة الحسنة – تعلم الفالتون المرء كيف يعيش ويتعامل مع الآخرين. وذات يوم خرج موغنز من غرفة القيادة على صوت عراك في الخارج. ووجد تيم،وهو شاب عيي" (لفظه غير واضح) وذو سجل حافل بالعنف، في عراك مع كريستيان، وهو لص مراهق بارع. ووقف الشابان بخجل امام القبطان وقد ظهرت على وجهيهما آثار القتال. فقال لهما: "في استطاعة كل منكما ان يقاتلني. ولكن عليكما الآن ان تنظفا كوات غرفة القيادة واحدة واحدة، احدكما من الخارج والآخر من الداخل. وحذار ان يبتسم احدكما للآخر، فانتما متخاصمان. هذا امر!"

وبعد نصف ساعة كان كل من تيم وكريستيان يبتسم خلسة في وجه الآخر فيما هما ينظفان الكوات. ثم دعاهما القبطان الى تناول كأسين من البيرة في مقصورته حيث ضمد جروحهما. وراقب كل من الشابين زميله وهو يتألم من اليود المصبوب على جروحه. واخيراً تعانقا.

وقال موغنز لاحقاً: "سوف يمسيان علىخير ما يرام. فليس هناك اولاد اشرار. ان الحزم هو نصف العلاج، والمحبة هي النصف الآخر. وسلاحنا الوحيد هنا هو القدوة الحسنة".

وتراوح مدة اقامة الشبان في الفالتون بين ستة اشهر و١٨ شهراً، اي عندما يرون، هم وموغنز، الوقت مناسباً للعودة الى المجتمع. وتدفع الحكومة الدانمركية عن كل مراهق مسجل على متن الفالتون مبلغ ثمانية آلاف كورون (١٤٤٠ دولاراً) كل شهر لسد التكاليف. وهذه الهبات لا تكفي لتغطية مصاريف السفينة. وقام موغنز برحلات عدة من اجل جمع الاموال.

وتساهم "جمعية اصدقاء الفالتون" في جمع الاموال من اجل ابعاد الضائقة المالية عن السفينة. وتقدم بعض الشركات المتعاطفة مع المشروع، اضافة الى المساعدة المالية، عروض عمل للشبان الذين يغادرون الفالتون. ويعود ذلك الى ان ارباب العمل وجدوا، بعد الاختبار، ان التدريب في الفالتون هو رمز للجودة. وعلى نقيض الاحداث الذين يتدربون في الاصلاحيات التقليدية، يفتخر شبان الفالتون بمدرستهم التي تخرجوا فيها ويرتدون سترات رسم عليها شعار السفينة.

وفي ليلتي الاخيرة على متن الفالتون اقيمت حفلة. فحمل موغنز غيتاره وغنينا. وبدا تيم وكريستيان، اللذان تلاكما في الصباح، صديقين حميمين. وملأ اندرز باخ كأسي. واندرز هو احد سارقي الزورق التابع للاوديسيوس.وبعد ان تخرج كمهندس (وهو الان في الخامسة والعشرين) عاد ليعمل مساعداً شخصياً لموغنز على ظهر الفالتون.

وقال لي اندرز: "لقد عدت الى الفالتون لاني اود ان اكمل العمل الذي بدأه القبطان، فأساعد الشباب في الافادة من حياتهم. وهذا افضل صنيع اعمله في حياتي".

■ موريس شادبولت

امنح اولادك المزيد من الفائدة كل شهر

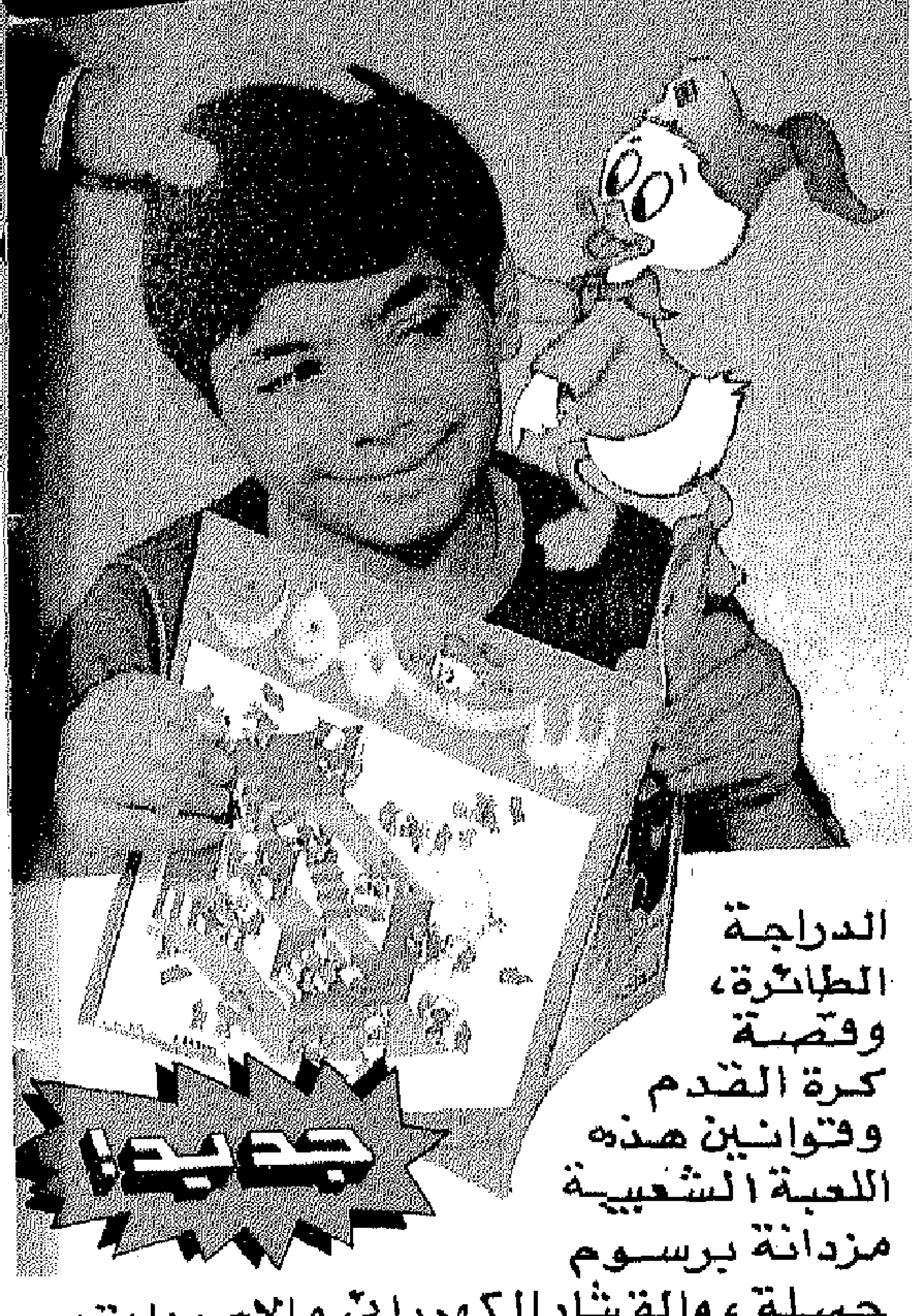
إنه العَدَد الأول من مجلّة الفتيان الشهرية الرفيعة المستوى باللغة العربية تصدر بعدأن وضعت فيها مؤسّسة "والت ديزني" أفضل ما لديها من خبرة في عالم الصّغار.



ثمان واربعون صفحة بألوان "ديزني" الجذابة تغمر حياة فتياتكم بالفائدة والمتعة والسرور.

علاوة على ذلك، فان ادخال شخصيات "والت ديزني" على العديد من مواضيع المجلة يجعل اولادكم ينجذبون نحو اشياء يحبونها ربما تعجز المدرسة عن توفيرها لهم في كثير من الاحيان.

فالعدد الاول من سمور يحتوي على مواضيع متنوعة شيقة مثل اختراع



الدراجة الطائرة، وقصة كرة القدم وقوانين هذه اللعبة الشعبية مزدانة برسوم جميلة، والقيثار الكهربائي والاصوات القوية التي يحدثها وغيرها من المواضيع في التاريخ الطبيعي والتسلية. كل ذلك كي تضفي جوًّا مليئًا بالسرور والمتعة والفائدة على جميع الاولاد الذين تتراوح اعمارهم بين ٩-١٥ عامًا.

الأكثر من كل هذا هو انهم يتعلمون أشياء جديدة دائمًا.

فإن كان مبتغاك الحصول على الافضل لأولادك فما عليك سوى الحصول لهم على سمّور الآن.





هما صديقان: احدهما رجل علم ومنطق، طالب جامعي في السنة الرابعة، والآخر رجل اهواء لا يكبح له جماح، مقعد، أبكم، مشلول اليدين، إلى ذلك هو طالب جامعي في السنة الثالثة. وصداقة هذين الاثنين الفريدة مثل يحتذى في العلاقات الانسانية

قصّة صَديقَين

توجه بيل رش ومارك دامك الى ملعب جامعة نبراسكا في الولايات المتحدة لحضورمباراة في كرة القدم. وكعادة الجامعي الذي يتخصص بعلم الحاسبات الالكترونية (الكومبيوتر) بدا مارك انيقاً.

اما بيل الذي يدرس الصحافة، فيدل مظهره على الاهمال وانعدام الترتيب، اضافة الى قصر في يده اليسرى حال دونها والوصول الى اسفل سترته، فبدا احدب، على رغم انكاره هذه الصفة.

وجوانب حذاءي بيل القديمين بالية دائماً، اما النعلان فجديدان. ويتجلى القبح والفوضى في اشنع مظاهرهما في الرباطات الاربعة البيض القديمة المعقودة في شكل اقواس تشد ركبتي بيل ورسغيه الى انبوب من معدن الكروم ملتو ومتصل بكرسيه المتنقل المجهز بمحرك. ويطلب بيل الى عمال مشغل كلية الهندسة في الجامعة اصلاح كرسيه المتنقل مرة في الشهر على الاقل، لانه يدأب على الضغط على عجلاته وتحطيم مساند القدمين فيه.

وحين يثور، يحرك بيل ذراعيه بسرعة ويضرب الارض برجليه، باسطاً يديه في كل اتجاه. فيسيل لعابه على قميصه، وتتبلبل الاحرف والكلمات المنضدة على لوح الكتابة الذي

يستعمله، فيعمد احدهم الى ابعاد يديه عن اللوح الموضوع فوق ذراعي الكرسي المتنقل.

ويستعمل بيل في الكتابة عصا نحاسية متصلة بجبهته يبلغ طولها ٣٠ سنتيمتراً. اما اذا تردد بعضهم في ابعاد يدي بيل، فان هذا يكتب بانفعال: "لا تخشوا،فانالن اسقط". واذا صادف ان سجل بيل عبارة طريفة على لوحه، فانه يطلق صيحة تشبه خوار ثور "الموظ" الامريكي عند الجماع، كما يصفه احد اساتذته.

اما مارك فهادىء ومتواضع وخجول، يتميز صوته بالانخفاض وبالنبرات السريعة والدقيقة.

ويختلف نمط عيش كل من بيل رش ومارك دامك. فيبدو بيل محاطاً بأناس يتبسطون في الحديث معه ويتبادلون واياه الطرائف الساخرة. ويقول الممرضون الذين يغسلون بيل ويلبسونه ويطعمونه، انهم لا يطمعون في الدولارات الثلاثة التي يتقاضونها في مقابل كل ساعة عمل، وانما هم يواظبون على عملهم لانهم يستمتعون بحديث بيل وردوده الطريفة على اقتراحاتهم الكثيرة: كأن يسمح لاحدى المجلات النسائية بالتقاط صور تظهره عارياً، او يتلقى دروساً في الغناء. وبيل مولع بالفتيات، ويعيش حياة اجتماعية صاخبة. اما مارك، فيعترف بأنه يحب الوحدة. وتجده في ساعة متقدمة من الليل ساهراً في مركز الكومبيوتر يحدق الى خريطة لمواقع النجوم امضى ساعات طوالا في برمجتها.

وعلى رغم هذا التباين، فان بيل ومارك يتفقان على امرين: انهما اذكى من معظم الذين يعيشون معهما، وانهما يبدوان شاذين في نظر طلاب الجامعة، وان تكن تلك الصفة لازمت بيل رغماً منه، واقترنت بمارك بمحض اختياره. لذلك تصرفا في اثناء مباراة كرة القدم كزائرين من عالم آخر. ففي اللحظة التي سجل بطل الجامعة الهدف الثالث وعلا تصفيق ٧٦ الف متفرج وهتافهم، همس مارك في اذن بيل: "هل تريد ان تغادر المكان؟" وانحنى ليسمع الجواب: "نعم. فهذا ممل الى اقصى الحدود".

السنوات الضائعة – ولد بيل في مدينة اوماها في ولاية نبراسكا الامريكية. وتم اخراجه من رحم امه بواسطة جراحة بعدما انزلق الحبل السري من موضعه وعاق وصول الاوكسيجين الى خلايا دماغ الجنين طوال ساعة. وأعلم الطبيب المولد السيدة رش بان طفلها مصاب بالشلل الدماغي نتيجة عطل اصاب الجزء الذي يتحكم بالوظائف الارادية في الغلاف الدماغي. واوضح لها ان تلك الاصابة ليست مميتة وان لا خطر من تفاقمها، وان الشلل الدماغي يورث حالات عمى او صمم او تخلف عقلي في كثير من الاولاد الذين يصابون به.

ومع نمو بيل، اكتشف اهله ان طفلهم يسمع ويرى. كما تأكدوا من انه لم يكن متخلفاً عقلياً، اذ كانت عيناه تتبعانهم انى توجهوا بانتباه وذكاء. وفي السن الرابعة بدأ يقرأ، مما اثار دهشة والدته التي كانت تقرأ له احياناً.

وفي الحادية عشرة اخضع الاستاذ

والمعالجون في مدرسة الدكتور ج.ب. لورد للمعاقين جسدياً في اوماها، عنق الصبي لسلسلة من التمارين. وصنعوا له لوح الكتابة، وأتوه بآلة كاتبة كهربائية، ووصلوا بجبهته اول عصا للكتابة.

وما يذكره بيل عن حياته قبل ذلك الوقت هو الثورات العصبية المتتابعة. كما يذكر ١١ سنة من المعالجة الجسدية بالاطواق الفولاذية التي وضعت حول رجليه، وجراحة اجريت لتقويمهما مندون ان تمكنه من المشي. ولا تغيب عنه ذكرى ١١ سنة من معالجة مشكلة البكم لديه لم يقدر خلالها على التكلم. كما تعلق بذاكرته ١١ سنة من المعالجة بالعمل (★) لم يتمكن في اثنائها من استعمال يديه. وكان اول ما نجح فيه هو استعمال عصا الكتابة. فكان ذلك، على حد قوله، "منفذاً للهرب من سجن الوحدة".

وبدأ بيل يزيد اوقات درسه حتى غدا اول طالب يتخرج بشهادة ثانوية في مدرسة ج.ب. لورد. ولما نجح في امتحانات الدخول الى الجامعة - وقد طبع الاجوبة بعصا الكتابة - التحق بجامعة نبراسكا في لينكولن حيث التقى مارك دامك.

شب مارك في بلدة صغيرة في ولاية نبراسكا الامريكية. وأمضى معظم اوقاته في تركيب المعدات الالكترونية ومشاهدة افلام علمية - خيالية، فضلا عن جمع الكتب العلمية - الخيالية. وعندما كان في السنة النهائية من المرحلة الثانوية، اشترك في معرض لعلوم، وأحرز اول نجاح له في ثلاثة مشاريع: اطلاق قمر اصطناعي الى كويكب "سيريز"، وتطوير آلة حاسبة، وتصميم ذراع اصطناعية اوحى اليه بها عمه الابتر ارموند. واحتلت الذراع الاصطناعية المرتبة الاولى في معرض نبراسكا الكبير للعلوم والهندسة، ومعرض قسم الهندسة للعلوم الدولية والهندسة.

ودخل مارك الجامعة بمنحة. واقام في مهجع "سيليك" حيث الصق بباب حجرته بطاقة كتب عليها: "مؤسسة ام.سي.دي. للاستشارات. الرئيس: مارك دامك".

ام.سي.دي. هي شركة حقيقية، وقد رفض رئيسها - والموظف الوحيد فيها - ستة عروض للعمل في مجال الحساب الالكتروني، وصرف كل اوقات فراغه في اربعة اشهر - ومازال يقضي بضع ساعات كل اسبوع - في دراسة مشروعه الجديد وتنفيذه.

وفي سبتمبر (ايلول) ١٩٧٨، منحته مصلحة خدمات اعادة التأهيل، والهيئة المتحدة للشلل الدماغي في نبراسكا، وجامعة نبراسكا، ٣٠٠٠ دولار من اجل تصميم جهاز ناطق لبيل، خصوصاً ان الاخير كان يتمنى دائماً ان يتكلم على رغم كون لوح الكتابة الذي يستعمله وسيلة تخاطب فعالة.

وبغية تركيب مخارج الالفاظ، دفع مارك ٤٠٠ دولار لشراء جهاز يبث صوت شخص يتكلم الانكليزية بلهجة اسوجية، وكيّف بعض الاجهزة مثل عقل الكتروني صغير وشاشة فيديو، وجهاز لادارة الاسطوانات ولوحة

(★) طريقة في المعالجة قوامها تكليف المريض اداء عمل خفيف يصرفه عن التفكير في نفسه ويعجل في شفائه.

مفاتيح معدلة. وكان العمل في هذا القسم سهلا، اما برمجة النظام على نحو يفيد منه بيل فقد استغرقت ٥٠٠ ساعة من العمل.

بريسلي الاسكنديناقي – في فبراير (شباط) ١٩٧٩، حمل بيل اثنان من اصدقائه على كرسيه المتنقل، أصعداه الى الطبقة الثالثة من مهجع "سيليك". وبذلك اتيحت له الفرصة ليشاهد غرفة مارك للمرة الاولى. واعمل بيل عصاه في لوحة المفاتيح. فانبعث من الجهاز صوت غير مفهوم، ثم صوت يقول "محبة" بلهجة اسوجية.

وازدادت اصطلاحات الجهاز الناطق، المودع الآن غرفة بيل، على نحو ملحوظ. ويقول بيل: "من مزايا الجهاز ان بعض كلماته بذيئة". ولدى بيل مرادفات يختار منها الكلمة التي يريد، وما عليه الا ان يضغط الزر الايمن كي تسمع احدى الكلمات الـ٣٤ الشائعة، المنقوشة على لوحة المفاتيح، ومن بينها التأوهات والقهقهات. اما اذا لم تكن الكلمة منقوشة على لوحة المفاتيح، فالمهمة اكثر تعقيدا.

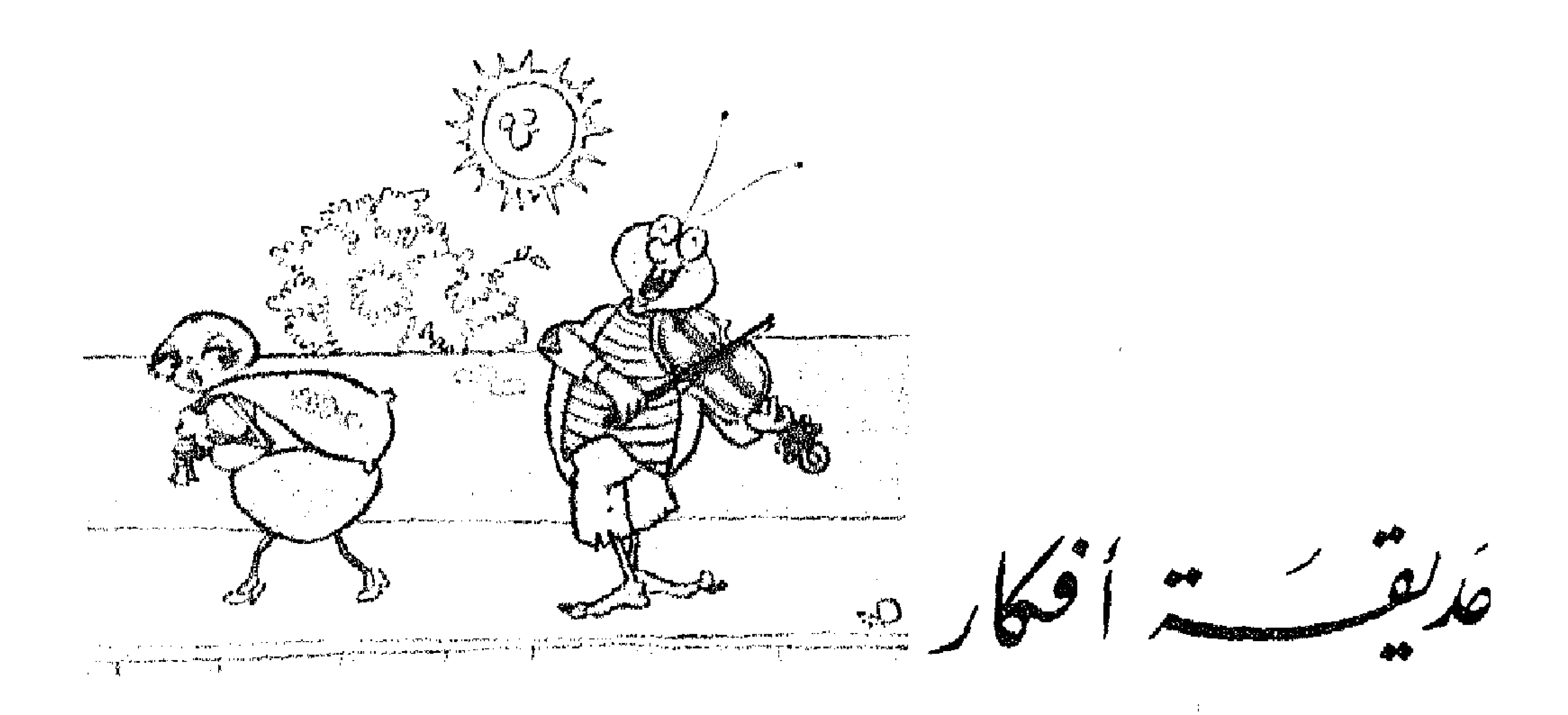
وينبغي استعمال نظام صوتي مؤلف من ارقام تشير الى قوة النبرة التي تلفظ بها احرف العلة، لان جهاز الكومبيوتر لا يمكنه التنبوءبالتقلبات المفاجئة في نهج التعبير باللغة الانكليزية. وعملية النطق بطيئة اذ لا بد من استعمال عصا الكتابة لطبع كل رمز على حدة. من هنا، زود مارك الجهاز بمعجم من ٨٠٠ كلمة وعبارة انتقاها بيل نفسه. ويتعرّف الكومبيوتر الكلمة وينطقها حالما يخطها بيل على لوحة المفاتيح. ويحوي معجم بيل كلمات مثل: مرحباً، انا بيل رش، هل انت تعمل الآن؟ اني في حاجة الى بعض المعلومات، يعيد تأهيل، غير منفصل، النجدة! شخص ما، لا تخف مني!

ويعكف مارك الآن على انتاج جهاز ناطق صغير يمكن لبيل ان يحمله على كرسيه المتحرك. وما يلفت هو الارتفاع المفاجىء في قيمة فواتير الهاتف المقدمة الى بيل، اذ استطاع للمرة الاولى في حياته ان يجري مخابرة عبر هاتفه المجهز بمكبر للصوت. ومع ان بيل طلب ان يكون صوت جهازه اشبه بصوت الفيس بريسلي، الا انه مقتنع الان بأن شخصيته الاسكندينافية تناسب احدى جمل معجمه: "ماذا تنوين ان تفعلي مساء السبت؟"

وتبقى علاقة بيل رش ومارك دامك مبنية على اسس من التخاطب اعمق جذوراً وأشد رسوخاً من العلاقة المبنية على سهولة المحادثة التي يوفرها الجهاز الناطق. وفي ذلك يقول مارك: "ذات مرة قرأت كتاباً علمياً – خيالياً يروي مؤلفه، كليفورد سيماك، قصة مسافرين من عالمين مختلفين تواردت افكارهما وتشابهت قبل ان يتصافحا". ويضيف: "يخالجني الاحساس نفسه مع بيل. لقد ادركت اننا كنا نتعلم ان نتخاطب فعلا حين بدأ الحلم يراودني. فعندما نتحدث، لا يستخدم بيل لوح الكتابة او المطبعة الكهربائية او الجهاز الناطق، وانما تتلاقى افكارنا فأشعر كأنه يتكلم كأي شخص عادي".

■ آن فاديمان


ابو ظبي
عدن
عمان
الظهران
بغداد
البحرين
بنغازي
القاهرة
الدوحة
دبي
جدة
الخرطوم
الكويت
لرناكا
مسقط
رأس الخيمة
اثينا
كوبنهاغن
فرانكفورت
جنيف
اسطنبول
لندن
مدريد
ميلانو
باريس
روما
زوريخ
بيروت
ابيدجان
كونو
لاغوس
مونروفيا
تونس
في جدول
رحلاتنا الحالي
يمكنكم أن
تجدوا الرحلة المناسبة
وموعد السفر الملائم
تؤمن شركة طيران الشرق الأوسط
اوسع خيار من الرحلات انطلاقاً
من بيروت الى ٣٢ مدينة في اوروبا -
الشرق الاوسط وافريقيا .
أن شركة طيران الشرق الاوسط
التي تتمتع بـ ٣٤ سنة من الخبرة
تؤمن لكم جدول رحلات دقيق يضمن
راحتكم وبلائم أعمالكم .
MEA
الشركة التي تستحق ثقتكم
طيران الشرق الاوسط الخطوط الجوية اللبنانية



حديقة أفكار

■ ان عيون الآخرين هي التي تحطمنا. فلو كان الجميع عمياناً ووحدي المبصر لما سعيت الى منزل جميل او أثاث جميل.

بنجامين فرانكلين

■ الأول من ابريل (نيسان) هو اليوم الذي نتذكر فيه ما نحن في الأيام الـ٣٦٤ الباقية.

مارك توين

■ كن شكوراً للامور الصغيرة. صحيح أن العالم يزدحم بالكائنات، ولكن تصور ما كان سيحدث لو وضع سيدنا في فلكه اربعة ازواج من كل نوع بدلا من زوجين.

ا.ك.

■ هناك فرق بين حشر أنفك في شؤون الآخرين ووضع قلبك في شجونهم.

ك.ش.ن.

■ المغفرة فعل عجيب: انها تدفىء القلب وتبرد الجرح.

و.ا.و.

■ المصابون بالقلق يهدرون وقتهم في تبديد الدخان بدلا من اخماد الحريق.

ك.م.د.

■ العلم في ذاته ليس له بُعْد خُلُقي. إنه كالسكين: يتغير فعله بين جراح ومجرم.

و.ف.ب.

■ فليعرف من يشاء الرّقص انه يقف على رجل واحدة.

ل.ر.

■ ليس هناك واجب نستخف به أكثر من واجب السعي الى السعادة.

روبرت لويس ستيفنسون

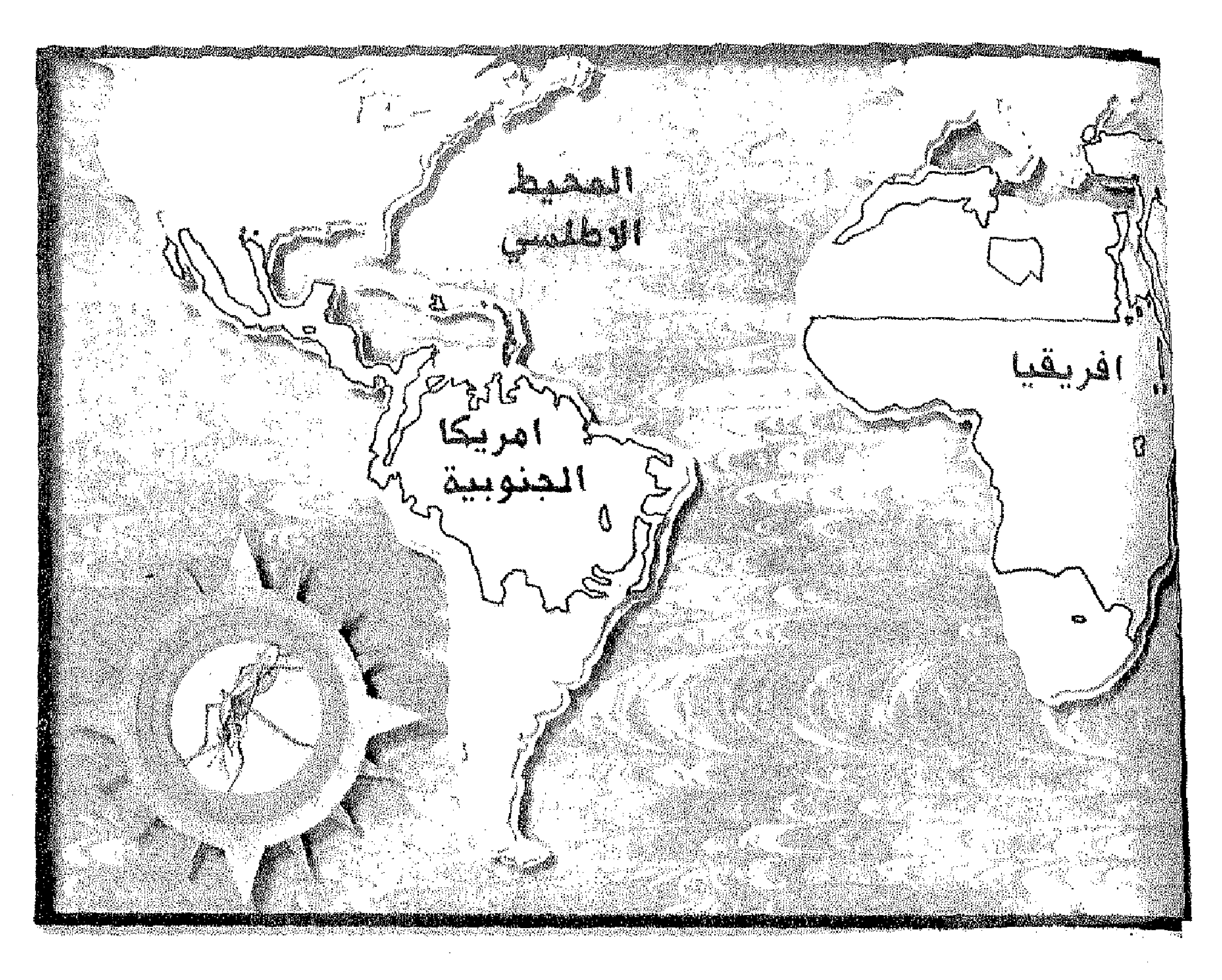
ظـن العالـم انـه قضـى على الملاريـا،
لكـن انـتشـار هـذا المرض في ازدياد مريع الآن



مناطق انتشار الملاريا

في اوائل يونيو (حزيران) ١٩٧٩، وصلـت الـى احـدى قـرى النيـجـر الشرقي، في افريقيا الوسطى، سيارة جيب تابعة لمنظمة الصحة العالمية وفـي داخلهـا اثنـان مـن الخبـراء بالاوبئة. ولوحظ ان هدوءاً غريباً يسود ما يجب ان يكون اكثر الساعات نشاطاً فـي "يـوم السـوق". وكـان السبب انه في الاشهر الاخيرة اجتاح المنطقة مرض الملاريا (البرداء). وفقد معظم الاسر ولداً او ولدين، واصاب الـمـرض عـدداً كبيـراً مـن البالغين حتى ان قلة منهم فقط استطاعت ان تستجمع الطاقة الكافية لتأدية عملها اليومي.

وما وجده الخبيران فـي هذه القـرية ليس نادراً ولا مقصوراً على افريقيا. فالدكتور جوزف هـ. بول، عالم الاوبئة في المنظمة، يقول: "الملاريا هي، الى حد بعيد، مشكلة الصحة العامة الاولى في العالم". والمنظمة نفسها تقول ان ثلث سكان العالم يقيمون في مناطق يزداد فيها خطر الملاريا، ويصاب سنوياً بهذا المرض اكثر من ١٥٠ مليوناً. والاسوأ هو ان بين ضحاياه مئات الالوف من الاولاد. وفي مناطق افريقيا الاستوائية حيث ترتفع نسبة الاصابة بالـوبـاء يـمـوت بالملاريا ما بين ستة اطفال وثمانية من كل مئة طفل قبل ان يبلغوا السنة



الاولى من عمرهم. وهو في جنوب شرق آسيا احد اسباب الوفاة الرئيسية بالنسبة الى الاولاد الذين هم دون السن الرابعة عشرة. والامر الاكثر مدعاة الى الخوف هو انه حتى في اوروبا وامريكا الشمالية اللتين تنتقل اليهما الملاريا بواسطة اشخاص قادمين من افريقيا وآسيا وغيرهما تجاوز عدد الاصابات الضعفين في الاعوام الخمسة الاخيرة، كما ان معدل الوفيات بالملاريا هو في ارتفاع.

وكان معظم خبراء الملاريا اعتقدوا قبل اقل من ١٥ سنة، ان هذا الوباء هو الى زوال. فعند نهاية الحرب العالمية الثانية وعد مبيد الحشرات د.د.ت. بقطع حلقة الاتصال بين البعوضة، التي تحمل طفيليات الملاريا، والانسان. ومن اواسط الخمسينات الى اوائل الستينات انتشر في انحاء العالم نحو ٥٠٠ من خبراء منظمة الصحة العالمية ليتعاونوا مع الوف المواطنين في حملة دولية لاجتثاث الملاريا. وفي الارياف رش عمال المنظمة المحليون مبيد الحشرات على الجدران الداخلية للمنازل، حيث يرتاح البعوض، وفوق المياه الراكدة، حيث يتكاثر. وفي المدن والقرى وزع المعاونون الطبيون المستحضرات المضادة للملاريا.

Map: George Buctel

وفي اقل من تسع سنين انخفض عدد المصابين بالملاريا سنوياً في الهند من ٧٥ مليوناً الى مئة الف ابلغ عنهم. وفي اقل من ١٥ سنة اختفى هذا المرض تقريباً في تركيا وتمت السيطرة عليه في المناطق الاستوائية من آسيا وامريكا الجنوبية والوسطى. وبدا انه من الممكن احراز انتصار في المستقبل القريب على اوسع الامراض انتشاراً بين البشر.

هل تأخرنا؟ ـ لكن الانتصار لم يعد ممكنا الآن. فخلال السنين العشر الاخيرة قطع وباء الملاريا شوطاً كبيراً في سبيل استعادة مركزه السابق. وكان رقم العام ١٩٧٥ (وهو آخر الارقام المتاحة) بالنسبة الى الهند وحدها ستة ملايين اصابة، وهو يمثل زيادة ٦٠ ضعفاً خلال عقد. وفي جنوب شرق آسيا يكاد عدد المصابين بالملاريا يتضاعف سنوياً. وفي تركيا بلغ عن وقوع ١١٥ الف اصابة في اعقاب وباء عام ١٩٧٦.

الى ذلك هناك بلدان في اقصى الشمال مثل البلدان الاسكندينافية تظهر فيها عشرات الاصابات بالملاريا المستوردة كل عام.

ماذا وراء انبعاث الملاريا؟

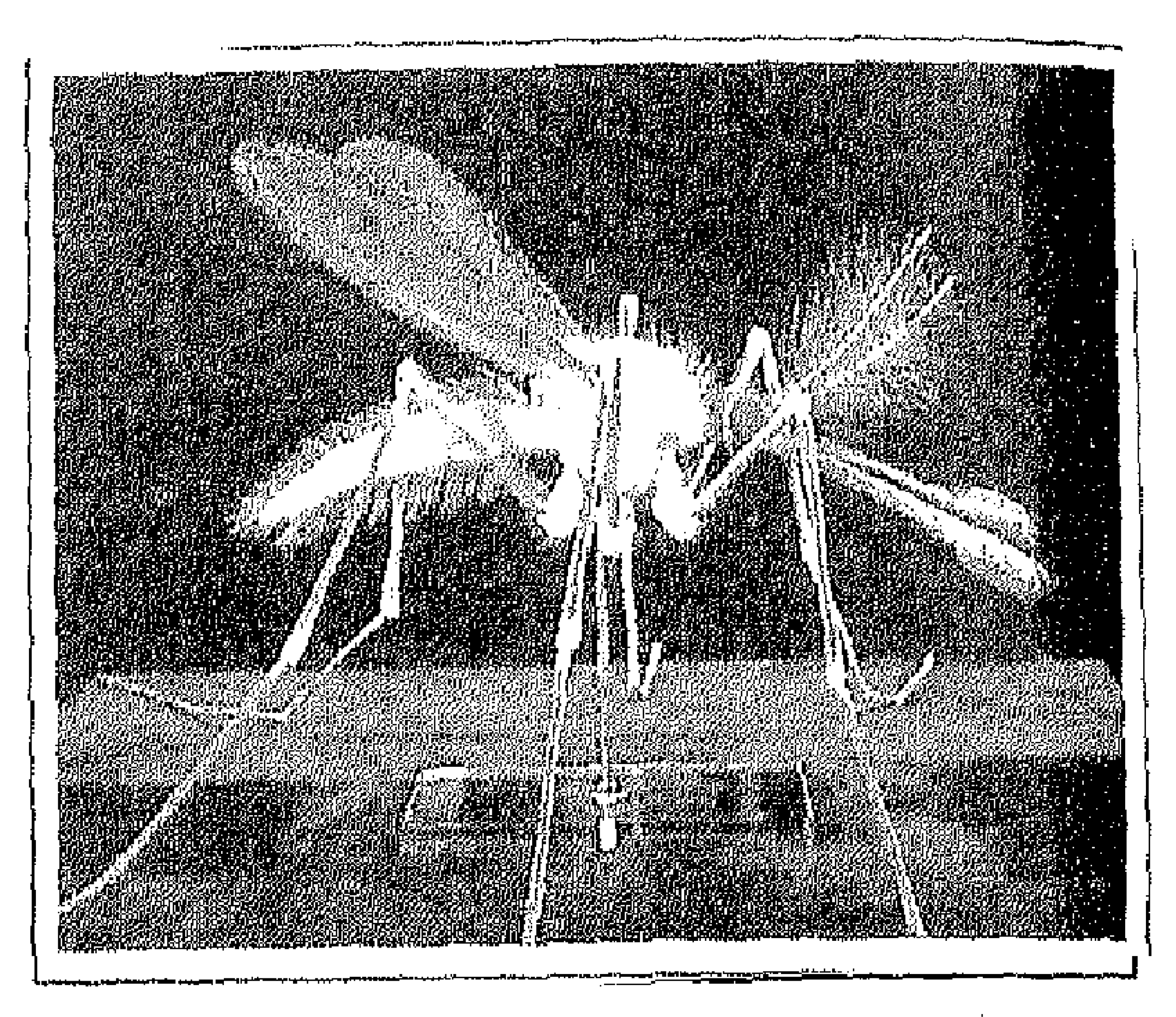
انه البعوض، في المقام الاول. البعوض الجائع والمتكاثر في انحاء العالم. ويوضح ل.ج. بروس ـ شوات، الاستاذ الفخري لعلم الصحة الاستوائية في جامعة لندن، انه "خلافاً لمعظم الامراض المعدية التي تنتقل عبر الهواء او بالاتصال البشري المباشر، فان الطفيليات التي تسبب الملاريا يجب ان "تحقن" في الجلد لتدخل مجرى الدم". ومن اجل هذا الغرض، امنت الطبيعة امداداً متنقلاً من المحاقن يتمثل في بعوض الانوفلين. والمناخات الدافئة والرطبة هي الاكثر ملاءمة لهذه الحشرات الموجودة في كل مكان تقريباً.

وانثى البعوض هي المسؤولة عن نشر المرض. ففي حين لا يرشف الذكر سوى عصارة النبات، تمضي الانثى ليلة من كل ليلتين او ثلاث ليال في بحث محموم عن وجبة طعام دافئة الدم تغذي بها بيضاتها النامية. واذا احتوى الدم الذي امتصته على طفيليات ملاريا فان هذه تنمو في جسم الانثى ثم تنتقل الى جسد بشري يوفر لها وجبة طعام اخرى...

ويقول بروس ـ شوات: "من الناحية النظرية، يجب الا تبدو عملية تحطيم دورة الانتقال هذه انها مهمة صعبة. فبعد ان تغتذي انثى الانوفلين بالانسان، تتجه عادة الى مكان آخر داخل الدار حيث تهضم طعامها، وتستغرق هذه العملية ساعات عدة. وهكذا فاذا رشت الجدران والسقوف بمبيد للحشرات، امكن القضاء على البعوض، حامل الملاريا، قبل ان تتاح له فرصة نقل المرض الى ضحية جديدة".

وهذا ما حدث بالضبط في اول الامر. ففي المناطق الموبوءة بالملاريا في تركيا رشت السطوح الداخلية للمنازل بطبقة رقيقة من الد.د.ت. ويتذكر احد الموظفين هناك ان "الد.د.ت. كان رخيصاً، سهل الاستعمال وفعالا".

ثم عاد بعوض الانوفلين الى الظهور في اماكن كانت مبيدات



الانوفليس: نموذج لبعوضة الملاريا.

الحشرات تستعمل فيها بسخاء، خصوصاً للسيطرة على الآفات الزراعية. ويقول بروس - شوات انه "في حين اباد الد.د.ت. فعلا معظم البعوض في احدى المناطق، فان عدداً صغيراً منه كان دائما يفلح في النجاة. ولدى تكاثرها لوحظ ان لبعض الاجيال الجديدة منها مناعة وراثية ضد المبيد الكيميائي". وحدث الامر نفسه لدى انتاج انواع جديدة من مبيدات الحشرات.

من جهة اخرى بدأ البعوض يتحايل علينا ويخدعنا. فقد اكتشف خبراء منظمة الصحة العالمية انه بدلا من ان يستريح البعوض داخل المباني، بعد ان يلسع ضحاياه، بات يتجه الى خارجها مستقراً على نبات غير مرشوش.

ما سبب هذا التغيير في سلوك البعوض؟

يتكهن احد الباحثين في منظمة الصحة العالمية بأن "البعوض بات قادراً على تجنب اماكن الراحة التي هي من صنع الانسان وتسبب له ازعاجاً".

ويبدي بعض طفيليات الملاريا ايضاً مقاومة متزايدة لعقار "الكلوروكين" الذي يستخدم عادة للوقاية من المرض ولمعالجته كذلك. ويقول بروس - شوات في هذا الشأن ان: "الملاريا تؤدي الى نشوء اربع من طفيليات "البلازموديوم" المترابطة في ما بينها. وتسبب احداها وهي تعرف بـ"فالكيباروم" اعلى نسبة من الوفيات. ولسوء الحظ، يظهر الفالكيباروم مقاومة مطردة للكلوروكين".

واذا لم يكن الشخص الذي لسعته بعوضة معدية يتناول عقاراً مضاداً للملاريا، او اذا لم يعد العقار فعالا، فان الجرثومة ستتغلغل داخل كريات الدم الحمراء مما يرسخ المرض.

اعراض الملاريا - وتظهر الاعراض الحادة للملاريا عادة بعد اللسعة المعدية بما يراوح بين ٩ ايام و١٤ يوماً في شكل قشعريرات ارتعاشية وآلام في العضلات وحمى تصل الى ٤١ درجة مئوية يرافقها عرق غزير. وعلى رغم ان معظم المصابين يشفون في غضون اسابيع فان هؤلاء غالباً ما يتعرضون للاصابة بامراض اخرى معدية ويظلون يشعرون بالاعياء اشهراً عدة. وفي حالات اشد خطورة قد تصاب الضحية بتشنجات وتغرق في غيبوبة. ويذكر الدكتور ارمينيو اونوري اختصاصي الملاريا في منظمة الصحة العالمية "انه يمكن ان يكون للملاريا تأثير مدمر على التقدم الاقتصادي في البلدان النامية. وهناك اليوم في العالم مناطق عدة ضرب فيها هذا المرض القوة العاملة وشل نشاطها كلياً".

Photo: Property of the American Museum of Natural Science

ان سبب انتشار الملاريا في المناطق الاستوائية واضح، ولكن كيف نفسر ظهوره في اوروبا وامريكا الشمالية حيث تم اجتثاث المرض وحيث لا تتاح للبعوض فرصة كبيرة لان يتغذى بدماء بشرية تحوي طفيليات معدية.

احد اسباب انتشار الوباء هو الانتقال الحر، وغير المراقب، للعمال المهاجرين. ففي منطقة اضنه في غرب تركيا، مثلا، يتدفق نحو ٧٠٠ الف شخص بين مايو (ايار) وسبتمبر (ايلول) من كل سنة للعمل في الحقول. وتجد اناث البعوض في دم بعض العمال الزراعيين طفيليات البلازموديوم فتمتص مقادير منها وتنقلها الى ضحايا جديدة. وحين يعود العمال الى بلدانهم او ينتقلون الى اجزاء اخرى من اوروبا، يحملون الطفيليات في اجسادهم وينشرونها حيث يحلون.

بيد ان السبب الرئيسي لظهور الملاريا في اوروبا وامريكا الشمالية هو نمو حركة السفر جواً: فمعظم الاصابات ظهرت لدى مسافرين عادوا من منطقة يرتفع فيها خطر الاصابة بهذا المرض. مثال ذلك ان مديراً لاحدى شركات النفط الهولندية استقل طائرة نفاثة حملته في زيارة قصيرة الى منطقة عمليات شركته التي تحفر آبار نفط في البحر قرب الساحل الاندونيسي. وفي مطار جاكارتا انتقل الى طائرة مروحية (هليكوبتر) توجهت به الى احدى منصات الحفر. وامضى الساعات الاربع والعشرين التالية في البحر على مسافة تبعد عن الشاطىء نحو كيلومتر ونصف كيلومتر، ثم عاد الى هولندا متبعاً الطريق نفسها.

الا ان الامر الذي لم يكن يدري به مدير الشركة هو ان بعوضة محملة بالبلازموديوم قد لسعته. ولم تظهر الاعراض الحادة الشبيهة بأعراض النزلة الوافدة (الانفلونزا) الا بعد ١١ يوماً. ولحسن الحظ اخبر رجل الاعمال طبيبه عن رحلته، وكشف تحليل عينة من دمه اصابته بالملاريا. فاخضع الرجل لعلاج مكثف وشفي كلياً.

دور السفر جواً – كيف نفسر تلك الاصابات التي اكتشفت لدى اوروبيين او امريكيين لم يغادروا بلادهم قط؟

يقول السيد موريس باييه، رئيس معهد الطب وعلم الاوبئة الافريقية في مستشفى كلود برنار في باريس: "في حين انه من الصعب تعقب المصدر، فثمة ادلة على ان بعض الضحايا يلسعهم بعوض ناقل للملاريا في وطنهم". فلفترة وجيزة خلت، مثلا، تذكر ثلاثة حمالين في مطار شارل ديغول قرب باريس انهم تعرضوا للسع البعوض وهم يعملون في مخزن الامتعة على متن طائرة نفاثة جاءت من افريقيا. ويبدو ان البعوض دخل الطائرة في اثناء تحميلها واستطاع تحمل رحلة الطيران الطويلة الى باريس. وقد اصيب العمال من جراء ذلك بمرض استغرق علاجه وقتاً طويلا تحمل خلاله هؤلاء الالم الشديد.

ومع ان عدد الاصابات في اوروبا وامريكا الشمالية لا يداني مجموع الحالات المسجلة في العالم النامي، فان سلطات الصحة العامة قلقة.

ويقول بايبه: "مع النمو المطرد للسفر بالطائرات النفاثة، علينا ان نجعل كلا من الجمهور والاطباء يعون ان الوباء يمكن ان يحدث هنا". وفي فرنسا انشأت سلطات الصحة العامة "خطاً هاتفياً ساخناً" لتقديم المعلومات حول الملاريا. مثال ذلك ان امرأة شابة اتصلت هاتفياً في الآونة الاخيرة وقالت انها حامل منذ شهرين وستسافر الى فولتا العليا مع طفلها ابن السنتين. وسألت: "هل العقارات الواقية، مثل الكلوروكين، ستؤذي اياً منا؟".

فاجابها الطبيب المناوب: "ليس ثمة ما يمنع النساء الحوامل او الاطفال الصغار من تناول الكلوروكين. واني انصحك، في الواقع بان تبدأي وولدك تناول هذا العقار فور وصولكما الى البلد المقصود وان تتابعا تناول هذا الدواء لمدة شهرين على الاقل بعد عودتكما".

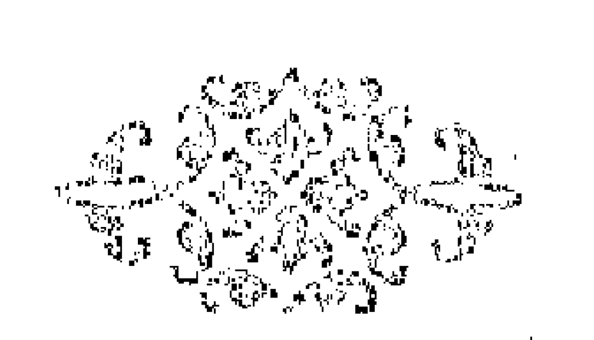
وماذا في شأن البلدان النامية حيث ينتشر المرض من غير ضوابط؟

يقول الدكتور ج.هـ. بول، من منظمة الصحة العالمية: "اننا ندرك ان ليس ثمة حل سهل. فالاجراء الذي ينجح في اندونيسيا قد لا يكون له ادنى تأثير في نيجيريا. وعلى كل بلد ان يعالج المشكلة من وجهة نظر مختلفة تأخذ في الاعتبار مناخه وحجمه والمقاومة التي يكون البعوض او الطفيليات قد حققتها". وفي ايران والهند يجري العلماء المحليون وخبراء منظمة الصحة العالمية تجارب على سمك "الغامبوزيا" الذي يقتات بيرقان البعوض لخفض اعداد الاخير. وحققت المكسيك بعض السيطرة على البعوض عن طريق الرش الدوري لحقول الرز بغية اخراج يرقان البعوض منه والقضاء بالتالي على هذه الحشرة.

اما بالنسبة الى المقاومة فان لعبة القفز والتجاوز بين الانسان والطبيعة مستمرة. فلقد طور العلماء عقاقير عدة جديدة اظهرت فعاليتها ضد كل اشكال مقاومة الكلوروكين لدى الطفيليات. احد هذه العقاقير "السلفادوكسين" الذي يستخدم مع عقاقير اخرى في جنوب شرق آسيا وامريكا الجنوبية وافريقيا. وفي المنطقة نفسها تختبر منظمة الصحة العالمية عقاراً آخر يدعى مفلوكين.

ويلخص بروس - شوات الوضع: "ما زال علينا ان نقطع شوطاً بعيداً قبل التغلب على الوباء. وحتى ذلك الوقت، ستبقى الملاريا اولى مشكلات الصحة العالمية".

■ **ستنالي ل. انفلبارت**



للرجل العادي ٣٠ كيلوغراماً من العضلات ونحو ١،٣٦ كيلوغرام من الدماغ... وهذا يفسر اموراً كثيرة!

ت.س.

اسفر انفجار بركان في ولاية واشنطن الامريكية اخيراً عن خراب كبير امتد مئات الكيلومترات وأصاب ولايات عدة بأذى بالغ



"فانكورفر، فانكوفر لقد وجدته!"

هذا التحذير الهائج اطلقه على الراديو في تمام الثامنة والدقيقة الحادية والثلاثين من صباح ١٨ مايو (أيار) ١٩٧٩ خبير البراكين ديفيد جونستون (٣٠ سنة) الذي تسلق موقعاً على جبل القديسة هيلانة في ولاية واشنطن الامريكية يرتفع ثمانية كيلومترات، وهو ضمن سلسلة كاسكيد المغطاة بالثلج والتي تقع على مسافة ٦٥ كيلومتراً شمال شرق بورتلاند (ولاية اوريغون). وكان جونستون يتفحص بمنظاره نتوءاً خطراً تحت فوهة البركان الذي بقي يقعقع طوال ثمانية أسابيع،

Roger Werth, Longview Daily News Woodfin Camp

ويرسل النتيجة الى مركز الدراسات الجيولوجية في فانكوفر، واشنطن.

وبعد مرور دقائق على إنذاره، انطلق انفجار هائل من الغازات المحتقنة يعادل قوة قنبلة هيدروجينية من ١٠ الى ٥٠ ميغاطنّ (قوة انفجارية تعادل قوة انفجار مليون طن ت - ن - ت)، مفتتاً قمة جبل القديسة هيلانة كلها. وفي برهة تحوّلت القمة المتناسقة المخروطية الشكل، البالغ ارتفاعها ٢٩٥٠ متراً، الى سطح مشوّه يقلّ ٤٠٠ متر عن ذلك. وقذفت سُحُب الرّماد الحارّ بقوة نحو السماء، وراحت كتل الوحل العملاقة المكوّنة من الثلج الممزوج بالغبار تنزلق عبر المنحدرات، تدفعها أمواج الغاز المتلظي الخارج من فوهة البركان. واستقرت هذه الكتل في الوادي، محطمة ملايين الأشجار في طريقها.

وفي لحظة الانفجار كان ديفيد كروكيت (٢٨ سنة)، وهو مصوّر لشركة تلفزيون "كومو" في سياتل، واقفاً على طريق لنقل الأخشاب عند سفح الجبل. وسمع صوتاً هائلا، ورفع نظره ليرى جداراً من الوحل مسرعاً نحوه. وبفعل السيل، انشقّ الجدار نصفين عَبَرَ كل منهما عن أحد جانبيه. وبذل كروكيت محاولات يائسة للهرب من ذلك المكان، وظلّ يسير على الطريق متكلماً عبر آلة التصوير الصوتية التي يحملها:

"إنني متجه نحو الضوء الوحيد الذي يمكنني أن أراه. الرماد يحرق عينيّ! يا الهي، هذا هو الجحيم! من الشاقّ جداً أن يتنفس المرء هنا والظلام يعمّ المكان. آه لو كان لي أن أتنشق الهواء. الرماد ينهال عليّ بقوة. ترى هل يلفني الظلام أم تراني مائتاً؟ إلهي، أريد أن أحيا!"

وعاش كروكيت فعلا بفضل طائرة هليكوبتر للانقاذ حملته من الجبل بعد عشر ساعات. ولكن انقطعت اخبار جونستون بعد ذلك.

وقد قُتل في ذلك الانفجار ٢٥ شخصاً على الأقلّ. وهناك أربعون آخرون لا يزالون مفقودين ويُخْشى ان يكونوا لقوا حتفهم. وبين هؤلاء هاري ترومان، وهو عجوزٌ في الرابعة والثمانين كان يعيش بالقرب من بحيرة الروح على بعد ثمانية كيلومترات شمال القمة. وهو رفض الانتقال الى مكان آخر لأنه، كما قال، "لا أحد يعرف عن هذا الجبل أكثر مما يعرف هاري. والجبل لا يجرؤ على الانفجار في وجهي". وشوهد هاري للمرة الأخيرة مساء السبت الذي سبق الانفجار وهو يسقي حديقة منزله. وبعد اسبوع استحال بيته وجواره كتلة وحل وماء ينبعث منها البخار.

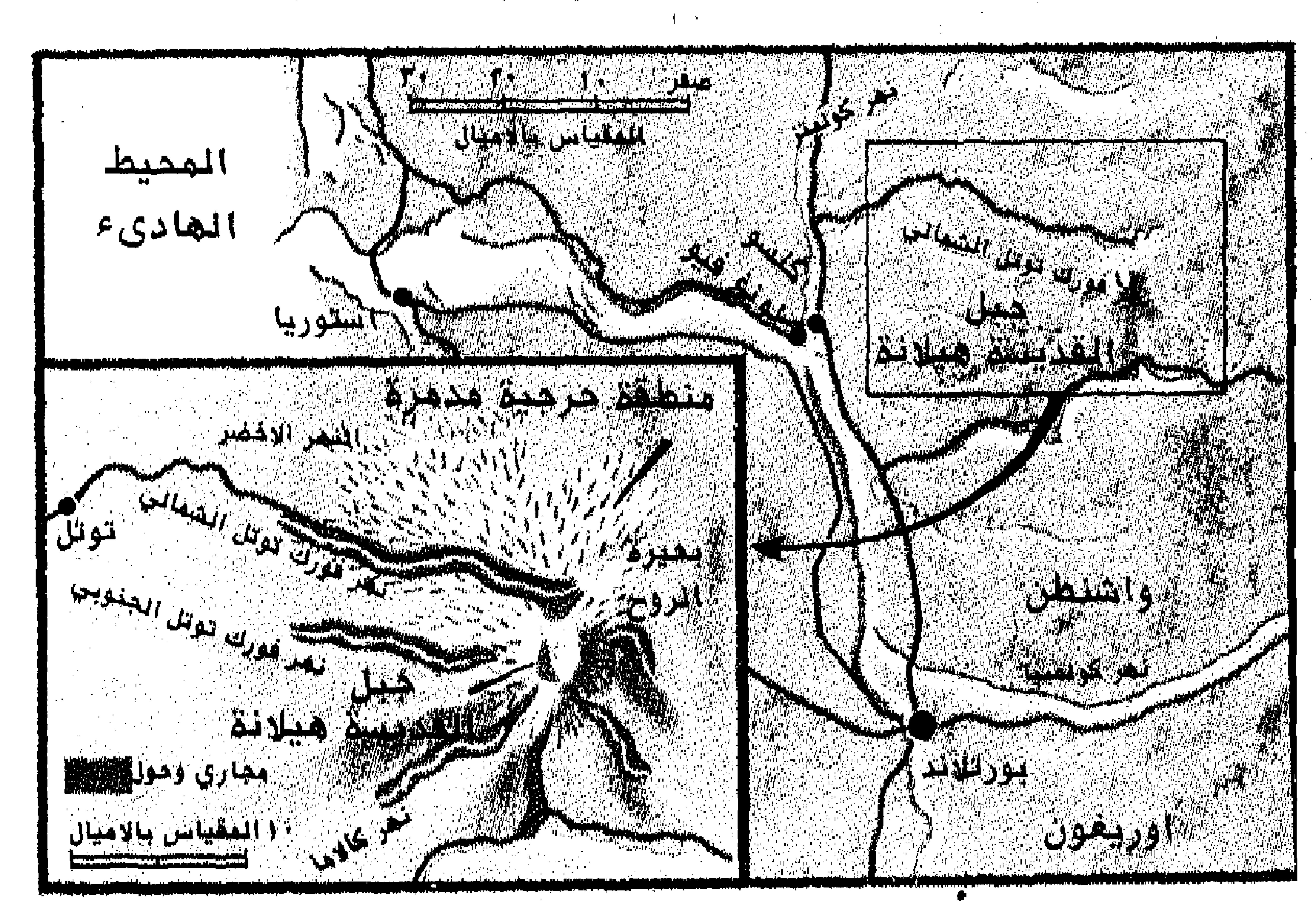
ظلام في الظهيرة - بدأ انفجار جبل القديسة هيلانة باعتدال في ٢٧ مارس (آذار) ١٩٧٩. ويقدّر علماء الأرض أن حجم الحطام الذي خرج من الجبل بلغ ٦٫٢ كيلومترات مكعّبة. وكان الانفجار مساوياً لانفجار بركان فيزوف الايطالي الذي حدث عام ٧٩ للميلاد وأغرق بومبيي وهيركولانيوم في خضمّ من الرماد والوحل. وأتى انفجار جبل القديسة هيلانة على ٣٨٨ كيلومتراً مربعاً من الغابات بقيمة ٦٠٠ مليون دولار، وعلى مساحات واسعة

مزروعة قمحا وحبوباً اخرى تمتد نحـو ٧٠٠ كيلومتر شرقاً، كما طمر ٩٥٠٠ كيلومتر من الطرُق بالرّماد٠

وفي محاذاة الجبل، أتى الانفجار على ١٩ كيلومتراً من فرع نهر توتل الشمالي الذي كان محافظاً على نقائه الأصلي، محوّلا إياه الى قفر كسطح القمر، كما صبّ ٤٢ مليون متر مكعّب من الحطام البركاني في نهر كولومبيا في بلدة لونغفيو٠ وقدّرت كلفة تنظيف النهر بـ٤٤ مليون دولار على الأقلّ٠ وأفسد الوحل البركاني ١٢٣ منزلا على امتداد نهر توتل، بما يتخللها من جسور وطرُق ومظاهر اخرى من العمران البشري٠

وحملت الريح حطام الجبل المتفجر نحو الشمال الشرقي، فيما كانت طبقات كثيفة من الرماد الذي ظهر كالثلج المتسخ تسقط على الجزء الشرقي من واشنطن٠ وبدا نصف النهار في بلدة ياكيما ذات الخمسين ألف نسمة، والتي تبعد ١٣٧ كيلومتراً الى الشمال الشرقي من البركان، كأنه نصف الليل٠ وتحوّلت قرى لسان ايداهو وغرب مونتانا التي تبعد ٦٠٠ – ٧٠٠ كيلومتر شرقاً وتقوم فيها المناجم ومزارع الماشية مناطق أشباح لا يستطيع أحد ان يتجوّل في شوارعها المختنقة بالغبار من غير أقنعة طبية وما شابهها٠ وأُغلقت المدارس والمصانع ومعظم المحلات والمكاتب٠

أيضاً وأيضاً – انقضى أسوأ ما في الأمر خلال أربعة أيام، أو هكذا خُيل الى الناس، لكنّ جبل القديسة هيلانة لم ينتهِ أمره٠ وحدث انفجار آخر عنيف في عطلة نهاية الاسبوع في ٢٤ مايو (أيار)، وتدافع البخار والغبار



في انفجارات متقطعة طوال الاسبوع اللاحق. وبعد خمود البركان من جديد، صرّح العلماء بأنهم - نظراً الى تاريخ الجبل المتفجر - لا يستبعدون أن يستمر في تصريف البخار والغبار والزجاج البركاني طوال السنين العشر أو الخمس عشرة التالية.

وأدى الانفجار الثاني الى خسائر في الحبوب والغابات والممتلكات بقيمة مليار ونصف مليار دولار. وأُرغم مسؤولو مطار بورتلاند الدولي على تعليق العمل فيه، علماً أن أهالي بورتلاند يحبون وصفها بأنها "المدينة الأشدّ إغراء بالعيش". وفي مقاطعة كاوليتز الزراعية في ولاية واشنطن، وجد الغبار طريقه الى المحوّلات الكهربائية، مما أسفر عن انقطاع التيار. وأُرغم تجدد انهمار الرماد والخوف من انجراف الكتل الوحلية سكانَ القرى المجاورة للجبل على النزوح الى مخيّمات وقتية. وكانت تلك المرة الثانية التي يُخْلون منازلهم.

وفي الأيام التي تلت الانفجار الثاني، انطلقت القرقعة من جديد، مشيرة الى أنّ الصخور التي ذوّبتها الحرارة تتحرك مرة اخرى في باطن الجبل. وأمل علماء الأرض في أن يكون الانفجاران العنيفان أدّيا الى تسريب مقدار من الغاز يمنع حصول انفجار عنيف آخر. إلا ان آمالهم ذهبت أدراج الرياح. فيوم الخميس ١٢ يونيو (حزيران)، انفجر البركان الملتهب مرة اخرى بقوة تساوي قوة الانفجار الثاني.

كان جبل القديسة هيلانة انفجر للمرة الأخيرة عام ١٨٥٧، يوم كانت المنطقة قفراً. وعلى رغم أن انفجارات ١٩٧٩ تصنّف في مرتبة معتدلة، إلا أن الذين زلّت أقدامهم من القمة المحمومة أو الذين كانوا في عداد الأشخاص الـ ١٩٧ الذين انقذتهم طائرات الهليكوبتر التابعة لسلاح الجو أو البحر رووا أخباراً بزّت روايات الناجين من الحروب.

الطيور الخرساء - بين العديد من علماء الأرض والمتنزهين على الأقدام والمخيمين قريباً من الجبل يوم ١٨ مايو (أيار)، روى الذين أفاقوا مع بزوغ الشمس أن الصباح كان هادئاً على نحو غير معتاد بحيث لم يُسْمَع صوت عصفور. والأكثر غرابة أن عدداً كبيراً من الناجين لم يسمع دويّ الانفجار لدى حدوثه، ربما لأن سرعة التموّجات البركانية تفوق سرعة الصوت. وعندما بلغهم الصوت، كان الارتجاج هزّهم الى حدّ لم يسمعوا معه شيئاً.

وكان بروس نلسون وسو راف من بلدة كلسو القريبة نَصَبا خِيَماً مع أربعة أصدقاء أحداث قرب النهر الأخْضَر. ومشوا يوم السبت في نزهة عبر "غابة مسحورة من الطحلب والشربين" على حدّ تعبير سو راف، ثم نصبوا الخيم على بعد ٢٢ كيلومتراً من قمة الجبل. وما أن بدأ بروس وسو وتيري كرال أعمال التنظيف صباح الأحد حتى أحسوا بريح لافحة. ويقول بروس: "كنا باشرنا احضار الفطور حين قال أحد الرفقاء: يا الهي - لقد انفجر الجبل!" وتضيف سو: "وشاهدنا تلك الغمامة الصفراء والسوداء الكثيفة تزحف نحونا".

وأسرع تيري الى إحدى الخيم لاحضار كارين فارنر، ولفّ بروس ذراعيه حول سو بينما كانت الأشجار حولهم تتساقط والرماد الحارّ ينهمر. ويقول بروس: "بعدما دُفنا تحت الغبار، أخذنا أنا وسو نشقّ طريقنا للخروج منه، مما أحرق أيدينا. وامتلأ فمنا تراباً. وحين قلت لسو إننا سنموت، قالت ان ذلك هراء!" وفيما هما يزحفان تحت الشجر والرماد، أخذا يتقيآن بفعل الغازات في الهواء، واضطرّ كل منهما الى سدّ فمه بقميصه الداخلي. وأُمطرا بوابل من الحجار ضرب رأسيهما بشدة.

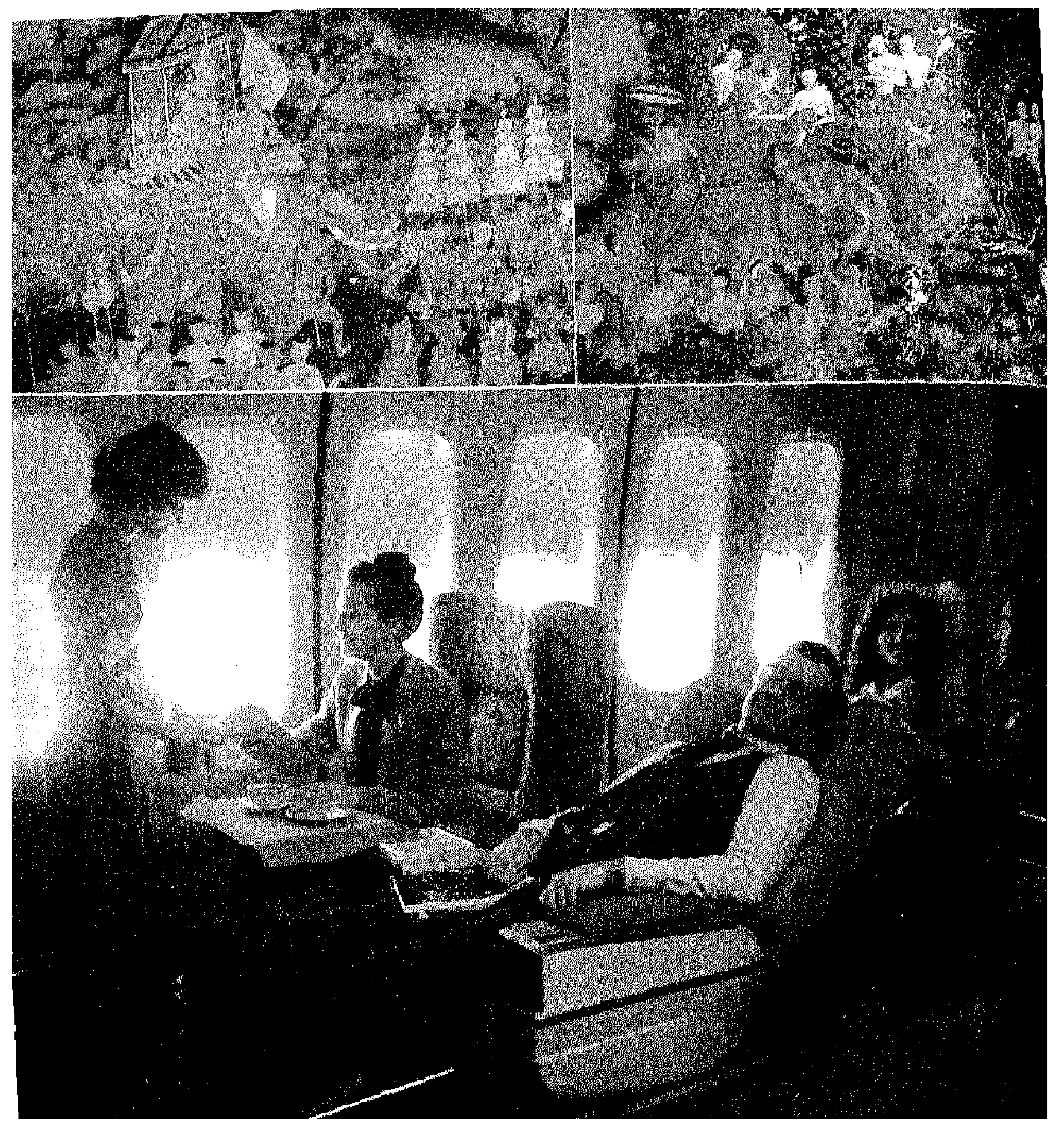
وحين أخذ الظلام ينحسر أخيراً، انطلق بروس وسو يبحثان على رفيقيهما. ولم يجدا سوى الرماد والشجر المقطوع حيث كانت تقوم خيمة كارين فارنر. وبعد خمسة أيام من الحادث، ذهب بروس الى الموقع حيث وجد كارين وتيري جثتين هامدتين. أما الزميلان الآخران، دان بالش وبريان توماس، فكانا حيّيْن، ولكن على الرمق الأخير. وتدلى الجلد المحترق من يدي دان الذي وقف مذهولا. وكان بريان لا يقل ذهولا عنه وهو مضطجع تحت أشجار مقطوعة وقد انكسر وركه. ورفعه دان، ثم حمله الثلاثة الى منجم قريب حيث بنوا كوخاً وضعوا فوق مدخله ألواح الأرز لحماية رفيقهم من أي اجتياح آخر للغبار.

وحاول بروس وسو ودان اكتشاف الطريق التي تفضي بهم خارج المنطقة المخرّبة. وكان دان أضاع حذاءيه وجوربيه بعد الانفجار، فمشى حافي القدمين، قافزاً فوق الأشجار المقطوعة معظم الوقت ليحمي قدميه من الغبار الحارق. وإذ لم يعد يمكنه المشي، طلب من رفيقيه الاستمرار وحدهما.

صحراء الرماد – انطلق بروس وسو في رحلة امتدت ٣٢ كيلومتراً من سفح الجبل واستغرقت ١٤ ساعة عبر ما سماه بروس "صحراء بيضاء حارة" من الرماد. وصادفا رجُلا في الستين انضما اليه، وتغلب الثلاثة على مشقة السفر بانشاد بعض الاغنيات. وعند العصر سمعوا تحليق طائرات هليكوبتر فوق رؤوسهم. وتبين أنّ دان أُنقذ وأرسل قاطعي الأشجار بحثاً عن رفيقيه. وبعد إنقاذ الثلاثة عاد قاطعو الأشجار ورفعوا توماس من مكانه.

كان رولد ريتان (٢٠ سنة) وصديقته فينوس ديرغن (٢٠ سنة) من تاكوما، واشنطن، يخيمان عند موضع جيد لصيد السمك على ضفة نهر توتل، على بعد ٣٧ كيلومتراً من بحيرة الروح. وأيقظهما صوت مدمدم من النهر الذي غطته الأشجار المقطوعة. وركض الاثنان نحو سيارة رولد. غير أن المياه الفائضة من النهر انسكبت على رأسيهما ومنعتهما من الهرب في السيارة. ثم زحف سيْل من الوحل عبر الغابة في اتجاه السيارة. فتسلقا سطحها اتقاء الوحل، لكنّ ذلك كان وقتياً. وسرعان ما قلبت كتلة الوحل السيارة الى الضفة ثم الى النهر.

وقفز رولد وفينوس عن سطح السيارة الى النهر الذي استحال في تلك الأثناء كتلة من الأشجار المقطوعة والوحول في حال غليان، وما يسميه رولد "حماماً من المياه الحارة": "ظننت أنه قُضي علينا.



المسافرون على طائراتنا "الجامبو"
تمتعوا دائماً بالضيافة الملكيّة

ن عدة ظلت فيلة "الجامبو" واسطة السفر والانتقال
، البلد النائي: تايلاند،
ي متن هذه الوسائط ضمنت الشخصيات المهمة
لة الملكية على رغم وعورة الطرق.
زال ذلك الجيل من وسائط السفر صديقاً ذكياً ومطية
لخدمة الانسان.

لكننا اليوم، في الرحلات الطويلة، نؤمن للمسافرين من انحاء العالم جيلا اكثر تقدماً وعصرية من وسائط "الجامبو" طائرة "الجامبو ٧٤٧"

وفي رأينا المتواضع، لن تلمسوا معاملة ملكية اكثر وضوحاً كما على طائراتنا.

ستشعرون بها في حرارة الترحيب والخدمة،
وستدركونها في ترف وسائل الراحة والتجهيزات.
وستتذوقونها ايضاً في مأكولاتنا.

Thai

طر معنا بنعومة كالحرير على متن جامبو تايلاندية، انت هنا لتنعم بضيافة ملكية.

وكانت فينوس تعلق بين الأشجار المقطوعة وتختفي مرة بعد أخرى. ولم أنفك أتسلق تلك الأخشاب للوصول اليها. ولحسن حظنا، فُتحت مسافة بين الأشجار مكنتني من الوصول اليها". واندفع الاثنان قرابة كيلومتر ونصف كيلومتر في اتجاه مجرى النهر قبل بلوغهما نقطة الأمان.

تباشير أمل — على رغم الخراب كله، فان آثار الانفجار في المدى الطويل أقل عنفاً مما كان يُخشى في البداية. فقد ظن بعض العلماء أن الرماد ربما أدى الى مطر حمضي. لكن الاختبارات أظهرت أن الغبار ليس أكثر حموضة من عصير البرتقال. لذلك لن تكون آثار الانفجار على صحة الناس والبيئة ذات شأن يُذكر. أما الآثار الاقتصادية فستكون أكبر. ذلك لأن الاشجار المقطوعة تقدّر بملايين الدولارات، وإن يكن الخبراء المختصون يتوقعون انقاذ ٨٠ في المئة من تلك الأشجار ونشرها لتُستعمل حطباً. وسيكتشف هواة صيد السمك والحيوانات، الذين كانوا يجدون على جوانب الجبل مكاناً ممتازاً لرياضتهم، أنه لا أثر للحياة تقريباً على امتداد دائرة ذات شعاع من ٢٤ كيلومتراً بدءاً من فوهة البركان. إلا أن بشائر الحياة البرية عادت أخيراً الى الظهور.

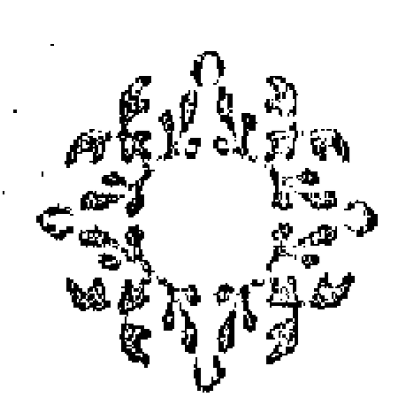
كما قُضي على الحياة النباتية ضمن خمسة كيلومترات من فوهة البركان. وفي رقعة عريضة مثلثة تمتد ٣٢٠ كيلومتراً شرقاً، أتلف الغبار نحو ١٠ في المئة من المحاصيل. وفي ولاية واشنطن وحدها، وجد ٢٢٠ ألف

شخص أنفسهم عاطلين عن العمل الى حين. وربما بقي عشرُ هؤلاء بلا عمل طوال سنة.

ومن المحتمل ان أكثر نتائج الانفجار انتشاراً، خارج المنطقة القريبة من جبل القديسة هيلانة، هو المسؤوليات الجسام المترتبة على أعمال التنظيف. فالوحول التي انصبّت في نهري كاوليتز وكولومبيا يجب رفعها من القاع. كما ينبغي بناء الطرق والجسور من جديد وتصريف المجاري المسدودة. وكان الغبار البركاني انهمر بمعدّل ١٨ ألف كيلوغرام في الهكتار وتغلغل في كل شيء: محرّكات الطائرات، مصانع تكرير المياه، علب تغيير السرعة في الجرافات الزراعية، آلات الغسل.

وسوف يقضي سكان أجزاء كبيرة من شمال غرب الولايات المتحدة أشهُراً عدة مع الرّماد الرملي الناعم، وهو شاهد محسوس على قوى الطبيعة الجبارة التي تتحكم بكوكبنا. ولئن يكن بركان جبل القديسة هيلانة، بالنسبة الى خبراء البراكين، طفلا، إلا أنه، في نظر اولئك الذين يعيشون في محيطه، يبقى كارثة كبيرة.

■ ملخص عن مجلة "تايم"



السلطان الحقيقي

اذا اراد المرء ان يفرض سلطانه على الآخرين، فعليه ان يشعر بأنه مسؤول امام الله عزّوجل. واذا لم يكن لديه هذا الشعور بالمسؤولية، بل مارس سلطانه من اجل غايات خصوصية، والنتيجة - كما نرى حولنا - هبوط مريع في نسبة الاحترام الذي يوليه الناس اي شخص في اي نطاق. اما اذا ادرك المرء انه مسؤول اخيراً امام قوة اعلى، فهذا سيمنحه نوعاً من الكبر يختلف كثيراً عن الانتفاخ.

سيسيل كينغ، صحيفة "التايمس"، لندن

الرحلة الطويلة

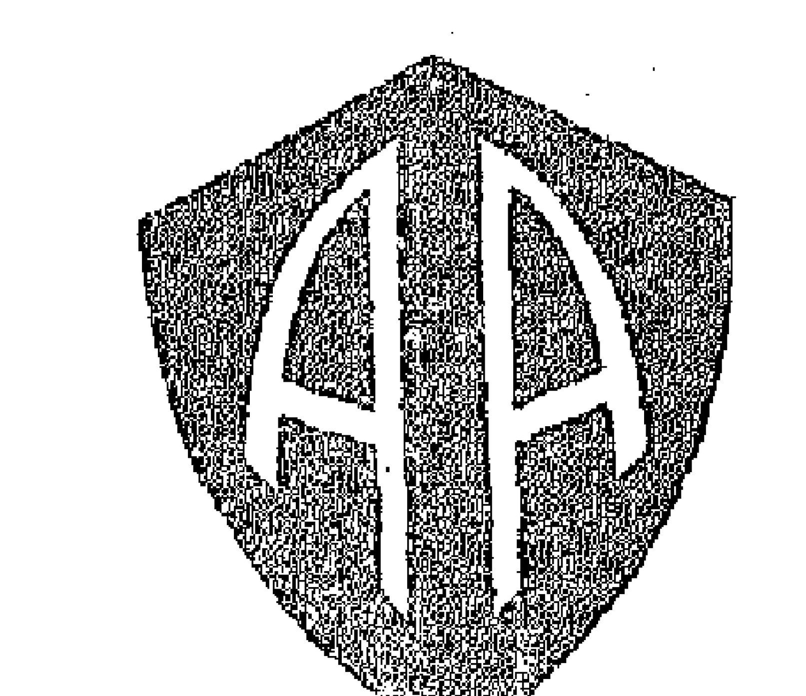
كنتُ ذات صباح في مصعد البناية التي اسكنها حين نظر الراكب الآخر في المصعد، وهو رجل تسعيني، الى حقيبتي وسأل: "الى أين أنتِ ذاهبة؟".

فقلت: "سأذهب في رحلة قصيرة". عندئذ قال العجوز: "أنا ذاهب في رحلة طويلة قريباً".

وتأثرتُ لما قال وأضفتُ: "انها رحلة كُتبت على كل منا، ولكل يومه. واذا حالفني الحظ لأبلغ سنك، فسأكون سعيدة عندما تحين رحلتي".

إلاّ أنّ نظرته تحولت من الاصغاء الى نفاد الصبر. ولم اكد انهي كلامي حتى قال: "أيتها الآنسة، اني ذاهب الى مكان يبعد مئة كيلومتر من هنا".

ج. س.



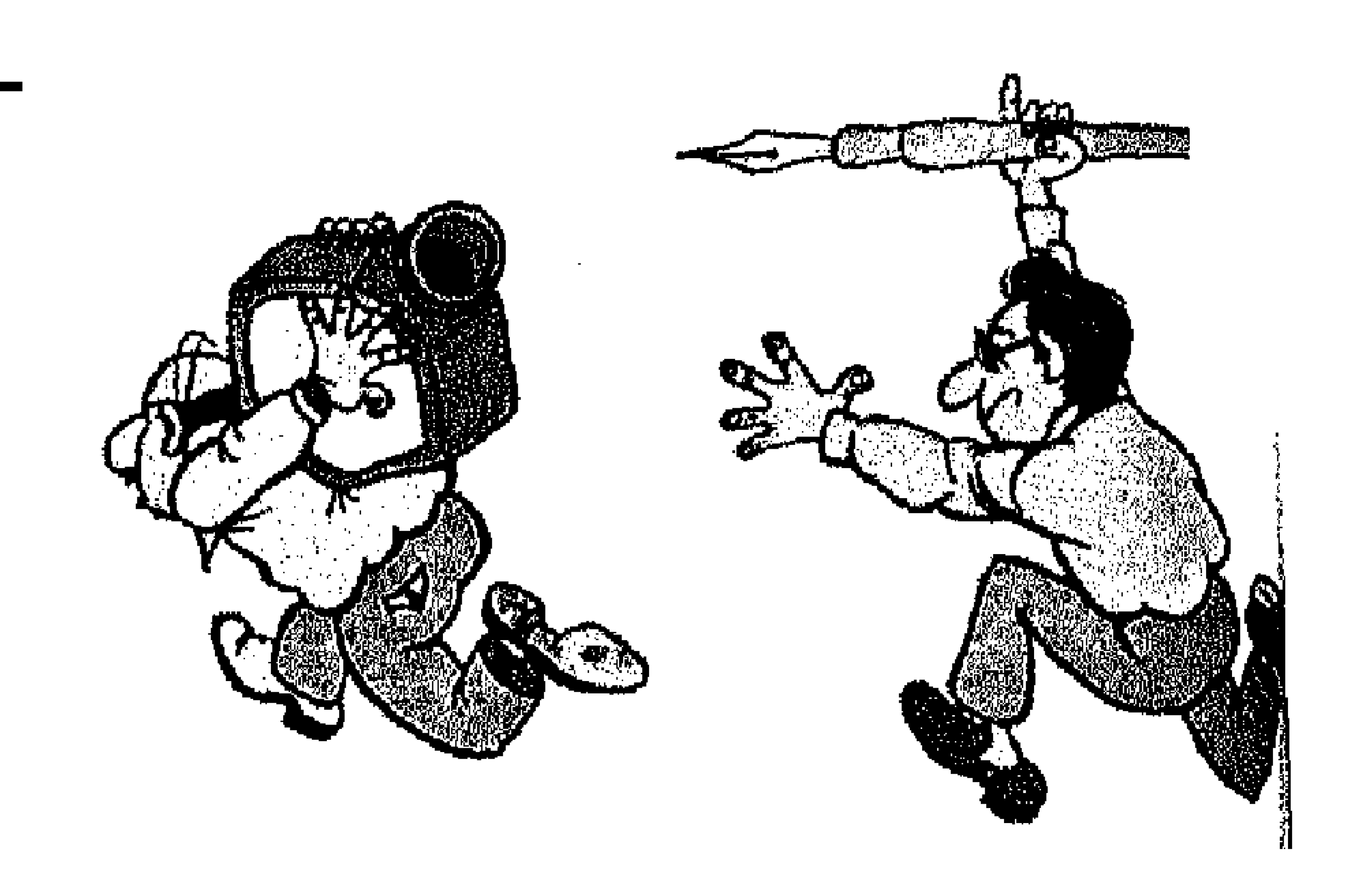
فندق رأس الخيمة

يتمتع بتقاليد مجموعة أبيلا في الخدمة والضيافة



تمثل فنادق مجموعة ابيلا ومرافقها السياحية قطاعاً متوسعاً هو في اطراد.

وتنتشر مجموعة ابيلا في أنحاء الشرق الاوسط، وهي آخذة في الامتداد الى القارة الاوروبية. وفي رأس الخيمة في دولة الامارات العربية المتحدة، تملك المجموعة فندقاً يضم ١٠٨ غرف وعشرين "بانغالو" مشجرة اضافة الى العديد من دور الضيافة في بلدان الشرق الاوسط.



دائرة المعارف

درّج العرب على اعتماد التثنية للدلالة على امرّين تربطهما صلة ما، وكلمات الدائرة في هذا العدد مثنّيات، وقد وضع امام كل منها ثلاثة اختيارات، المطلوب من القارىء ان يختار الجواب الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١- **الأمرّان:** الصبْر والحنظل - الحب والكراهية - الفقر والهرَم.

٢- **الأعذبان:** الريق والخمْر - الماء والسكّر - النبْع والمطَر.

٣- **الصامغان:** اللوز والصنوبر - جانبا الفم - العينْن والأذُن.

٤- **المِصْران:** القاهرة والاسكندرية - الكوفة والبصرة - المشرق والمغرب.

٥- **الحجَران:** الفضة والذهب - الماس والياقوت - الذهب والنحاس.

٦- **الديباجتان:** المظْهر والحديث - الخدّان - اليدان.

٧- **الأبيضان:** السنّ والظفر - السيف والكذب - اللبَن والماء.

٨- **العصْران:** الأزل والأبد - الموت والحياة - الغداة والعشيّ.

٩- **الأصغران:** القلب واللسان - الجبان واللئيم - كوكبان.

١٠- **الطّريدان:** الأرق والنعاس - الليل والنهار - قابيل وهابيل.

١١- **الرّافدان:** دجلة والفرات - النهر والبحر - الشعر والنثْر.

١٢- **المُجنبتان:** الميمنة والميسرة - السيف والخنجر - الخمر والميْسر.

١٣- **السامعان:** الصديق والحبيب - الصمت والظلام - الأذُنان.

١٤- **الأخضران:** البحر والسماء - العُشب والشجر - الربيع والشباب.

١٥- **الصفْران:** المرَض والوهم - السمك والطير - شهران من السنة.

١٦- **الحكمان:** الحظّ والزمن - الأشعري وابن العاص - سقراط وأفلاطون.

١٧- **السعْدان:** الحبّ والمُلك - المال والبنون - الزُهرة والمشتري.

١٨- **النحْسان:** البوم والماعز - زُحَل والمرّيخ - العقْم والبرَص.

١٩- **الخافقان:** القلب والعلَم - المشرق والمغرب - عرقان في الرأس.

٢٠- **الحرَمان:** مكة والمدينة - الأزهر وبيت المقدس - الجنة ومكان العبادة.

٢١- **الدّاران:** الدنيا والآخرة - البيت والمدرسة - بيت الاب وبيت الزوج.

٢٢- **الهرّاران:** المطر والشجر - الكلب والذئب - الكانونان.

٢٣- **الأصفران:** الزعفران والذهب - الشمس والقمر - الخريف والعاصفة.

٢٤- **الكريمان:** الابن والحفيد - الحجّ والجهاد - الضيف والأسير.

٢٥- **الكريمتان:** العينان - الناقة والنعجة - الزوجة والأم.

٢٦- **الأخبثان:** السلّ والطاعون - العقرب والحية - السهر والضجر.

٢٧- **الأعميان:** السيْل والحريق - الموت والجهْل - الخلد والوطواط.

٢٨- **الوذرتان:** الشفتان - الزوجة والجارية - الكرَم وحسن الحديث.

٢٩- **الثقلان:** الفيل والجمَل - الحرب والهمّ - الانس والجنّ.

٣٠- **السيّدان:** الحسَن والحسين - القاضي وكبير القوم - امرؤ القيس والمتنبّي.



الأجوبة الصحيحة

١٠ **الامرّان**: الفقر والهرم، لقي منه الامرّين: اي الشر والامر العظيم.
٢٠ **الأعذبان**: الريق والخمر، ايضاً: الطعام والنكاح.
٣٠ **الصامغان**: جانبا الفم، وهما ملتقى الشفتين ومجتمعا الريق.
٤٠ **المصران**: الكوفة والبصرة، المصر: مدينة او حدّ بين ارضين.
٥٠ **الحجران**: الفضة والذهب.
يقال: رُمي بحجَر الارض، اي بداهية.
٦٠ **الديباجتان**: الخدّان، يقال: فلان يصون ديباجته، اي وجهه.
٧٠ **الابيضان**: اللبن والماء، الشحم واللبن، الموت الابيض: الموت فجأة.
٨٠ **العصران**: الغداة والعشي، رجل كريم العصر اي كريم النسب.
٩٠ **الاصغران**: القلب واللسان، ومنهما المثل: المرء بأصغريه.
١٠٠ **الطريدان**: الليل والنهار، الطريد من الايام: الطويل.
١١٠ **الرافدان**: دجلة والفرات، وهما نهران يلتقيان في القرنة في العراق فيصيران نهراً واحداً يصب في عبادان في الخليج العربي.
١٢٠ **المجنبتان**: من العسكر: الميمنة والميسرة، المجنّبة: المقدم.
١٣٠ **السامعان**: الاذنان.
١٤٠ **الاخضران**: العشب والشجر، يقال: رجل أخضر اما مدحاً واما ذماً، فاما تشبيهاً بالربيع واما بالحرباء.

١٥٠ **الصفران**: شهران من السنة سمي احدهما في الاسلام "المحرّم" وبقي الآخر على اسمه.
١٦٠ **الحكمان**: ابو موسى الاشعري وعمرو بن العاص، اهل الحكمة: الفلاسفة.
١٧٠ **السعدان**: الزّهرة والمشتري.
١٨٠ **النحسان**: زحل والمريخ.
١٩٠ **الخافقان**: المشرق والمغرب، قيل لان النهار والليل يخفقان فيهما.
٢٠٠ **الحرمان**: مكة والمدينة، الحرم الاقصى: بيت المقدس، والاشهر الحرم اربعة وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب.
٢١٠ **الداران**: الدنيا والآخرة، دار الفناء ودار البقاء.
٢٢٠ **الهراران**: كانون الاول وكانون الثاني، الهرّ: الاسد والكثير من الماء واللبن.
٢٣٠ **الأصفران**: الزعفران والذهب، الصفر: يكنى بها عن الدنانير كما يكنى بالبيض عن الدراهم.
٢٤٠ **الكريمان**: الحجّ والجهاد، ومنه الحديث: خير الناس مؤمن بين كريمين.
٢٥٠ **الكريمتان**: العينان، كريمة الرجل: انفه وكل جارحة شريفة كالاذن واليد.
٢٦٠ **الاخبثان**: السهر والضجر، ايضاً: البول والبراز.
٢٧٠ **الاعميان**: السيل والحريق.
٢٨٠ **الوذرتان**: الشفتان، الوذرة: المرأة الغليظة الشفة.
٢٩٠ **الثقلان**: الانس والجن، وقيل: اني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعائلتي.
٣٠٠ **السيدان**: الحسن والحسين ابنا علي.

المستوى
٢٥ ـ ٣٠: ممتاز.
١٩ ـ ٢٤: جيد.
١٣ ـ ١٨: مقبول.

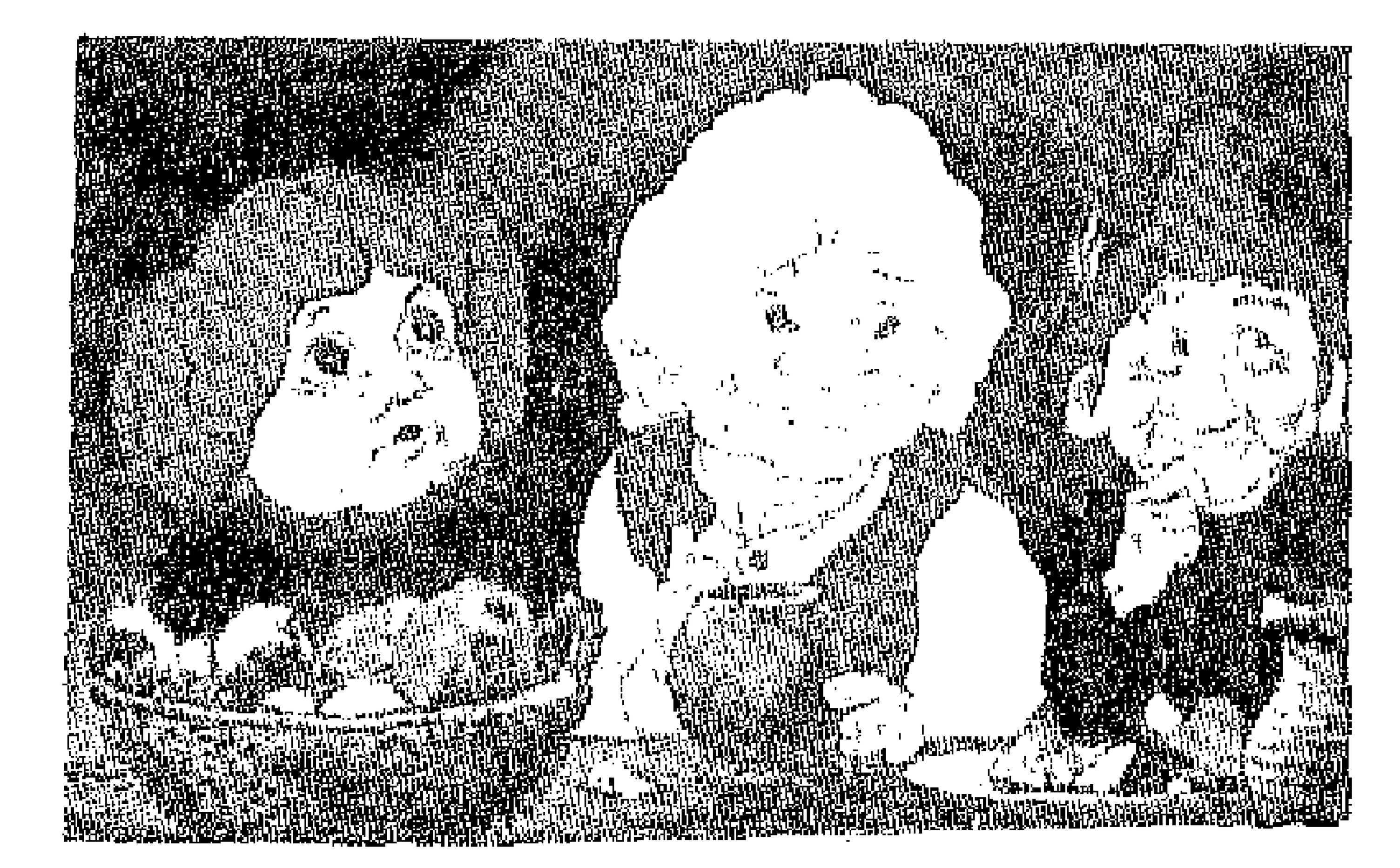
طريقة جديدة مثيرة في الرسوم المتحركة
تحيي قصصاً خيالية طالما حلمنا بمشاهدة احداثها

سيد الخواتم

قورن كتاب "سيد الخواتم"، للمؤلف الراحل جون رونالد رينيل تولكين (استاذ في جامعة اوكسفورد)، كعمل أدبي، باعظم الآثار الكلاسيكية في بريطانيا مثل "الملكة الجنية" لسبنسر و"الفردوس المفقود" لميلتون. وتثير ثلاثية (★) تولكين الضخمة رهبة واعجاباً من حيث انها ابداع مخيلة خالصة. فهي تشمل اختراع ابجديتين ولغتين جديدتين تماماً، وخلق جمهرة من المخلوقات الرائعة تقطن بلاداً غريبة شاسعة تدعى "الارض الوسطى".

والآن أنتج "سيد الخواتم" فيلماً سينمائياً، ضمن اسلوب جديد من الرسوم المتحركة ذي حركة واقعية مذهلة. وقد استغرق انتاجه سنتين ونصف سنة وكلف ستة ملايين دولار.

تجري حوادث القصة في "الارض الوسطى"، وهي بلاد خيالية وجدت في قديم الزمان وسكنتها مخلوقات


بعض كائنات "الهوبيت" التي تبتهج بالاكل والحفلات. عيونها المستديرة تعكس براءتها.

تسمى "هوبيت". يقول تولكين في وصفهم: "انهم اناس صغار الحجم، يراوح طولهم بين ٦٠و١٢٠ سنتيمتراً. يأكلون ويشربون بشهية شديدة ست وجبات في اليوم (اذا استطاعوا الحصول عليها). يتداعبون ويقيمون الحفلات ويتبادلون الهدايا. لا قدرة فائقة تميزهم ولا سحر، لولا مقدرتهم على الاختفاء بهدوء وسرعة حينما يمر بهم مصادفة قوم ضخام الجثث اغبياء، مثلي ومثلكم، يتعثرون في مشيتهم".

وثلاثية "سيد الخواتم" هي في الاساس قصة الصراع الابدي بين الخير والشر. فالهوبيت الصغير

(★) الثلاثية سلسلة من ثلاث مسرحيات او ثلاثة مؤلفات ادبية او موسيقية، كل منها تام في ذاته لكنه وثيق الصلة بالآخرين ويشكل واياهما موضوعاً واحداً.

الشجاع، فرودو باغينز يتطوع لاتلاف خاتم غامض يمنح الذين يقتنونه قوى هائلة. وعلى فرودو رمي الخاتم في نيران موردون النائية. وتطارد فرودو قوى الظلام التي تطمع في الخاتم لكي تحكم العالم. لذلك تعترض رحلته اخطار لا نهاية لها: هجمات ومكامن ومعارك واعتقالات وفرار.

رسوم متحركة بشرية - طوال اكثر من ٤٠ سنة كانت المغامرات المدهشة التي يخوضها فرودو واصدقاؤه تفتن منتجي الافلام. ولكن كيف يمكن جمع كافة المخلوقات الغريبة التي يذكرها الكتاب، والاعمال البطولية الخيالية والمناظر الطبيعية السوريالية (التي تتخطى الواقع) في فيلم؟

منذ اثنتي عشرة سنة، تملك شركة "يونايتد آرتيستس" الحقوق في تحويل القصة فيلماً سينمائياً. وخلال هذا الوقت انفق اثنان من مخرجيها المعروفين قرابة مليون دولار على خلق حوار للقصة من دون تصوير مشهد واحد من الفيلم. ذلك لأن كليهما كانا يخططان لانتاج فيلم ذي موازنة مرتفعة وقصة يمثل احداثها بشر احياء.

وفي العام ١٩٧٥ توصل رالف باكشي، وهو منتج افلام رسوم



لم توضع قبلا اي رسوم متحركة تشبه مشاهد المعارك في هذا الفيلم، حيث يتحرك في المعركة الواحدة احياناً ٥٠٠ محارب وحصان.

متحركة، الى اقناع يونايتد ارتيستس بأن الطريقة الفنية الوحيدة الصحيحة لاخراج الفيلم، بموازنة "معقولة"، هي في اعتماد الرسوم المتحركة، ليس بالطريقة التقليدية - رسوم كاريكاتورية ودمى تأتي بالحركات المرتجلة المتقلبة - فالاشخاص والحيوانات والوحوش الخرافية في "سيد الخواتم" يجب ان تتحرك على نحو مقنع كالممثلين في فيلم عادي، لتشكل "لوحات فنية متحركة" كما يصفها باكشي. ويجب ان تكون الخلفيات لوحات مجنحة كما لو ان فنانين عظاماً امثال رمبرانت او بروغل أوحوا بها.

> نشر المجلد الاول من ثلاثية تولكين، وهو "جماعة الخاتم"، في العام ١٩٥٤. وسرعان ما صار كتاباً كلاسيكياً رائجاً بين ابناء الجيل الجديد. واعيد طبعه مراراً ونقل الى ١٢ لغة بينها البولونية والفنلندية واليابانية. وهو يعتبر في مصاف الكتب المعاصرة المفضلة القليلة التي تخاطب جيلا من الاجيال مباشرة. وما يلفت، ان اكثر من خمسة ملايين نسخة منه بيعت في الولايات المتحدة وحدها في العام ١٩٧٧.

ونجح باكشي في اثارة اهتمام المنتج سول زينتز بالمشروع. وكان سبق لهذا ان عدل قصة كان اخراجها يعتبر مستحيلا وجعل منها فيلماً سينمائياً ناجحاً، هي "طيران فوق عش الكوكو". فاستوعب تصور باكشي على الفور ووافق على ارصاد ستة ملايين دولار للفيلم.

وكان باكشي في فيلم سابق، وفي بضعة مشاهد، جرب تصوير ممثلين احياء ونقل حركاتهم في رسوم متحركة. الا ان تلك المشاهد كانت اشكالا سوداً جامدة. وظن ان في وسعه صقل الطريقة لخلق شخصيات متحركة ذات ابعاد ثلاثة. فرسم، بقلم رصاص، لوحات للقصة متبعاً الطريقة المعهودة بحيث خصص اطراً لكل مرحلة من مراحل الحركة، وهكذا صور مشهداً عن فرودو. وأدى الدور رجل قصير القامة امتطى حصاناً ابيض على مدرج للطائرات في الصحراء. وصور مشهداً آخر لممثل يمشي في زي ساحر. وكان باكشي يقصد الحركة دون سواها.

وتم تكبير كل اطر هذين المشهدين. ثم رسمت تفاصيلها بالالوان على صفحات شفافة من "اسيتات السيلولوز"، تسمى "سيل". ولدى تصويرها متتابعة على فيلم سينمائي، كل على حدة، وتسليطها على شاشة، خلقت انطباعاً بأن شخصاً أو حيواناً يتحرك على الشاشة. وحين رأى باكشي المشاهد الاولى هذه، سحرته واقعيتها الهادئة.

احياء الاسطورة - انتقل باكشي وزينتز الى تنفيذ ما لم يسبقهما اليه احد: تصوير فيلم كامل بممثلين احياء وحيوانات حقيقية، وتحويله رسوماً متحركة. وجيء بممثلين من انكلترا - لحفظ لهجاتهم من دون صورهم - ونقلوا الى اسبانيا، حيث وجد عدد وافر من الاشخاص الاضافيين والخيل لمشاهد المعارك. وتم تصوير فيلم سينمائي طويل، حوّل بكثير من الجهد والكد رسوماً متحركة. وتوحي عينة من بعض مشاهد الفيلم الجديد، بالابتكار وقوة التعبير اللذين تتسم

بهما هذه الطريقة للرسوم المتحركة، ويزيد طول الجزء الاول من "سيد الخواتم"، الذي يشمل حبكة "جماعة الخاتم" ونصف المجلد الثاني "البرجان"، على ساعتين، وقوامه اكثر من ١٧٠ الف اطار منفصلة من الرسوم المتحركة، اي بمعدل ٢٤ لوحة في الثانية. وكانت لكل مشهد خلفية منفصلة، فالمشهد كناية عن عدد من الصور المتتالية يجرى تصويرها من الزاوية ذاتها من دون اجراء تغيير في ترتيب آلات التصوير. ورسمت كل حركة على "سيل" منفصل. ويستخدم الفيلم قرابة عشرة آلاف لوحة للخلفية ومليون "سيل" مرسومة وملونة باليد.

هذه النظرة من خلال عين دودة الى "الراكب الاسود" الرهيب الممتطي صهوة جواده المطهم في غطرسة تطمس تقاسيم وجهه، تعطي فكرة عن القوة المسخرة في الطريقة غير التقليدية المعتمدة في الفيلم.

ويقول باكشي: "لو اني توقفت لأحسب كل هذه الارقام، لما بدأت هذا الفيلم اطلاقاً".

وها ان المهمة اكتملت الآن، بالنسبة الى الجزء الاول على الاقل. وفي امكان الجمهور الذي يعرف عن كثب مخلوقات "الهوبيت"، و"الاورك"، و"الرينغريث" الرهيبة، و"الانت" الرقيقة، وسواها من الكائنات الخرافية السحرية التي تتحرك من خلال صفحات "سيد الخواتم"، ان يستمتع بهذه الاسطورة المفضلة في بعدها الجديد.


■ ولتر روس

مسرح العبث

كان الطقس بالغ الحرارة فيما راح الممثلون يتمرنون على أدوارهم في المسرحية الغنائية الشهيرة "صوت الموسيقى". وفي فترة الاستراحة خرجت بعض الممثلات، وهنّ في زي "الراهبات"، الى مقهى قريب، حيث جلسن وقتاً طويلا من غير أن يكترثن للمارة الذين تحلقوا خارجاً ينظرون الى راهبات خلعن الأحذية ورفعن الأردية حتى الركب، ووضعن أرجلهن على الطاولات ورحن يدخنّ ويشربن الجعة ويروين قصصاً لا تليق براهبات.

وأخيراً لاحظت "الراهبات" استنكار المشاهدين، فهرعن عائدات الى المسرح.

ل.ب.



كتاب الشهر

حماة الميثاق

ملخص من كتاب بقلم جيمس ميتشنر







ان كتب جيمس ميتشنر ـ هاواي ، العيد المئوي ، ايبيريا ، تشيزابيك ، وكثيراً سواها ـ تباع بالملايين . وهي حوّلت أفلاماً سينمائية ومسرحيات غنائية وتلفزيونية . والى تأليف الروايات ، مارَس ميتشنر نشاطات في حقول السياحة والرياضة والسياسة والشؤون الدولية .

وخلال السنتين الماضيتين ، كرّس هذا الكاتب الامريكي الغزير الانتاج وقته لدراسة جمهورية جنوب افريقيا . وسكب دراسته في رواية صدرت هذا الخريف بعنوان "الميثاق" . وتصوّر القصة حياة جنوب افريقيا ، من مناجم الذهب القديمة في زيمبابوي الى رأس الرجاء الصالح الذي تعصف به الأعاصير ، كاشفة حياة أجيال من الزنوج والانكليز والهولنديين . لكن موضوع الرواية هو عائلة خيالية باسم فان دورن ، والمزارع التي كانت تملكها على شاطىء فريمير (بحيرة الحرية) خارج بلدة فنلو .

وصل آل فان دورن الى الكيب (رأس الرجاء الصالح) عام ١٦٥٤ ، قائدين رحلة بني قومهم في عربات تجرّها الثيران شرقاً عبر المرج المعشب . وكانوا روّاداً أشاوس ، يُلهب حماستهم ايمانهم بأن الله أقام عهداً معهم ، مختاراً إياهم ليأخذوا تلك الأرض ويصدّوا عنها كل عدوان . لكن عقبات ضخمة اعترضت طموحهم أواخر القرن الثامن عشر : فقد اصطدم توسّع الافريقانيين (كما بدأ الهولنديون يسمون أنفسهم) شرقاً بالأمم السوداء القوية . وفي العام ١٧٩٥ احتلت انكلترا الكيب .

وكان ذلك بداية قرن كامل من العنف . فقد قام البيض ضدّ السود في بلاوكرانتز ونهر الدم ، كما قام السود ضد السود عندما أعلن شاكا ، مؤسس أمة الزولو ، حرباً قضت على الألوف . وأخيراً

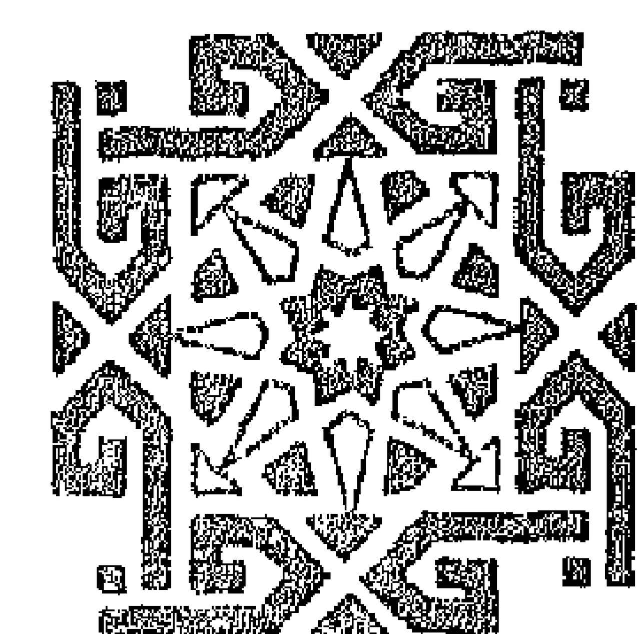
قصة الصراع بين السود والبيض في جنوب افريقيا

قام الافريقانيون ضد الانكليز في حرب البوير (١٨٩٩ - ١٩٠٢).

واحتل البريطانيون، المتفوّقون عدداً، مدن الافريقانيين الرئيسية. إلاّ أنّ هؤلاء أبوا الاستسلام، ونظموا أنفسهم في فرق صغيرة دعوها "المغاوير"، راحت تغزو المناطق الريفية وتضايق البريطانيين بهجماتها المتكررة. وكانت فرقة مغاوير فنلو في إمرة الجنرال باولوس دو غروت، وبين فرسانها ياكوبوس فان دورن، وهو من الجيل الثامن لعائلته في افريقيا.

أما الانكليز فردّوا على الغزو بضرب المزارع التي عاش المغاوير على خيراتها، مضرمين النار في الحقول والمباني، وحاملين النساء والأطفال والزنوج الذين خلّفوهم بلا مأوى الى مخيّمات اعتقال لقي فيها ٢٦ ألفاً (من البيض فقط) حتفهم بفعل المرض وسوء التغذية. وفي مخيّم كريسيبيسمير فقد ياكوبوس فان دورن زوجته واثنتين من بناته، وعقد أمله كله على ابنه الصّغير دتليف.

في التلخيص الآتي يعطينا جيمس ميتشنر صورة خيالية لحياة دتليف فان دورن وأثر الحرب في طفولته، ثم تربيته والايمان الصارم الذي استمدّه من الكنيسة الهولندية المتجدّدة ونتائج هذا كله في شؤون جنوب افريقيا. ويغدو دتليف تجسيداً للجيل الذي أعطى بلاده شكلها في القرن الحالي، وهو جيل محتشم ومتدين أساساً، لكنه يحمل في جوارحه جرحاً من الماضي وخوفاً تجاه المستقبل. وفي صياغة المبادىء التي اقاموا عليها حكومتهم، توّصل أبناء هذا الجيل الى مجموعة قوانين عرقية عُرفت باسم "التمييز العنصري"، وجاءت صفعة للحرية التي طالما تغنوا بها وخطراً على الأمة التي خلقوها بتضحيات لا تُقدّر.



بدأ عهد الدراسة الفعلية في حياة دتليف فان دورن يوم ارتقى التلة مع شقيقته، آتياً من مخيم الاعتقال في كريسييسمير لرؤية الخراب الذي حل بمنزله. وكان والده ياكوبوس والجنرال العجوز باولوس دو غروت ينتظران في الخرائب. وبعد تحية قصيرة اقتاداه الى منحدر معشب حيث رأى ثلاث شاهدات ضرائح تنتأ من الأرض على مسافات متساوية وتحمل أسماء امه واثنتين من شقيقاته.

وقال له الجنرال: "إياك أن تنسى أنّ النسوة هؤلاء قُتلْن على أيدي الانكليز".

كان دتليف في السابعة من عمره، وحصل ذلك عام ١٩٠٢.

وسألت اخته يوانا: "أين سنمكث؟" ولم يكن لديها من متاع الدنيا سوى الثياب التي تسْترها. وهذا ما كان يملكه دتليف أيضاً.

وأجاب والدها: "لقد سوينا العربة القديمة". وأخذ ولديه الى تلك العربة الأثرية الصغيرة التي حمل والده تجارت فان دورن عائلته فيها عبر دراكنسبرغ الى ليمبوبو، ثم رجوعاً الى فريمير. وكان ياكوبوس فان دورن والجنرال باولوس أقفلا عجلات العربة الكبيرة وصمماها بحيث تستعمل للنوم. ولكن يستحيل عليها أن تستوعب يوانا وأخاها ورجُلين بالغين. وعندما رأى دو غروت نظرات ابنته الحائرة، ضحك وقال: "أنت وأخوك تنامان فوق، داخل العربة؛ ونحن الاثنين ننام تحتها". وهذا يعني أنّ والدها والجنرال العجوز ينامان على الأرض تحت العربة.

وسأل دتليف: "أبي، ماذا تفعلان اذا هطل المطر؟"

فأجاب دو غروت على الفور: "لن تمطر". وهي لم تمطر فعلا في الاسابيع الأربعة التي استغرقها بناء سقف فوق غرفة واحدة من منزلهم الريفي المتهدم.

وفي الاسبوع التالي أوقفوا العمل حين صرخ دتليف: "هناك اناس يتقدمون!". ونظروا بعيداً عبر المرج فرأوا رتلا من الناس يتقدم نحوهم. وتناول ياكوبوس بندقيته وقال: "انهم الكَفِيريون" (الشعوب الناطقة لغة البانتو في جنوب افريقيا).

انّ مجموعات من السود الذين وجدوا أنفسهم بلا مأوى وغذاء أخذوا يغيرون على مزارع البوير في تلك المقاطعة وسط الفوضى التي أعقبت الحرب. ونهبوا كلّ ما وقعت عليه أيديهم، معاملين بخشونة كلّ مزارع حاول الاحتجاج. لكنّ تلك الجماعة بالذات لم تشكل خطراً. وما لبث دتليف أن صاح: "انه ميكا!".

وعندما شاهد ميكا نكسومالو ثلاثة أفراد من آل فان دورن وواحداً من آل دو غروت، انهمرت الدموع من عينيه. فهو كان يعرف أنّ غياب أفراد العائلتين الآخرين يعني أمراً واحداً. ذلك أنه كان عائداً لتوه من معسكر اعتقال حيث لم يبقَ له سوى اثنتين من زوجاته الأربع وثلاثة من أولاده التسعة.

وما ان علم دو غروت بمحنة نكسومالو حتى تملكته الكآبة. ورفع ذراعيه بمحبة بالغة نحو صديقه

الفارس وضمه الى صدره وقال: "يا أخي الكفيري"، طالما بقي رب في السماء فلن ننسى ما حل" بنا معاً. ابق قريباً منا وسنمتطي جيادنا يوماً".

وهكذا عاد نكسومالو وقومه الى أكواخهم في فريمير. وباشروا عملهم صباح اليوم التالي من غير أن يوجهوا أي سؤال حول شروط استخدامهم. لقد استأنفوا العمل كما في الماضي.

وأخذ الجنرال دو غروت يتردد على مزرعة فان دورن لا سعياً الى طعام أو رفقة، ولكن للاشراف على تعليم الفتى دتليف. ومرة قال له: "يجب ألا" تنسى أن" جد" أبيك، وهو من أفضل الرجال الذين ظهروا على وجه البسيطة، اقتيد يوماً الى محكمة انكليزية حين سُمح لشخص كفيري" بأن يشهد ضده". وكان دو غروت، ليلة بعد ليلة، يعرض أمام دتليف الأخطاء التي ارتكبها الانكليز. ولم ينفك عن تكرار العبارة الآتية: "اياك ان تثق بانكليزي. إن" هؤلاء القوم نهبوا بلدك".

وكان تعليم دتليف شديد الفعالية، معطياً الثمار التي رجاها دو غروت. ومما قاله له: "لقد خضنا، أبوك وأنا، معاركنا معاً، وخسرناها. وأنت ستخوض معارك اخرى، ولكن ستكسبها".

فأجاب دتليف: "أنني اجيد الرماية. ويمكنني أن أصيب انكليزياً". عندئذ ضمه العجوز الى صدره وقال: "لا أحوَجك الله الى هذا. انك ستكسب معاركك بطرق أفضل".

ـ ما هي هذه الطرق؟

ولمس دو غروت جبين الفتى برفق وقال: "حروبك ستكسبها بالعلم. أن" الانكليز يعرفون اموراً نجهلها نحن: الكتب، الرسوم، الأفكار الكبيرة. وما عليك إلا" الذهاب الى مدرسة انكليزية وكشف أسرارهم". وهز" دتليف رأسه، فتابع الرجل العجوز: "ستكون ألمع فتى رآه المعلم. وعليك بتعلّم اللغة الانكليزية بأسرع ما يمكن، لأنها المفتاح الى أسرارهم".

وأخرج دو غروت صحيفة ً من جيبه نشرت تقريراً للمندوب السامي الانكليزي ينطبق، من غير قصد، على طبيعة الحرب التي يواجهها البوير الآن:

"اذا كان عدد الانكليز، بعد عشر سنين، هو ثلاثة في مقابل كل" اثنين من الهولنديين، فسيكون هذا البلد آمناً ومزدهراً. أما اذا عُكست الآية فسنواجه مشكلات لا تنتهي".

وانطلق دو غروت الماكر يشرح بهدوء الخطوة العملية الآتية: "ان الانكليز يبذلون قصارى جهدهم لاستقدام اكبر عدد من بني قومهم واغراقنا في خضم من الكتب الانكليزية والمسرحيات الانكليزية والتربية الانكليزية".

ـ ولكن ألم تطلب مني أن أدرس اللغة الانكليزية؟

"أجل، أُريد أن تتعلم كل" شيء. وحبذا لو أخذت اللغة الانكليزية بعقلك وحفظت الهولندية في قلبك. لانه اذا جعلك أحد الغزاة يوماً تقبل لغته، فهو يجعلك عبداً له. وهكذا نُهْزَم".

وما ان تفوه" دو غروت بهذه الكلمات المرعبة حتى نهض من مكانه وأخذ يذرع الغرفة الصغيرة ويقول: "لقد هُزمنا، أبوك وأنا". وبصوت

الأسد الجريح تابع: "لكنّ الحرب الآتية سننتصر فيها. أنها حرب الأفكار. وسنشهد، أنت وأنا، اليوم الذي ستغدو الهولندية اللغة الوحيدة في هذه البلاد. ولن يُسْمَع صدى للانكليزية حين يجتمع ذوو السلطان". واشرأبّ فوق دتليف قائلا: "وإنك ستكون مسؤولاً عن ذلك".

طبقات الهلام

غالباً ما نقع في سيَر العظام، من رجال ونساء، على جملة كالآتية: "كما ينبثق النور، سقطت عليها الفكرة التي نفخت فيها روح الحياة". أما في حال دتليف فان دورن فقد استحال هذا المجاز حقيقة.

وهو أصبح كذلك بفضل علبة من مسحوق الهلام (الجيلاتين) من اوروبا. وعلمت يوانا بوصول الهلام الى محلّ في بلدة فنلو المجاورة، فابتاعت قليلا منه وصنعت للرجال حلوى لها مذاق البرتقال والليمون الحامض. وذات يوم خطر للفتاة ان تضع قليلا من الهلام في كلّ كوب وتدعه يجمد، ثم تصبّ فوقه هلاماً من لون آخر فآخر حتى تحصل على خليط يرضي الذوق والنظر معاً. ونجحت محاولتها نجاحاً باهراً، اذ وضعت في أسفل الكوب طبقة من مسحوق العنب الأسود، وفوقها طبقة تفاح بنية تلتها طبقة حمراء فطبقة برتقالية وطبقة أخيرة صفراء. وجاءت أكواب الهلام عملاً فنياً بديعاً.

وحين دخل دتليف المطبخ، رأى الأكواب موضوعة على حافة النافذة. وكان هناك كوب منفرد ضربته الشمس، فتألقت ألوانه وبدا كلّ منها كأجمل ما يكون.

ونادى الجنرال ووالده وقال لهما: "انظرا كيف يحافظ كل لون على كيانه من غير أن يلوث اللون الآخر. انه يومض كلؤلؤة". وأشار بإصبعه موضحاً طبيعة الجنس البشري كما قضى بها الله: "في الطبقة الدنيا يأتي السود، يليهم السمر ثمّ الهنود..." لقد ترجم الألوان الى أعراق بشرية: "وفوق ذلك اللون البرتقالي الذي يمثل الانكليز. وفوقها جميعاً الانسان الافريقاني، وهو الاصفى و...".

وقال دو غروت: "هكذا يجب أن تكون الامور".

انّ المعلم الأوّل الذي تتلمذ عليه دتليف في فنلو كان انكليزياً. لكنّ معلماً آخر برز الآن، وهو شاب ذو طابع مختلف تماماً. انه بيت كراوس الذي صرح، في اليوم الأوّل لتسلمه وظيفته، بأنّ هذر التربية الانكليزية انتهى عهده.

وامتطى كراوس صهوة جواده وخرج من فنلو للقاء ابناء شعب فريمير الذين خاطبهم قائلا: "ينبغي أن نقضي على جميع المناطق التي نحن فيها خاضعون. ولن نبقي من اللغة الانكليزية ألاّ على ما يقضي به القانون". وكان يتكلم بقوة جعلت يوانا فان دورن تصغي اليه بجذل، لأنّ كلامه كان عين ما اعتقدته.

ودعت المعلم الجديد ثلاث مرات الى فريمير للحديث معه طويلا. وبعد عودته في إحدى الليالي الى فنلو، قال دتليف مازحاً: "أظنّ أنّ كراوس خسر المعركة". ولم تكترث يوانا لمزاح أخيها الذي سحرته شخصية كراوس خلال زيارته اللاحقة.

وصاح كراوس بحماسة متزايدة: "ما نحتاج اليه في هذا البلد هو نظام ثابت يكون فيه الهنود والملوّنون

والسود كل في مكانه، يطيعون القوانين التي نشترعها نحن. وسيكون الانكليز أنفسهم خاضعين للقانون، ويكون الافريقانيون صانعي القرار".

ولم يتعجب دتليف حين دخل كراوس بعد خمسة أسابيع المطبخ وخاطب الرجال بحدة: "أني ويوانا قررنا الزواج. هناك عمل علينا تحقيقه، وأنا أطلب موافقتكم على اقتراحي". ووافق الجنرال ووالد يوانا، كما وافق أخوها بحماسة فائقة.

وغدت فنلو نموذجاً مصغراً للمجتمع الافريقاني. ووجدت في الجنرال دو غروت بطلا من حروبها الماضية، وفي كراوس معلماً متحمساً أراد إعادة تكوين العالم، وفي دتليف فان دورن مثال الفتى الذي يجسد آمال المستقبل. وبدا، من وقت الى آخر، أنّ جميع قوى ذلك المجتمع تضافرت لتجعل هذا الغلام أشدّ ذكاء والتزاماً لقضايا بلاده.

وكان بيت كراوس صاحب النفوذ الاقوى في قلب دتليف الذي رأى المجتمع من خلال عيني ذلك الشاب المتقدتين. ورأى كراوس أنّ واجبه الرئيسي هو الحفاظ على المزرعة وبلدة فنلو. وحمل الجميع على متابعة الامور بأشدّ انتباه، وكان على استعداد دائم لتفسير ما يحدث. وفي اليوم التاريخي من العام ١٩١٠، الذي شهد اتحاد المستعمرات الأربع: كيب وناتال الانكليزيتين وفري ستيت وترانسفال الافريقانيتين، تحت قيادة حاكم عامّ ورئيس وزراء ومجلس نيابي، أعلن كراوس بابتهاج: "ها نحن وقفنا على طريقنا. فافرحوا أيها الفتية، لأنّ أحدكم قد يصبح رئيس وزراء لبلد نال حريته التامة".

وذات صباح فاجأ كراوس تلاميذه حين أعلن لهم: "على كل منكم أن يأتي بوالديه وعربته، وسنذهب الى ووترفال - بوفن لنرى مشهداً رائعاً". ولم يفصح عن ذلك المشهد. الاّ أنه جمع التلاميذ والأهالي كلهم عند الثالثة عصر ذلك اليوم في محطة السكة الحديد في بلدة ووترفال - بوفن. ولدى ظهور القطار الآتي من بريتوريا، حمل وزوجته الأولاد على التصفيق والهتاف بحرارة.

وتوقفت ١٥ عربة غير مسقوفة، مخصصة لشحن الماشية، للرد على التحية. وأخذ التلامذة يحدّقون مندهشين الى وجوه مئات الصينيين الصفر، وهم البقية الباقية من العمال الذين استقدموا من الصين عام ١٩٠٤.

وكان المسؤولون الحكوميون والانكليز الذين أداروا مناجم الذهب ظنوا أنه من الممكن حمل ٥٠ ألف عامل مندفع، كلهم دون الثلاثين، على العمل في أعماق المناجم، من غير ترفيه أو اختلاط بالنساء، لمدة تراوح بين عشر سنين وعشرين سنة. وما لبث اولئك العمال الأحداث أن بدأوا يقامرون، مما روع الكنيسة الهولندية. وعندما أخذوا يقيمون علاقات مع نساء من صفوف السود والملونين والطبقات الوضيعة، صاح الوعاظ من أعلى منابرهم قائلين ان الله سوف يصبّ جام غضبه على الارض.

ثم طلب من جميع الصينيين مغادرة البلاد. وظُنّ أنّ افريقيا الجنوبية ستنفض عنها تلك الشائبة حين يغادرها ذلك القطار الى موزامبيق.

وأوضح كراوس الأمر بالآتي: "لكل امرىء على الأرض مكانه الذي ينتمي إليه وفيه يجب أن يبقى. لقد أعدنا الصينيين الى الصين. وعلينا إعادة الهنود الى الهند. والانكليز يجب أن يعودوا الى انكلترا. فهذه الارض ملك للافريقانيين".

- وماذا عن الكفيريين؟

"انهم جزء من افريقيا كما نحن جزء منها. غير أنهم أطفال، وواجبنا حمايتهم وحثهم على إطاعة قوانيننا. إن الكفيريين سيبقون معنا دائماً، وعلينا معاملتهم باحترام وحزم في آن".

وكان دتليف كلما سمع وعظاً من هذا القبيل، عادت به الذاكرة الى كوب الهلام بطبقاته الملونة، حيث وضع كل لون في مكانه الملائم.

الوقفة الأخيرة

ذات مساء من اغسطس (آب) ١٩١٤، بعد تناول طعام العشاء، أزاح ياكوبوس فان دورن صحنه ونظر الى ابنه. وقال له بلهجة جافة: "لقد حان وقت اتخاذ القرار. دعنا نذهب لرؤية دو غروت".

وسارا الى المزرعة المجاورة حيث وجدا الجنرال العجوز في سريره. وهو كان رجلا متعباً في الحادية والثمانين، تأطر وجهه الضامر لحية بيضاء طويلة. وكان أحدهم حمل إليه أخباراً مثيرة. وعندما رأى الجنرال العجوز الفتى دتليف يتبع أباه داخل الكوخ، أحس بالحياة تسري في أوصاله من جديد. وقال: "أذاً أنت ذاهب الى الحرب. أني فخور بك حقاً".

وسأل دتليف: "ماذا يقول؟"

- يقول ان الحرب أعلنت في اوروبا، وان المانيا، والحمد لله، تحارب انكلترا. ولا شك في أننا سنهب لنصرة المانيا أنا وأنت يا دتليف.

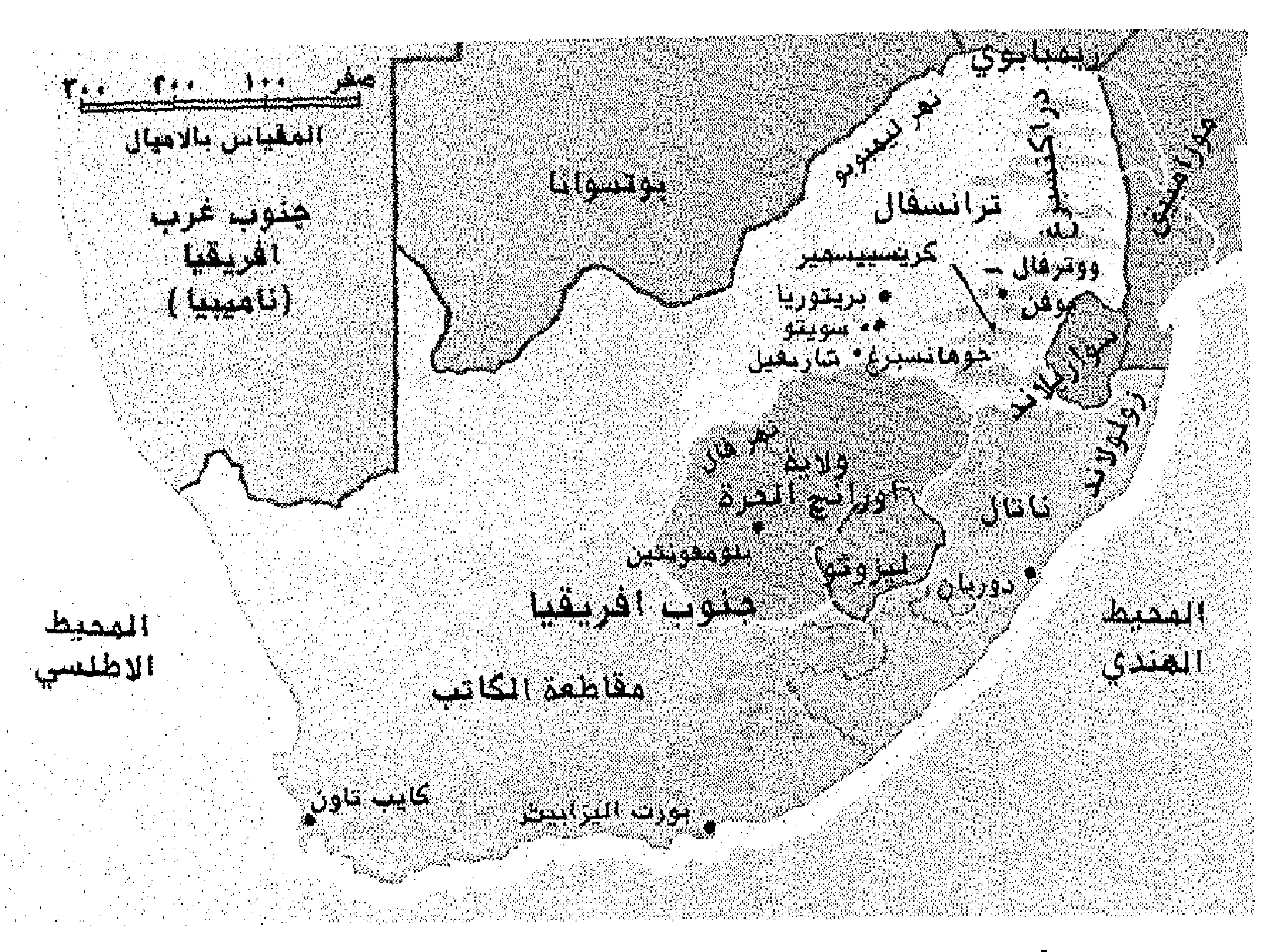
وقال الجنرال محذراً: "الرجل الذي يجدر بنا أن نهابه هو ذاك المدعو جان كريستيان سماتس. انه يريد أن يحملنا على خوض الحرب الى جانب الانكليز. فهو يحب كل ما هو انكليزي: البزات الرسمية، والملك، والناس الذين ينحنون إجلالا له. ويجب أن نبقي أعيننا مفتوحة تجاهه".

وقضوا شطراً كبيراً من الليل يبحثون في الخطط الواجب اتخاذها لضمان وقوف جنوب افريقيا الى جانب المانيا وتصور ما ينبغي فعله بعد أن يحررهم النصر الالماني من العبودية.

وكان دتليف قلقاً حيال تلك المسألة. ففي اعتقاده أن جان كريستيان سماتس، أحد قادة حرب البوير الذي يحتل الآن منصباً رفيعاً في الحكومة، رجل ذكي يمكنه تنفيذ الأوامر الملكية بجدارة. ولكن اذا لم يعلن الافريقانيون ثورتهم اليوم، فقد لا يكون في إمكانهم كسب حريتهم على الاطلاق.

وكان الزوار يترددون على الجنرال دو غروت في الامسيات. وهناك تعرف دتليف على زعماء قومه: الجنرال كريستيان دو ويت، الجنرال كوس دولا ري، الجنرال كريستيان بايرز، الزعيم الصارم ماني ماريتز. لكن القائد الذي أحدث أقوى أثر في نفسه كان كريستوفل ستين لما أظهره من بأس لا يلين وأحكام رزينة.

وحمل الاسبوعان الأولان من سبتمبر (أيلول) ١٩١٤ أحداثاً محمومة



باهرة. فقد أرسل باولوس دو غروت سعاة الى المغاوير، طالباً منهم أن يهبوا الى الحرب ساعة يعلن الجنرالات الوقوف الى جانب المانيا. ووضع بيت كراوس كتبه جانباً وانتظر بصبر نافذ بدء القتال. وصعد دتليف، وهو في التاسعة عشرة، الى تلال فريمير، وأخذ يتدرب على استعمال المدفع الرشاش.

وفي ١٢ سبتمبر (ايلول) استهل دو غروت سلسلة اجتماعات بحضور ممثل للقوات الالمانية المسلحة في جنوب غرب افريقيا، أكد فيها للزعماء المحليين أن "كل" شيء "تم" إعداده. وباتت الانتفاضة وشيكة. وعهد الى ماني ماريتز في قيادة مغاويره عبر حدود جنوب غرب افريقيا الى المنطقة الالمانية. وطلب من الجنرال بايرز الاستقالة من منصبه الحكومي بعد اصدار ادانة شديدة اللهجة ضد سماتس. أما الجنرال دو غروت فكان عليه جمع الرجال شمال شرق مقاطعة ترانسفال. وقرر الاستيلاء على بريتوريا والسلطات الحكومية فيها، وبسط سيطرة الالمان من المحيط الاطلسي غرباً الى المحيط الهندي في طنجنيقا (تانزانيا).

وفي ليل ١٤ سبتمبر (ايلول)، اعتلى دتليف صهوة جواده واتجه شرقاً الى فنلو حيث كان صهره جمع ٢٢ رجلا من المغاوير المحليين. وقادوا جيادهم طوال الليل في اتجاه نقطة قرروا اللقاء عندها لبدء الانتفاضة. ومع حلول الصباح، رأى دتليف الرجال حشوداً استعدت للمحاربة من جديد كي تقيم جمهورية في جنوب افريقيا. وصرخ الى كراوس قائلا: "لن يوقفنا شيء بعد الآن!".

وأخذت الضربات تنهال واحدة بعد اخرى. فالجنرال الذي عقدوا عليه أمل قيادتهم، وهو كوس دو لاري، مات برصاصة نابية. وبعد مدة حاول الجنرال بايرز، الذي كان مقيضاً لهأن يخلف دو لاري، الفرار عبر نهر فال فغرق ومات. وأجبر ماني ماريتز على اتخاذ موقف الحياد بعد عبوره الحدود. أما الجنرال دو ويت فطوق مع رجاله وارغم على الاستسلام.

ولم يصدر عن سماتس ادنى خطأ. وحملت القوة الالمانية المغيرة من جنوب غرب افريقيا على التراجع، فيما شلّت حركة الالمان في طنجنيقا. ولم يبق في الساحة سوى باولوس دو غروت وكريستوفل ستين، ضمن مساحة صغيرة في ترانسفال.

وذات ليلة من نوفمبر (تشرين الثاني)، بعد رحلة مضنية عبر المروج، خاطب دو غروت ياكوبوس ودتليف قائلا: "اني أشعر بالتعب". وصُنع سرير للرجل العجوز، كان الاول الذي ينام فيه منذ عشرة أيام. وحاول أن يتفوه بكلمة، لكنه سقط الى الوراء مفارقاً الحياة. وبوفاته بدأت آخر فرقة مغاوير تنحسر. وبذل كريستوفل ستين محاولة باسلة لابقاء الرجال معاً، وهدد بيت كراوس بقتل كل من يحاول الانسحاب.

وقال كراوس: "ان معركة اخرى واحدة، نصراً كبيراً واحداً، كافيان لحمل الالمان على الخروج من موزامبيق والهبوب لنجدتنا".

وأجاب ياكوبوس فان دورن: "ليس فيموزامبيق ألمان". الا أن عناد كراوسجعله ينظم الرجال في وضع لا يستطيعون معه الفرار من غير أن يصابوا بأذى. وفي تلك المناورة أصيب ياكوبوس برصاصة قاتلة. وبعدما صلى دتليف على ضريح والده، قال: "أظن يا بيت انه خير لنا ان نعود الى البيت".

وكان ذلك من حسن حظهم. ففي اليومالتالي طوقت قوات الحكومة فلول المغاوير واعتقلت كريستوفل ستين. وكان هذا، في اعقاب حرب البوير، قبل وظيفة في جيش جنوب افريقيا وبقي فيها منذ ذلك الحين. لذلك عد خائناً. وفي حين عومل مئات الثائرين الآخرين باللين، الا أن سماتس أصر على احالة ذلك الضابط على المحكمة. وفي يوم مشؤوم من ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٤، قضت المحكمة باعدام ستين. واطلق الافريقانيون، ومنهم كثيرون لم يؤيدوا الانتفاضة، صيحة ذعر مطالبين بحياة ذلك البطل القومي. الا أن سماتس لم يذعن لتوسلاتهم.

وكتب دتليف الى ماريا ستين، ابنة الثائر، رسالة جاء فيها:

"لقد حاربتُ الى جانب والدك، ورأيته في أنبل مواقفه. وستبقى ذكراه حية في خاطري. لقد نُفذ فيه الحكم على نحو خال من العدالة. واذا شاهدتُ جان كريستيان سماتس يوماً، فسأفرغ رصاصة في رأسه".

والحق ان ذكرى ستين ستبقى حية ليس في ذهن ابنته فحسب، بل في ذهن شعب بأكمله يتوق الى أبطال. ان سماتس جعل من ستين شهيداً وفتح جرحاً لا يندمل في قلب الامة الافريقانية.

أحبب قريبك

كانت عودة دتليف الى المزرعة

ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠ ـ صفر ١٤٠١



من ريدرز دايجست

وفر ٥٠٪

كيف نداوي النسل...

... الصراع العنصري في جنوب افريقيا

(ص ١٠٨)

لبنان ٤٥٠ق ـ سورية ٦٠٠ق ـ الاردن ٥٠٠ف ـ الكويت ٥٠٠ف ـ الامارات العربية المتحدة ٦د ـ قطر ٦ر ـ البحرين
...٦٠٠ف ـ السعودية ٦ر ـ مصر ٥٠٠م ـ السودان ٧٠٠م ـ ليبيا ٦٥٠د ـ اليمن الجنوبية ٦ر ـ مسقط ٦ر ـ العراق ٦٠٠ف
تونس ٥٠٠م ـ المغرب ٣د ـ الجزائر ٧د ـ فرنسا ٧ف ـ انكلترا ٧٥ب ـ اليونان ١٠٠د ـ كندا وامريكا الشمالية ٢٥، ٥د

AL MUKHTAR min Reader's Digest, D...

تعني عودة الى العلم. وبتوصية من القس بارند برونغيرزما، واعظ فنلو، قبل دتليف في جامعة ستيلنبوش. وكانت تلك الجامعة المرموقة مركزاً للغة الافريقانية تزدهر فيه حماسة دينية متقدة ونظريات قوية حول شؤون جنوب افريقيا السياسية.

ومع نهاية الحرب في اوروبا، أعلنت الجامعة عن سلسلة من أربع محاضرات تتناول المرتكزات الخلقية التي يجب أن تقوم عليها اي حكومة في جنوب افريقيا. واهتم دتليف بالمحاضرات، خصوصاً لأن المحاضر كان القس برونغيرزما.

وفي افتتاح محاضرته الاولى، قال برونغيرزما ان مستقبل الامة يعتمد على الطريقة التي تنظم علاقاتها بالفئات العرقية المختلفة. وعرض المعلومات الآتية:

	عدد السكان الحالي	العدد المقدر للعام ١٩٥٠
ـ البيض	١،٤٥٤،٠٠٠	٢،٧٠٠،٠٠٠
ـ الملوّنون	٥٥٣،٠٠٠	١،٢٠٠،٠٠٠
ـ الهنود	١٦٤،٠٠٠	٣٦٦،٠٠٠
ـ البانتو (★)	٤،٥٩٨،٠٠٠	٨،٦٠٠،٠٠٠

ومن دون تعليق على قوة كل من الفئات الاربع بالنسبة الى الاخرى، طفق المحاضر يعرض موقف الكنيسة الهولندية المتجددة من مسألة العرقية خلال القرنين ونصف القرن الماضيين:

"تحت هداية جان فان ريبيك، مؤسس هذه الامة، مارس البيض والسود العبادة معاً. وهو أمر معقول اذ لم يكن له بديل. وبدأت المشكلات تبرز حين رفض العديد من البيض المناولة من الكأس نفسها التي يتقدم اليها السود. لكن طرقاً متعددة ابتكرت لتجنب تلك المشكلة.

"وفي المجمع المنعقد عام ١٨٥٧، أكد قادة كنيستنا على أن يسوع المسيح (عيسى عليه السلام) شاء ان يؤدي المؤمنون به فروض عبادتهم كجماعة واحدة. "ولكن اذا كان ضعف البعض يقتضي انفصال الجماعة، فليذهب القوم الآخرون الى مكان منفصل ومؤسسة مستقلة".

"ونتيجة لهذه الضغوط التي دامت قرنين، نشأت خطة تقضي بأن تكون هناك مبان ومؤسسات كنسية مختلفة، بعدد الفئات العرقية. واصبح للملونين والبانتو كنائس خاصة بهم تمكنهم ادارتها كما ترتضي اذواقهم، لكنها كانت متحدة جميعاً في أخوة المسيح".

ووردت في محاضرته معلومات وآراء كثيرة اخرى، لكنها خلفت انطباعاً بأن الكنيسة المسيحية واحدة وغير منقسمة، وأن الملونين والبانتو فضلوا ان تكون لهم كنيسة خاصة، وأن انقسام الكنيسة الراهن امر قضاه الله تعالى وباركه المسيح، وهو قابل للتطبيق على نحو بارز في مجتمع تعددي.

واقتصر الجزء الاكبر من محاضرة القس برونغيرزما الثانية على تعاليم العهد الجديد وطبيعة كنيسة المسيح على الارض. واستهلها بالآتي: "اذا كنا نعيش على أرض متعددة الاقوام: فان كلّ مسألة نواجهها تثير مشكلات يمكن ان تتجاوزها الامم الاكثر تجانساً. أما نحن فلا يمكننا تجاوزها. وان معالجتنا لهذه المشكلات العرقية تقرر طبيعة وجودنا". ثم قرأ مقطعاً من انجيل متى:

(★) تجنب معظم سكان جنوب افريقيا المثقفين عبارة "كفيري" السلبية، وأبدلوها بعبارة "بانتو" الغامضة التي تصف لغة، لا قبيلة او قوماً.

"يا معلم، اي وصية هي العظمى في الناموس؟ فقال له يسوع: "تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك، هذه هي الوصية الاولى والعظمى، والثانية مثلها: تحب قريبك كنفسك".

(متى ٢٢: ٣٦ – ٣٩).

وانطلق برونغيرزما من هنا الى مقطع شريف آخر قال انه مفتاح جميع محاضراته، وعليه ينبغي ان تتبنّى امة تخاف الله:

"جَسَدٌ واحد وروح واحد كما دعيتم أيضاً في رجاء دعوتكم الواحد، ربّ واحد، ايمان واحد، معمودية واحدة، اله وآب واحد للكلّ الذي على الكلّ وبالكلّ وفي كلكم" (أفسس٤: ٤ – ٦).

وقال برونغيرزما: "ان روح يسوع المسيح تسكن في قلب كلّ رجل وامرأة وطفل في هذه البلاد، من غير تمييز بين أبيض واسود، ملون وهندي، امرأة ورجل، انكليزي وافريقاني، كلنا واحد في يسوع الذي يحبنا بمساواة ويرعانا بعدالة".

وأبدى المستمعون تململا حيال هذه العقيدة المتطرفة، وحين انهى برونغيرزما محاضرته مصراً على ان المسيحية تحث اتباعها على تطبيق هذه المبادىء الاساسية في حياتهم الخاصة والعامة، وخصوصاً في تنظيم مجتمعهم، قامت بين المستمعين جلبة تدل على عدم الرضا، لكنه غادر المنصة ببطء وشموخ ودونما اكتراث.

نظام ام حرية؟

بعدما اعتلى القس برونغيرزما المنبر بجرأة لالقاء محاضرته الثالثة، لم يلبث ان خاطب المستمعين بالآتي: "لنحكم حسناً يجب أن نحكم بعدل، ولنحكم بعدل يجب ان نحكم بحكمة، ترى ماذا يطلب منا المسيح؟" واختار مقطعاً غامضاً وعشوائياً يستعصي فهم مناسبته على شخص من خارج جنوب افريقيا:

"ولما حضر يوم الخمسين، كان الجميع معاً بنفس واحدة، وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملأ كلّ البيت حيث كانوا جالسين، وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كلّ واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وابتدأوا يتكلمون بألسنة اخرى كما اعطاهم الروح أن ينطقوا، وكان يهود اتقياء، من كلّ أمة تحت السماء، ساكنين في اورشليم، فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور وتحير، وكلّ واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته (أعمال الرسل ٢: ١ – ٦).

ترى كيف تمكن اقامة سياسة أمة على هذا؟ واوضح برونغيرزما النصّ بالآتي: ان الله خلق الناس اخوة، لكنه سرعان ما قسمهم جماعات متميزة، مرسلا كل فرد الى قومه ومانحاً كلّ امة كياناً مستقلا، وهنا اطلق برونغيرزما صوتاً كهزيم الرعد، قارئاً المقطع الآتي:

"فرتيون وماديون وعيلاميون، وساكنو ما بين النهرين واليهودية وكبدوكية وبنتُس وآسيا وفريجية وبمفيلية ومصر ونواحي ليبية التي نحو القيروان، ورومانيون مستوطنون وكريتيون وعرب، نسمعهم يتكلمون بألسنتنا بعظائم الله" (أعمال الرسل ٢:٩ – ١١).

لقد شاء الله ان يكون الناس اقواماً مختلفة ليحتفظ كلّ قوم بخصائصه المميزة، وقال برونغيرزما أنه لو وجدت جنوب افريقيا زمن كتابة سفر "اعمال الرسل" لانتهى المقطع كالآتي: "كريتيون وعرب،

فريقانيون وانكليز، ملونون وآسيويون‌خوشا وزولو - كلّ منهم يتكلم لغته"٠

وعندما سمع دتليف هذا المقطع اطبق فكيه بدهشة٠ لقد وردت الاسماء المحلية في السياق نفسه الذي ظهر في كوب الهلام الملون، دالة على عالم خاضع للنظام، حيث الاقوام مختلفة ومستقلة، ولكل منها مكانه الخاص٠

وفي محاضرته الاخيرة، قرأ الواعظ مقاطع مدهشة من العهد القديم، مذكراً بني قومه الافريقانيين بواجباتهم نحو الله، مفتتحاً الكلام بأن جماعته الافريقانيين هم من مختاري الله لأن الله تعالى يقول هذا:

"فالآن ان سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب، فان لي كلّ الارض" (خروج ١٩:٥)٠

وسأل برونغيرزما: "ماذا يعني أن تكونوا خاصة الله؟" وأعطى الجواب من مقطع مدوّ في سفر اللاويين:

"وقلت لكم ترثون انتم أرضهم وأنا أعطيكم اياها لترثوها أرضاً تفيض لبناً وعسلاً، أنا الرب الهكم الذي ميزكم من الشعوب" (لاويين ٢٠:٢٤)٠

وقال برونغيرزما: "انه لحق أن تتميزوا، اذ ان لكم مهمات خاصة تؤدونها، وهي أن تحكموا بالعدل بين الناس"٠ ولكن هل كان يجدر بكنيسة البيض أن تمنع السود من ممارسة شعائر العبادة فيها؟ أجاب برونغيرزما أن الكنيسة كانت على حق، مؤيداً رأيه بسفر "تثنية الاشتراع": "حين قسم العليّ للامم، حين فرّق بني آدم، نصب تخوماً لشعوب" (تثنية ٣٢: ٨)٠ وأضاف: "وفي ذلك اليوم لا يكون بعد كنعاني في بيت ربّ الجنود" (زكريا ١٤: ٢١)٠ وقال: "اننا متميزون٠ ان كلاّ منا عظيم على طريقته٠ لقد اعطى الله كلا منا مكانه المناسب وواجباته الصحيحة، وعلينا أن نكون كما شاء الله لنا٠ ولكن سأنهي حديثي بكلمات يسوع المسيح التي بها افتتحتُ: "تحبّ الربّ الهك، وتحت قريبك كنفسك"٠

في تلك المحاضرات الاربع، وهي من أهم المحاضرات التي ألقيت في جامعة ستيلنبوش، افصح برونغيرزما عن التحدي الذي يواجه اي دولة دينية: كيف يمكن بناء مجتمع يجسد نظام العهد القديم وحرية العهد الجديد؟ أما دتليف فان دورن فلم يسمع سوى الشق الاول من هذا السؤال٠

طريقة أفضل

في صفحة الكتاب المقدس البيضاء المخصصة للتواريخ العائلية، سجل آل فان دورن ما يأتي: "ان دتليف فان دورن وماريا ستين، ولدي اثنين من أبطالنا، تزوجا في ١٤ مارس (آذار) ١٩١٩"٠

لم تكن ماريا ستين، ابنة القائد الذي أعدم على يد سماتس، فتاة جميلة، بل كانت سمينة مثل والدها، وكان شعرها مشدوداً الى الوراء على الطراز القديم٠ لكن اخلاقها الفاضلة كانت تنتشر في كل الجهات، وهذا جعل دتليف يهيم بها٠ وقال له القس برونغيرزما: "انها شابة صالحة٠٠٠ انها بطلة في ذاتها"٠

في العام ١٩٢١ بلغ دتليف السادسة

والعشرين، وأصبح والداً لصبي قوي وسيداً على مزرعة نامية. وحين نشرت صورته في صحيفة، اظهرت مزارعاً ممتلىء الجسم بقدمين متباعدتين وحبل ملفوف حول بطنه الواسع، من غير ان يكون له عنق اطلاقاً. لم يكن هناك فاصل بين أسفل اذنيه وكتفيه. وحين كان يقف الى جانب ثيرانه الثقيلة، كان يبدو مشابهاً لها.

وفي تلك الاثناء، كان بيت كراوس حصل على وظيفة حكومية في جوهانسبورغ، هي الاشراف على العمال في مناجم الذهب. ولدى عودته الى فنلو زائراً، لاحظ دتليف حماسته حيال مهماته الجديدة.

وفي سيل عنيف من الكلمات، اوضح كراوس كيف غدت المدينة النامية مركزاً رئيسياً للبلاد: "ان المعارك الحقيقية تخاض هناك". واصر على أن يعود دتليف معه ليشهد بنفسه صراع العامل الافريقاني ضد ربّ العمل الانكليزي والرأسمالي، وخصوصاً ضد عمال البانتو.

وكانت تربية دتليف حتى ذلك الوقت رومنطيقية: الجنرالات القدامى يخوضون معارك خاسرة. لكن تربيته الواقعية باتت وشيكة. وهو اكتسبها اول الامر في ذلك القطاع من جوهانسبورغ المسمى فريديدورب، حيث تجمع آلاف المزارعين الافريقانيين على اثر طاعون حل بماشيتهم وقحط شديد. وتوقف الزوار عند بيت صغير تحتله عائلة تروكسل: رجل طويل ناحل يفضل العودة الى المرج وزوجة عجفاء مهملة وأطفال جياع.

وقال بيت: "غداً نرى ما هو وراء الجوع". وفي اليوم التالي أخذ دتليف الى قاعة للعمال حيث قامت جلبة قوية حول القوانين الجديدة التي أعلنتها مصلحة المناجم. وقال أحد المحرضين: "انهم خفضوا نسبة العمال البيض". وكانت العادة في حقول الذهب أن يؤخذ عامل أبيض واحد بين ثمانية عمال من البانتو. "أما الآن فيريدون أخذ عامل ابيض من [illegible] بل عشرة عمال بانتو. وهذا يعني اضطهاد الافريقانيين".

وكانت بلدة فوردسبورغ، وهي مقاطعة بالقرب من فريديدورب تسكنها طبقة عمالية، حصناً قوياً للمضربين. وهناك أخذ دتليف الى سقيفة مخفية كان مزمعاً أن ينعقد فيها مؤتمر للعمال. وتمّ اجتماع بين الافريقانيين المتطرفين والعمال الذين استقدموا من مقاطعة كورنوول الانكليزية للقيام بأعمال وضيعة في قاع المناجم، بحضور ثلاثة من اليساريين الانكليز "هذه المرة سيسيل الدم. فهل ستؤازروننا؟"

تلك الليلة لم يذق دتليف طعم النوم، بل كان يرى تلك الوجوه الضئيلة ماثلة أمامه. فهو كان يدرك معنى المجاعة. وفجأة اخبر بيت ويوانا أنه قرر العودة الى البيت. وعندما اتهماه بأنه يرفض شعبه، قال لهما مؤكداً: "انني عائد الى هنا".

وهو عاد فعلا مع ثلاث عربات محملة بالطعام الفائض الذي امكنه الحصول عليه من فنلو. وقاد العربة الامامية بنفسه، بينما قاد ميكا نكسومالو العربة الوسطى وموسى، ابن ميكا، العربة الخلفية. وحملوا

الطعام الى وسط فريديدورب حيث وزعوه. وكاد أن ينشأ شغب في صفوف الناس.

وكان لتلك الزيارة نتيجة جانبية لم يقصدها دتليف ولا بيت. ذلك أن ميكا الذي تركت العربات الثلاث الفارغة في عهدته، أخذها الى قطاع من جوهانسبورغ يدعى سوفيا تاون احتشد فيه بنو قومه. وحين عاد ميكا ليخبر دتليف عن المكان الذي ذهب اليه، قرر هذا ان يرافقه ليرى كيف يعيش المزارعون السود.

وكانت سوفيا تاون ظهرت الى الوجود قبل عشرين سنة. وهي صممت أساساً كضاحية للبيض، لكن هؤلاء رفضوا بشدة الانتقال اليها بعد انشاء شبكة مجار قربها. وكانت الرحلة الى سوفياتاون، بالنسبة الى دتليف، اشبه برحلة الى الجحيم. فلم يكن في البلدة شوارع ومياه جارية، وكان عدد المنازل الصالحة قليلا جداً. وكان سكان البلدة خليطاً من البغايا وقطاع الطرق الاحداث والامهات المحتشمات اللواتي يحاولن حماية منازلهن في وجه الكوارث الطبيعية فيما ازواجهن يعملون بين عشر ساعات و١٢ ساعة يومياً ليحصل الواحد منهم على اجر بخس لا يتجاوز العشرين بنساً.

ونظر دتليف الى سوفياتاون فرآها بمثابة قرح كالح خبيث يهدد بالانتشار الى الجزء الابيض النظيف من المدينة،ممتداً في جسد المجموعةالافريقانية. وصعق حين عرف انه في امكان السود امتلاكالارض هناك، مما يعني انهم يستطيعون الاستقرار في المنطقة اذا شاؤوا.وقال في نفسه: "انه دمل مستور يجب أن يُفقأ".

وغادر دتليف سوفياتاون مدركاً ان السود كانوا متعطشين الى رفع شأنهم، وأن ذلك لا يتم الا على حساب الافريقانيين البيض. ووجد ان تروكسل وسواه من عمال المناجم البيض على استعداد للتعبير عن قضيتهم بقوة، وهي تقول بتفوق الانسان الابيض: "لقد شئنا أن تكون هذه الامة بيضاء يديرها البيض، لا سوداء يديرها السود".

ولم يستطع دتليف ان يصور لنفسه أن تلك الحشود السوداء في سوفياتاون قادرة على ادارة اي شيء. وحين أعلن اصحاب المناجم العتاة قوانين جديدة من شأنها طرد ٢٠٠٠ موظف ابيض من عملهم، عرف دتليف ان الامر لن يمرّ من غير اضراب.

وأدى ذلك التدبير الى معركة اعظم من انتفاضة ١٩١٤ المؤيدة للالمان وقف فيها العمال البيض يحاربون من أجل البقاء وأصحاب العمل يحاربون من أجل وضع ايديهم على الشؤون المالية، بينما وقفت الحكومة، بقيادة جان كريستيان سماتس، تحارب من أجل استمرار النظام الاجتماعي.

تلك كانت معركة حقيقية. وفي أحد المنعطفات شاهد دتليف ١٦ مدنياً وقد حصدهم مدفع رشاش. ونسف مبنى حكومي وقتل ١٤ جندياً. وفي يوم رهيب حلق تشكيل من الطائرات فوق المدينة والقى قنابل على العمال المحتشدين.

وبلغ عدد الوفيات ٥٠، ثم ١٠٠، ثم ١٥٣، فيما كان الطعام يتناقص والمباني تحرق عمداً. وسرت أخبار عن قطع المياه، وكان الاطفال في

١٢٥ مليونًا

العبها واربح معها

أضخم يانصيب
من نوعه في اوروبا
يفتح أمامك
فرصة ذهبية للربح!

قبل اليوم لم يكن لديك حظ كبير لربح مليون، لكن هذا اليانصيب يفتح امامك أبواب الحظ:

- عدد البطاقات المبيعة ٤٠٠ الف فقط.
- من هذه البطاقات، هناك ٢٠٠٤٨٥ بطاقة رابحة حتما.
- كل بطاقة ثانية تشتريها تحمل معها جائزة.
- الربح الاجمالي هو ١٢٥،١٣ مليون مارك الماني.
- هناك خمس جوائز كبرى تبلغ قيمة كل منها مليون مارك.
- هناك جائزة "سوبر" تبلغ قيمتها مليونا ونصف مليون مارك.

اليانصيب الالماني "كلاس لوتيري" أسس قبل ٣٥٠ سنة.

ولاكثر من ثلاثين سنة، جعل من أمثالك اصحاب ملايين، ويزداد عدد الرابحين سنة بعد سنة.

هذا اليانصيب يختلف عن سواه من حيث ان ريعه يعود ليس الى المشاريع العامة والخيرية، بل الى المشتركين انفسهم، وغني عن القول ان المارك الالماني هو من أقوى العملات العالمية رسوخا.

الرجاء اضافة المبلغ المذكور ادناه لتغطية نفقات البريد، والاجور المصرفية

الضمـــان

ان دفع هذه المبالغ مضمون في الدورة الواحدة (نصف عام)

الجوائز		المجموع
١ × ١٠٥ مليون	=	١٥٠٠٠٠٠ مارك
٥ × ١ مليون	=	٥٠٠٠٠٠٠ مارك
٨ × ١/٢مليون	=	٤٠٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ١/٤ مليون	=	٣٠٠٠٠٠٠ مارك
٦ × ١٠٠٠٠٠مارك	=	٦٠٠٠٠٠ مارك
١٤ × ٨٠٠٠٠م	=	١١٢٠٠٠٠ مارك
١٨ × ٥٠٠٠٠م	=	٩٠٠٠٠٠ مارك
٢٢ × ٤٠٠٠٠م	=	٨٨٠٠٠٠ مارك
٢٦ × ٣٠٠٠٠م	=	٧٨٠٠٠٠ مارك
٣٠ × ٢٠٠٠٠م	=	٦٠٠٠٠٠ مارك
٣٠٢ × ١٠٠٠٠م	=	٣٠٢٠٠٠٠ مارك
٤٤٠ × ٥٠٠٠م	=	٢٢٠٠٠٠٠ مارك
١٦٨٠ × ٢٠٠٠م	=	٣٣٦٠٠٠٠ مارك
١٣١٢٠ × ١٠٠٠	=	١٣١٢٠٠٠٠ مارك
١٨٤٨٠٠ × حتى ٨٠٠م	=	٨٥٠٤٠٠٠٠ مارك
٢٠٠٤٨٥ جائزة مجموعها		١٢٥١٣٠٠٠٠ مارك

الجوائز كلها تدفع نقدا، وهي معفاة من الضرائب الالمانية، لكن الشركة، في الوقت نفسه، تحظى بدعم الحكومة التام، وهذا حافز قوي على شرائك بطاقة او اكثر.

"كلاس لوتيري" مؤسسة غير خاصة، وهي تبيع بطاقاتها عن طريق مكاتب مرخّص لها حكوميا، ويجري السحب علنا وقانونيا.

مكتب لبيع أوراق اليانصيب ذو رخصة حكومية

Rüsterstraße 24, Postfach 11 90 20
D-6000 Frankfurt/Main (W-Germany)
Telex 04 189 125 daw

كيف تشترك في هذا اليانصيب؟

هناك سحوبات عدة على البطاقات نفسها تجري خلال نصف سنة، بمعدل سحب واحد كل يوم سبت ويتم ارسال النتائج بالبريد لكل حامل بطاقة، مرفقة بمعلومات وافية وجلية، تمشيا مع تقاليدنا في المعاملة.

ويمكن ان يأخذ الشاري بطاقة كاملة او نصف بطاقة او ربع بطاقة، فيكون نصيبه في الربح جائزة كاملة أو نصف جائزة او ربع جائزة، وتتساوى جميع الارقام في الحظ.

يانصيب في متناول الجميع!
بسيط مثل لعبة أطفال!

- يمكنك طلب بطاقة بملء القسيمة في اسفل الصفحة، او بكتابة رسالة الينا من غير قسيمة، محددا فيها طلبك.
- عليك أن ترفق الطلب بالمبلغ المحدد، على أن يكون حوالة مصرفية أو بريدية أو شيكا خاصا او حوالة مسافر أو حتى نقدا، وفي الحال الاخيرة، يفضّل ايداع الرسالة البريد المضمون.
- في المقابل ستستلم بطاقتك مع المعلومات المرافقة.
- كذلك ستستلم لائحة دورية بالارقام الرابحة.

في حال الربح!

- سيجري ابلاغك فورا برسالة شخصية.
- يتم دفع الجوائز بأسرع طريقة ممكنة وطبقا لتعليماتك.

الجوائز معفاة من الضرائب الالمانية، وتلتزم الشركة الكتمان التام في شأن أسماء المشتركين والرابحين، فهذا من حق صاحب العلاقة وحده.

خدمة حول العالم
اذا كنت تحمل بطاقة قبل قراءة هذا الاعلان، فلا ترسل طلبا جديدا لاننا سنراسلك كالعادة، والرجاء، في هذه الحال، أن تحيط أصدقاءك علما بشركتنا، أوأن تريهم هذا الاعلان وتقطع لهم القسيمة المرفقة.

لا تنتظر - اطلب بطاقتك الان!
عدد البطاقات الاجمالي محدود، والافضل ان تحجز بطاقتك فورا.

نعم! لقد وافقت على أن ألعب لعبة الـ١٢٥ مليونا.

	مارك الماني	دولار اميركي	جنيه استرليني
☐ بطاقة كاملة	٦٠٠	٣٥٣	١٦٠
☐ نصف بطاقة	٣٠٠	١٧٧	٨٠
☐ ربع بطاقة	١٥٠	٨٩	٤٠
☐ بطاقة الحظ السعيد	٦٠٠	٣٥٢	١٦٠

(أربعة أرباع ذات ارقام مختلفة)

الرجاء اضافة المبلغ المذكور ادناه لتغطية نفقات البريد والخدمات المصرفية وما اليها:
٢٤ ماركا او ١٤ دولارا او ٧ جنيهات استرلينية.

اذا تم الدفع بغير الدولار الامريكي أو المارك الالماني او الجنيه الاسترليني، فستعتمد قيمة العملة المحوّلة يوم تسلّم الرسالة، المبالغ المحددة تشمل ثمن البطاقة خلال سحوبات دورة كاملة، أي نصف سنة، والمبلغ الاضافي يشمل جميع المصاريف الاخرى طوال هذه الفترة.

جميع الحوالات توجّه باسم: W. GREGOR, Postfach 11 90 20, D-6000 Frankfurt/M.

☐ طيّه حوالة بقيمة مارك الماني/ دولار امريكي/ جنيه استرليني.
☐ سأدفع المبلغ فور استلامي البطاقة (أو البطاقات) التي طلبتها.

الرجاء ارسال المعلومات المتعلقة بهذا اليانصيب باحدى هذه اللغات الى العنوان الآتي:

Mr./Mrs./Miss

Street address (or P.O.Box-No.) City (Postal code No.)

Country

الرجاء الكتابة بالاحرف الكبيرة أو الطباعة على الآلة.

الشوارع يسقطون بالرصاص الطائش.
وسأل دتليف: "لماذا يقتل الافريقانيون بعضهم بعضاً؟" وأجاب تروكسل مدمدماً: "لأن الافريقانيين شاؤوا أن تبقى هذه الامة بيضاء".
كان تروكسل رجلا باسلا. وحين انذر الجنرال سماتس الاهالي بأنه سيقصف فوردسبورغ، رفض تروكسل اجلاء عائلته. وتمتم قائلا: "الرصاص ليس بشيء". ولكن حين بدأت شظايا المدافع تنهمر كي تدك الحصون، أخذ تروكسل يرتجف. وراح دتليف يهدىء من روع اطفاله من غير ان يصدق ان الحكومة كانت تفعل ذلك. وجعله استمرار القصف يقول في نفسه: "هذا هو الجنون. يجب ان تكون هناك طريق أكثر تعقّلا".

الأُخُوّة

عام ١٩٢٣، انضم دتليف الى ال"برويدربوند" (الاخوة)، وهو تنظيم سري يهدف الى تحقيق تفوق الشعب الافريقاني. وبعد ثلاث سنوات من العمل الدؤوب، أراحه ان يرى أن جميع المدرسين في قطاع واسع من البلاد اصبحوا من الافريقانيين. وعين مئة موظف جديد في مصلحة السكك الحديد كانوا كلهم افريقانيين. وقدم بيت كراوس اقتراحاً أمام اجتماع شامل لمنظمة "برويدربوند" في بريتوريا يدعو الى انتهاج سياسة للسيطرة الافريقانية على جميع مرافق البلاد الرئيسية.
ومما جاء في تقرير كراوس: "دعوا الانكليز يتسلمون المراكز الامامية الكبيرة، وسنأخذ نحن الوظائف غير المنظورة وغير الجذابة وذات الرواتب الضئيلة". ومن عناصر هذه الخطة الرئيسية اكثار المراكز الادارية الصغيرة: "حيث تكون حاجة الى رجل واحد، دعونا نعين ثلاثة. وسواء أكانت هناك حاجة الى موظف او لم تكن، فلنخلق وظائف اكثر ونضع بين شروط التوظيف العبارة الآتية: "على المرشح أن يعرف لغتين". وهكذا نطوقهم بجماعتنا الى حد الاختناق".

وبانتهاء الثلاثينات، بات موقف كراوس السياسي اكثر تطرفاً. وبعد رحلة الى المانيا صرح بتبني سياسة هتلر العنصرية. وعلى رغم أن جنوب افريقيا صوتت على نحو محدود للانضمام الى الحلفاء، الا أن كروس لجأ الى العنف والارهاب خفية عن الشرطة، ونظم فرقاً ارهابية شنت هجمات سرية على الجيش ومنشآته ومخيمات التدريب. وهوجم الموالون للحلفاء وقتل بعضهم، ولا سيما الشباب الافريقانيين الذين عدوا خونة. وعلى رغم صيحات التحذير وعدم الرضا التي اطلقها القس برونغيرزما، فان كراوس استمر في اعماله وقتل في احدى المعارك. وقد بقيت يوانا كراوس، شقيقة دتليف، تعين زوجها حتى النهاية.

من ناحية أخرى، كانت ماريا ستين فان دورن ترى، ككثيرات من بنات قومها، استحالة قيام مصالحة مع الانكليز. لقد اهلك افراد عائلتها في مخيمات الاعتقال وقتل والدها بتهمة الخيانة. غير أنها لم تشجع دتليف على الاشتراك في النزاع المحلي. وكانت صلواتها موجهة ليس من أجل انتصار الالمان بل من أجل انكسار الانكليز، متمنية أن يصاب جان كريستيان سماتس بسوء بالغ.

ووقف آل نكسومالو مرتبكين. ولم يتغير رد فعلهم كثيراً عما كان خلال حرب البوير. وأذهلهم أن يكون سكان جنوب افريقيا البيض لجأوا الى العنف بعضهم ضد بعض دونما اكتراث الى ان غالبية الناس المعنيين هم من السود. لكنهم وقفوا موقف استسلام بالنسبة الى النتيجة، يعبر عنه قول ميكا العجوز في نهاية حياته الطويلة: "أيا يكن الرابح، فنحن خاسرون".

وفي العام ١٩٤٦، حين عاد دتليف وماريا مزارعين هانئين في فريمير، منحت الـ"برويدربوند" دتليف وظيفة في لجنة الشؤون العنصرية. وكانت اللجنة آنذاك منظمة تافهة الى حد" أن" دتليف تسلم منصبه من غير ان يشار الى ذلك في اي صحيفة.

وبعد سنتين أخفق جان كريستيان سماتس في الانتخابات، بينما حقق الرجال الذين اعتقلوا خلال الحرب لتأييدهم هتلر نجاحاً باهراً. واستقل دتليف وماريا القطار الى كيب تاون حيث قررا مباشرة العمل الشاق، الى جانب اكثرية في مجلس النواب، من أجل اعادة تنظيم البلاد.

وكان اول ما فعله دتليف تنغيص حياة الموظف الذي يعلوه رتبة، وهو أمين عام لجنة الشؤون العنصرية، الى حد حمله على الاستقالة. وبعد بضعة أسابيع استقال الموظف الانكليزي، وكان ذلك بداية للنزف الذي طهرت بعده دوائر الدولة حتى غدت افريقانية برجالها وعقليتها.

وبتولي دتليف ذلك المنصب، اصبحت اللجنة على استعداد لتطويع جميع عناصر المجتمع بالقوة. وكان على فان دورن وضع الخطوط الاولية لتلك الخطة ومن ثم تحويلها الى مبادىء عملية ثابتة. وعمل بلا كلل في هذا النطاق. وكان باذىء الامر موظفاً مغموراً. ولكن ما ان ظهرت انجازاته حتى غدا بطلا قومياً مرموقاً في مجال حماية شعبه.

وعلى غرار جماعة "المتطهرين" المتزمتين اينما وجدوا، بدأ دتليف عمله الاصلاحي في نطاق الجنس. وجاء مبدأه الاول بسيطاً: "لا يحق لاي شخص ابيض، ذكراً كان ام انثى وبغض النظر عن مركزه، الزواج بشخص غير أبيض". واذا حاول أن يفعل ذلك القي في السجن. واذا تزوج فعلا على هذا النحو عد زواجه باطلا.

وانطلق دتليف من هذا المبدأ الى احياء قانون قديم ينص على اعتبار العلاقات الجنسية بين شخصين من اي لونين مختلفين جريمة. وانتقل بعد ذلك الى اشتراع قوانين تحظر الاختلاط بين البيض وغير البيض في الامكنة العامة مثل المراحيض والمطاعم والحافلات وسيارات الاجرةوالمصاعد ومكاتب البريد وارصفة المحطات وحتى مقاعد الحدائق العامة. وطلب ذكر اسماء الفئات التي يمكنها استعمال كل من هذه المنافع. وانتشرت في البلاد لوحات وعلامات تقول: "للبيض فقط".

وأعان دتليف انصاره في مجلس النواب على المصادقة على قانون يمكن الحكومة من تقسيم البلاد، وخصوصاً كل مدينة بمفردها، قطاعات يخصص كل منها لفئة. واقتضى الامر اجلاء السكان غير البيض عن الاوساط الصناعية وقصرها

على البيض، ومنها مساحات كبيرة في كيب تاون كان يحتلها الملونون الذين اجبروا على النزوح الى قطع ارض خصصت للبناء في منطقة كيب فلاتس المعرضة للريح. وقرر حصر البانتو في أماكن واسعة خارج حدود المدن المخصصة للبيض، شرط أن يكون بقاؤهم هناك مرتبطاً بالخدمات التي يقدمونها الى البيض.

وكان هناك عدد كبير من النواب، خصوصاً بين صفوف المعارضة، لم يدروا بوجود دتليف لانه لم يظهر قط في الواجهة. لكن الضغوط الدائمة واحتفاظه بوظيفته في حين فقد الآخرون وظائفهم جعلته يكسب، مع الوقت، نفوذاً أقوى مما يسمح به مركزه.

انتفاضات

في العام ١٩٥١ توصل دتليف الى حل" للعقدة المزعجة التي كانت تلازم الملونين. فهم لم يكونوا ينتمون الى عرق واحد: الابيض او الاسود او الملايي او الهندي او الهوتنتوتي، ولا الى دين واحد. فبعضهم كان مسلماً. ولم تكن لهم ارض خاصة، بل عاشوا في كل مكان. ولذا كانوا غير محددين فلا يجوز تجاهلهم.

وقالت يوانا: "انهم هجناء (آباؤهم وامهاتهم من اعراق مختلفة). واتمنى أن يكون في وسعنا تطهير البلاد منهم كما طهرناها من الصينيين".

ووافق دتليف قائلا: "انهم حقاً اولاد الخطيئة. وهم يشكلون عثرة بالنسبة الى الذين يخافون الله، ويذكروننا بتجاوزات آبائنا".

وعلقت ماريا: "ليس بخطايا آبائنا... فالذين توقفوا هنا كانوا بحارة نزلوا من سفنهم".

وردد دتليف: "أجل، انهم البحارة". وعقد العزم على أن يفعل شيئاً وهو يفكر في تلك اللطخة على جبين امته.

حين اسست بريطانيا الاتحاد عام ١٩١٠، ضمنت الدستور مادتين مهمتين لا يمكن تعديلهما الا بموافقة ثلثي الاعضاء في مجلسي النواب: المادة ١٣٧ أعلنت اللغتين الانكليزية والهولندية (الافريقانية لاحقاً) لغتين رسميتين متساويتين من حيث المرتبة، والمادة ٣٥ منحت الملونين حقاً دائماً في التصويت في مقاطعة الكيب.

وعلى رغم القانون المقيت الذي يحرم الملونين حق ترشيح انفسهم للانتخابات النيابية، الا انهم كانوا يصوتون الى جانب البيض. وفي العام ١٩٤٨، انصبت اصواتهم، وعددها خمسون الفاً، تأييداً لحزب سماتس. وفي سبع دورات حاسمة، شكلت اصواتهم هزيمة للمعارضة. لقد اصبحوا قوة متعاظمة، وبات ضرورياً حرمانهم حق التصويت.

وكانت تلك الخطوة شاقة، اذ لا اجماع عليها، وشغلت اهتمام دتليف طوال خمس سنوات. واصدر مشروع قانون لتجريد الملونين من حقوقهم. واخفقت المحاولة الاولى لتحويله الى قانون بعدما رفضته المحكمة العليا بحجة انه غير دستوري. عندئذ لجأ دتليف الى وسائل اخرى. وفي العام ١٩٥٦، بعد احداث مقاعد جديدة في مجلس الشيوخ ومضاعفة عدد اعضاء المحكمة العليا، اقر ذلك القانون.

ولم يكن غريباً ان تظهر بوادر

استنكار لتلك التدابير. وفي العام ١٩٦٠ اصبحت البلاد على وشك الانقسام حين اطلق رجال الشرطة وابلا من الرصاص على شاربنفيل، وهي مدينة يسكنها السود بالقرب من نهر فال.

وتضخمت حملة الاحتجاج التي قادها السود ضد القوانين المقيدة لحريتهم، كما ازداد القمع من جانب البيض. ووضع البرت لوثولي - الذي منح جائزة نوبل للسلام بعيد ذلك - خمس سنوات في الاقامة الجبرية داخل مقاطعته. وانقض رجال الشرطة بهراواتهم على النساء السود اللواتي كنّ يمشين في تظاهرات احتجاج. وفي ترانسكي وناتال، اسفرت الانتفاضات الشعبية عن عشرات القتلى والجرحى.

وفي مدينة شاربفيل قرر السود التعبير عن احتجاجهم بطريقة مسالمة،وهي اعادة الهويات التي تذكر عرقهم، وتسليم انفسهم للاعتقال، لانهم اعتبروا ذكر العرق على الهوية أمراً مهينا داخلبلادهم. وتجمع ١٥ الفاً منهم أمام دائرة الشرطة. فما كان من رجال الشرطة الا ان اطلقوا النار بغزارة من غير انذار، واوقعوا ٦٧ قتيلا واكثر من ١٨٠ جريحاً في صفوف المتظاهرين، وبينهم رجال ونساء واولاد.

وعندما أعلم دتليف بما حصل، قال: "لم يكن بدّ من ذلك. أننا نعمل لمصلحة البلاد، وهم يرفضون التعاون".

وفي العام نفسه اطلقت النار على رأس هندريك فيرفويرد، رئيس الوزراء، من مسدس يحمله شخص مسعور اقلقته التغيرات التي طرأت على الحياة القومية. لكن فيرفويرد نجا بأعجوبة. وفي اكتوبر (تشرين الاول) أجري استفتاء خول الحكومة فك جميع الارتباطات بالتاج الانكليزي واعلان البلاد جمهورية.

وبعد خمس سنوات تلقى فيرفويرد طعنة قاتلة من مجرم خلاسي (نصف اسود ونصف ابيض) دنا منه في زي خادم.

وقال دتليف لزوجته: "ما يجب فعله هو اصدار قوانين اشد وفرضها بطريقة افضل".

موت حي

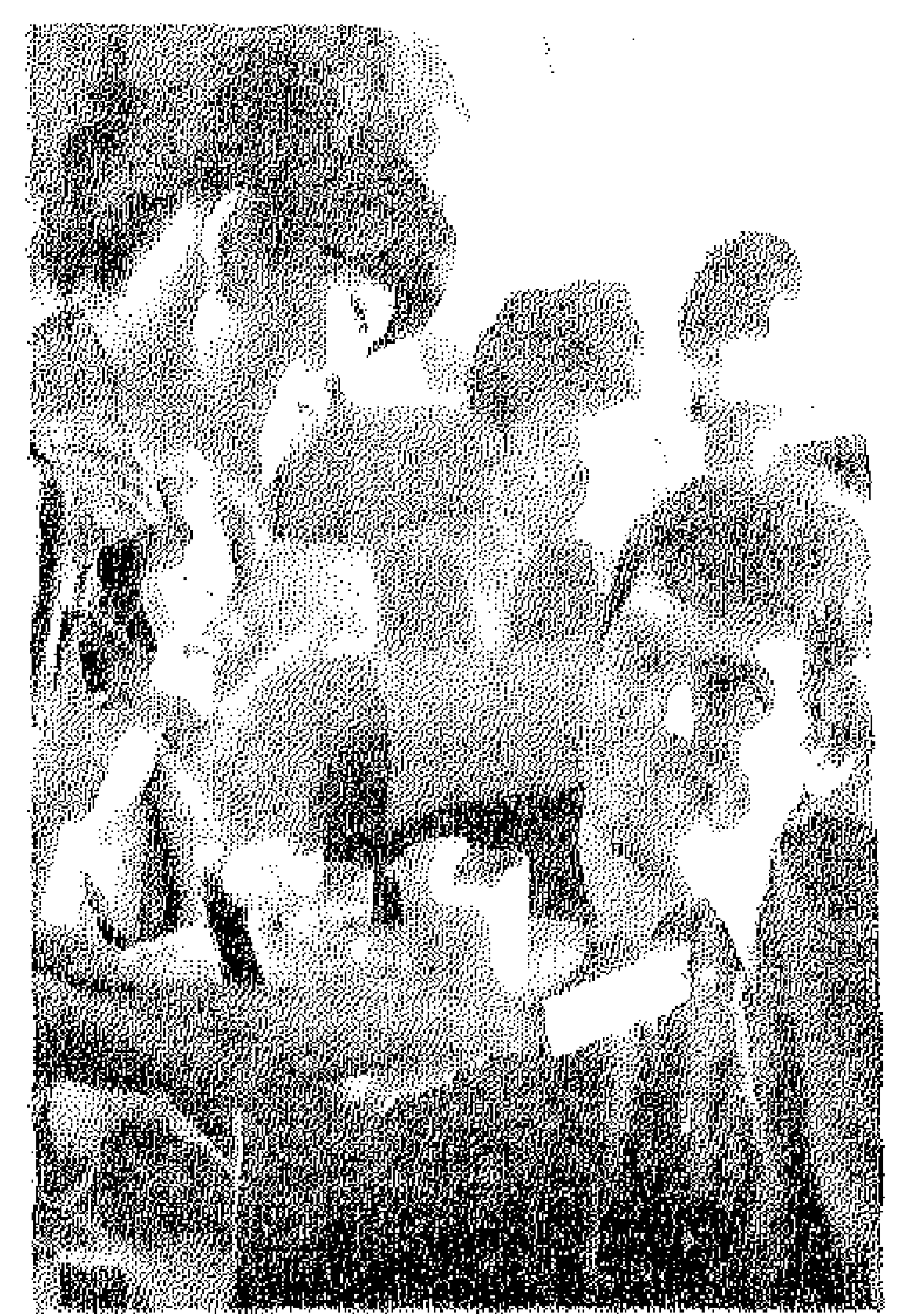
ان ذاك النسيج الذي صاغه دتليف فان دورن من تقاليد قديمة وقوانين جديدة اصبح يعرف باسم "التمييز العنصري". ولنعرض احداثاً يومية من حياة المواطنين العاديين يبرز فيها أثر هذه السياسة.

في فنلو نشأت مدرسة بنات ذات سمعة حسنة في تخريج فتيات متفوقات في اللغة الافريقانية وفي الدراسة الجامعية اللاحقة. وكان رئيس المدرسة رولف ستيرك يفخر، على نحو خاص، بفتاتين هما بترا البرتين (٩ سنوات) ومينا فان فالك (١٠ سنين).

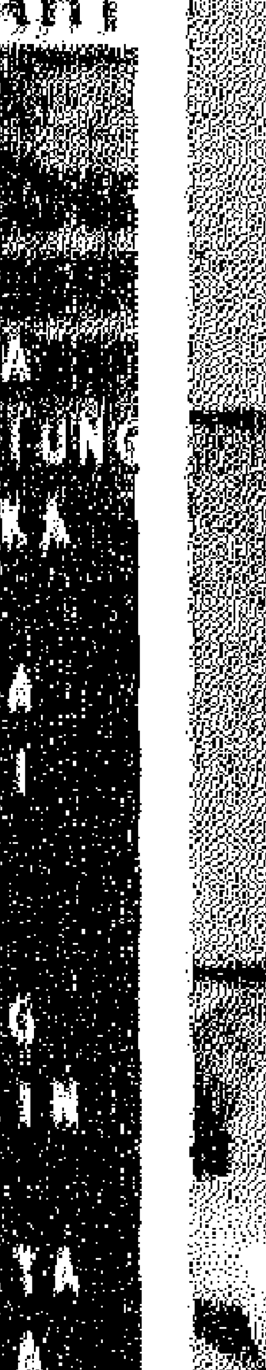
وانطلقت المشكلة من صف الحساب. فقد تمتعت الطفلة بترا بقدرة خارقة في ذلك الموضوع ونالت فيه أعلى العلامات، متفوقة على رفيقتها مينا. لكن هذا لم يزعج مينا التي قالت لامها: "اني لا أحبّ الارقام في اي حال، ولم احقق نجاحاً في ذلك النطاق".

الا أن السيدة فان فالك لم ترض بذلك، وارادت ان ترى الطفلة التي

كاثي باسفيك
أكثر كما تريدنا أن نكون.






ان ما تريده من أى شركة طيران هو العناية. إنك تريدهم أن يصلوا بك إلى حيثما تريد وفي الوقت المحدد من دون ازعاج. انك تريد خدمة دافئة جذابة، وجيدة لتجعل رحلتك أكثر راحة ورفاهية.

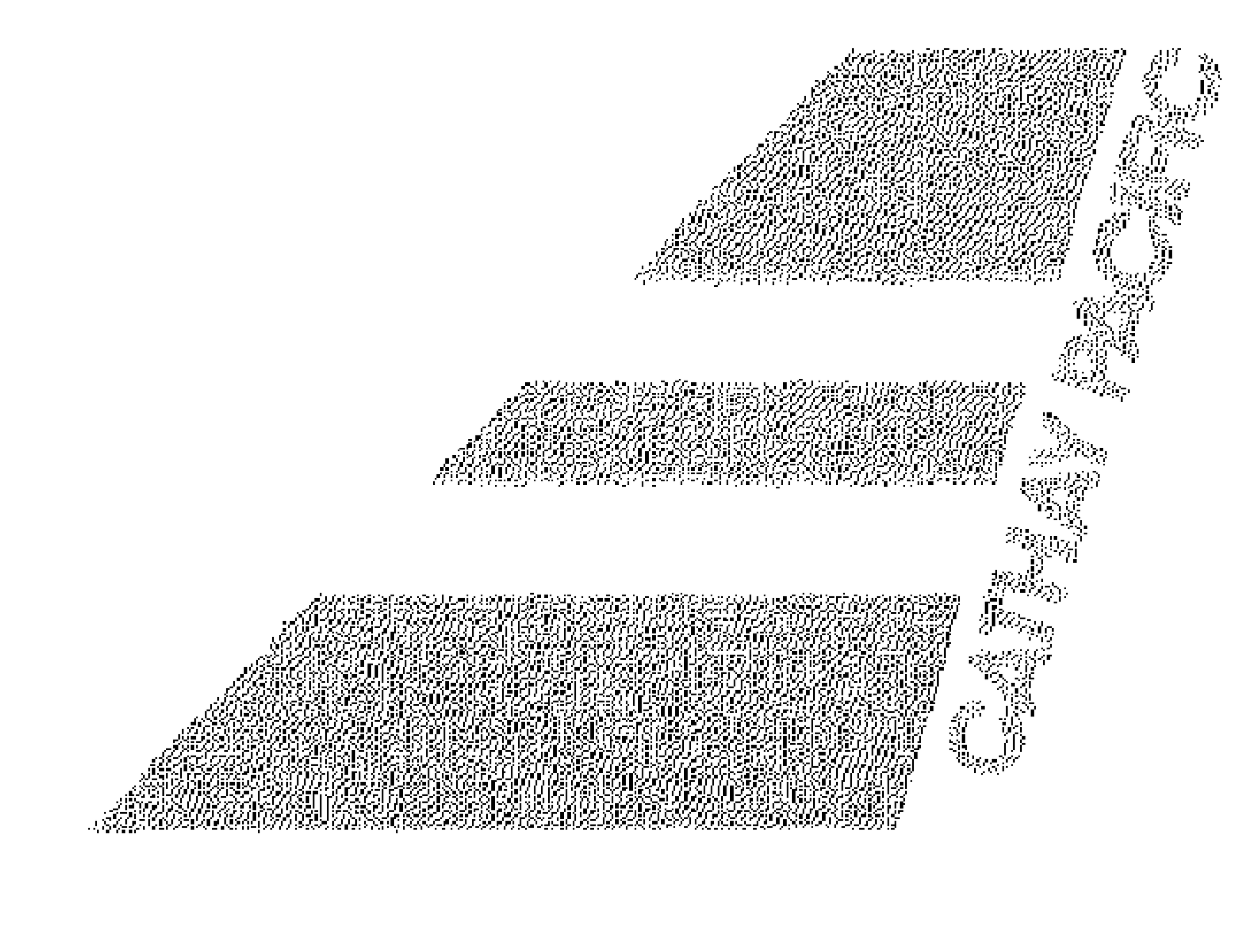
اننا في كاثي باسفيك نعدك بكل ذلك واكثر! فمنذ الآن نأخذك كل يوم من البحرين إلى هونغ كونغ.

أربع رحلات منها عبر بانكوك. ومن هونغ كونغ مباشرة إلى سيول، مانيلا، اليابان، وكل مدن آسيا.

ستجد بأننا كلما كبرنا، كلما أضفنا ميزات لك للسافر معنا.



البحرين ٢٥٨٨٥٠ ، الخبر ٨٦٤٢٧٢٧ ، جدة ٤٦١٢٢٥ ، الرياض ٤٦٤٥٦٦١
الكويت ٤٣٢١٠٦ ، الدوحة ٣٢٨٤٥٠ ، ابوظبي ٣٢٣٢١٠ ، دبي ٢٢٤١٥٦ ، مسقط ٧٠٢٩٥٧
بيروت ٣٦١١٢٠ ، دمشق ٢٢٨١٥٥ ، عمان ٢٤٣٦٣ ، القاهرة ٧٤٣٣٢٦



تفوقت على ابنتها. ووافق الدكتور ستيرك على ذلك. وفي ما بعد، حين قدم شهادته أمام مجلس التصنيف العنصري، قال: "ما ان شاهدت السيدة فان فالك التلميذة بترا البرتين حتى ارتخى فكها وتجمدت اوصالها. ولاحظت ذلك التصرف الغريب لدى حدوثه، غير أني لم ادرك له سبباً".

ولم تتفوه السيدة فان فالك بكلمة، بل اكتفت بالتحديق الى بترا، ثم غادرت المدرسة مسرعة الى زوجها، وقالت له: "يا ليوبولد، هناك فتاة ملونة في مدرسة مينا".

ولم ينم فان فالكوزوجته معظم تلك الليلة بل سهرا يبحثان الخطوة الواجب اتخاذها. فالمساواة بين طفل ملون وطفل أبيض مسألة خطرة تعارض الاخلاق والقوانين.

وقررا وضع المسألة على عاتق ستيرك لما عرفاه عنه من جدارة وعناد في الدفاع عن الحقوق الافريقانية.

وان شكوى من هذا النوع في جنوب افريقيا تختلف عن شكوى في المجر تقول: "أظن ان لازلو روماني"، او أخرى في غرب انكلترا تقول: "اذا محصتم الامر لوجدتم ان ماسترسون ايرلندي فعلا". ففي البلدان الطبيعية لا تعدو هذه الاقاويل كونها احكاماً اجتماعية. لكنها، في جنوب افريقيا، تقرر الحياة، وأحياناً الموت.

وتحركت ادارة المدرسة على مضض وقامت باستجوابات لم تسفر عن نتيجة، فيما ارتأى ستيرك ان يسحب آل البرتين ابنتهم بترا ارادياً من المدرسة تفادياً للمشاكل. لكن عائلة البرتين رفضت ذلك الاقتراح.

واعلمت عائلة فان فالك بالامر، فرفعت دعويين تشرحان القضية بالتفصيل، ووجهتهما الى مدير دائرة النفوس في بريتوريا.

وحين التأم مجلس التصنيف العنصري، في احدى محكمتي فنلو، امضى الايام الاولى مستمعاً الى كل من أراد الادلاء بشهادته. وكان الهدف معرفة ما اذا كان أصدقاء عائلة البرتين وسواهم يصنفون العائلة في عداد البيض. واجمعت الشهادات على أن الامر هو كذلك.

غير أن الشهادة الحاسمة جاءت في اليوم الثالث حين حمل السيد البرتين وزوجته واثنان من اولاده الكبار في سيارة لاستجوابهم أمام ثلاثة من أعضاء المحكمة. ولم تكن بترا معهم. ووجهت اليهم الاسئلة الآتية: من هم اجدادكم؟ هل لديكم أصدقاء ملونون؟ اتقتصر كنيستكم على البيض؟

ودام الاستجواب ثلاث ساعات، فهم على اثرها أن عائلة البرتين، كأي عائلة أخرى في جنوب افريقيا، يطغى عليها النسب الهولندي، مع عنصر الماني قوي، وربما هوغونوتي (بروتستانتي فرنسي)، يرقى الى زمن بعيد. والمرجح انه لا يخالطهم عنصر ملايي او هوتنتوتي أو بانتي.

بعد ذلك باشر اعضاء اللجنة الكشف عن اجسام افراد عائلة البرتين. وكان لكل عضو - رجلا كان ام امرأة - طريقته في التحري عن الدم الملون استمدها من الخرافات المحلية. وعلمت السيدة فان فالك زوجها ان يبحث عن الادلة في النمش الجلدي وشحمة الاذن، قائلة له: "النمش يظهر على البيض، لا على الملونين".

وبعد معاينة آل البرتين، وجد السيدة البرتين وواحداً من ابنائها خاليين من النمش، بينما وجد نمشاً وافراً في جلد السيد البرتين والابن الآخر. وقال فان فالك: "الآن يأتي دور الآذان". وأعلن أمام جميع من في القاعة: "في الاذن البيضاء هناك فجوة، أما الاذن الملونة فلا فجوة فيها". وفي هذه الحال ايضاً، قسم آل البرتين نصفين معاكسين للقسمة الاولى.

لكن رئيس اللجنة، دتليف فان دورن، لم يكن يثق الا بالدليل الذي يقدمه الشعر. وطلب قلما وقال للحاضرين: "يُحْمَل القلم ويُلَفّ به الشعر الذي يأتي فوق الاذن مباشرة. فاذا كان الشخص ابيض، انحلّ شعره فور سحب القلم. لكن شعر السود، كما تعلمون، يبقى جعداً".

وحان الوقت لفحص الفتاة الصغيرة نفسها. واقتيدت بترا الى المحققين الثلاثة الذين راحوا يتفحصون يديها بدقة. فلم يعثروا فيهما على نمش، ويدققون في شكل الاهلة التي في اظافرها ويختبرون شعرها.

وقال لها السيد فان فالك: "امشي يا بترا الى آخر القاعة ثم عودي". وفعلت، فاتضح له أنها تمشي مشية الملونين.

وخاطبها السيد فان فالك بلهجة استرضاء: "الآن نأتي الى الامتحان الحاسم يا بترا". وطرح عليها السؤال الذي يعتقد بعضهم ان البرهان القاطع هو في الاجابة عنه: "اخلعي ملابسك".

ونزعت الصغيرة ملابسها بحياء، ولكن من غير ارتباك. وعندما شدت التنورة الى خصرها، لاحظ اعضاء اللجنة بوضوح المثلث الصغير في أسفل عمودها الفقري. وكان السيد فان فالك آكد لهم الآتي: "اذا كانت تلك النقطة سوداء، امكنكم أن تثقوا بأن دم البانتو يجري في عروقها". وبعد ذلك طُلب من آل البرتين الانصراف.

وقبل مباشرة التصويت، دخل محقق من وزارة الداخلية وسلم فان دورن، رئيس اللجنة، تقريراً وضع بناء على توصيته، وفرغ من اعداده حالا. وكان هذا المحقق، مع اربعة معاونين من بريتوريا، قضوا الاسابيع الثلاثة الاخيرة يمحصون تاريخ آل البرتين الذي خرجوا منه بنتيجة مذهلة. لقد تبين لهم أن العائلة تحمل دماً ملوناً في عروقها.

وكان في العام ١٦٩٤ ان بترونيلا فان دورن، وهي من اجداد دتليف، شوهت سمعة عائلتها لدى زواجها برجل ذي نسب ملايي - هوتنتوتي. وكان هذا النوع من الزواج معروفاً في تلك الايام الغابرة حين لم تكن نشأت بعد طبقة الاكابر من الناس، ولم تكن تحذيرات العهد القديم اتخذت شكل عقيدة اجتماعية متطرفة.

وافلحت اجيال فان دورن المتعاقبة في اخفاء تلك الفضيحة، علماً أن فرع دتليف لا يمت بنسب مباشر الى بترونيلا. وطوال الجيلين اللاحقين، لم تحمل ذرية بترونيلا وزوجها اسم عائلة، ثم اندمجت بالطبقة الدنيا متخذة اسماً آخر. وتزوجت احدى حفيدات بترونيلا شخصاً من آل البرتين، وكان لون جلدها فاتحاً مثلهم. وبذلك طمست سيرة بترونيلا، ولكن ليس نهائياً. فمنذ ١٦٩٤، العام الذي حصلت فيه الفضيحة، حفظ بعض المدافعين الغيورين على النقاء

العنصري سجلا عن ذرية بترونيلا المتعاقبة. وهكذا كشف امر آل البرتين.

وكانت النتيجة سريعة وقاسية. وعلى اثرها حرم آل البرتين البقاء في المكان الذي سكنوه طوال السنوات الاربعين الماضية. فهم ملونون، وعليهم الانتقال الى احد الامكنة المخصصة لجماعتهم. واذ لم يكن هناك مكان من هذا النوع في فنلو، فقد اقتلعوا عائلتهم وانتقلوا الى كيب تاون حيث تعيش اكثرية من الملونين.

ولم يجدوا من مأوى سوى اكواخ ذات ثلاث طبقات بنيت اصلا كمخيمات انتقالية للعسكر. وغدت تلك المساكن، بالعائلات المكتظة بين جدرانها المهلهلة، من مظاهر العار في جنوب افريقيا.

واستأنفت بترا دراستها في مؤسسة اكبر من الاولى، يشرف عليها رجال ونساء ملونون التزموا قضايا قومهم. وفي اجتماع ضم الاهل والمدرسين، أخذ رئيس المدرسة والد بترا جانباً وقال له: "لقد اخبرني المدرسون يا البرتين ان ابنتك بترا تكاد تكون في عداد العباقرة. فعليك ان تفكر جدياً في مستقبلها".

– وماذا يمكن ملوناً فعله في هذه البلاد؟

"يجب الا ينتهي افقك عند حدود هذه البلاد. ان ابنتي ذهبت الى كندا، وهي تقول ان الجامعات هناك خصصت منحاً مالية كثيرة لطلاب مثل

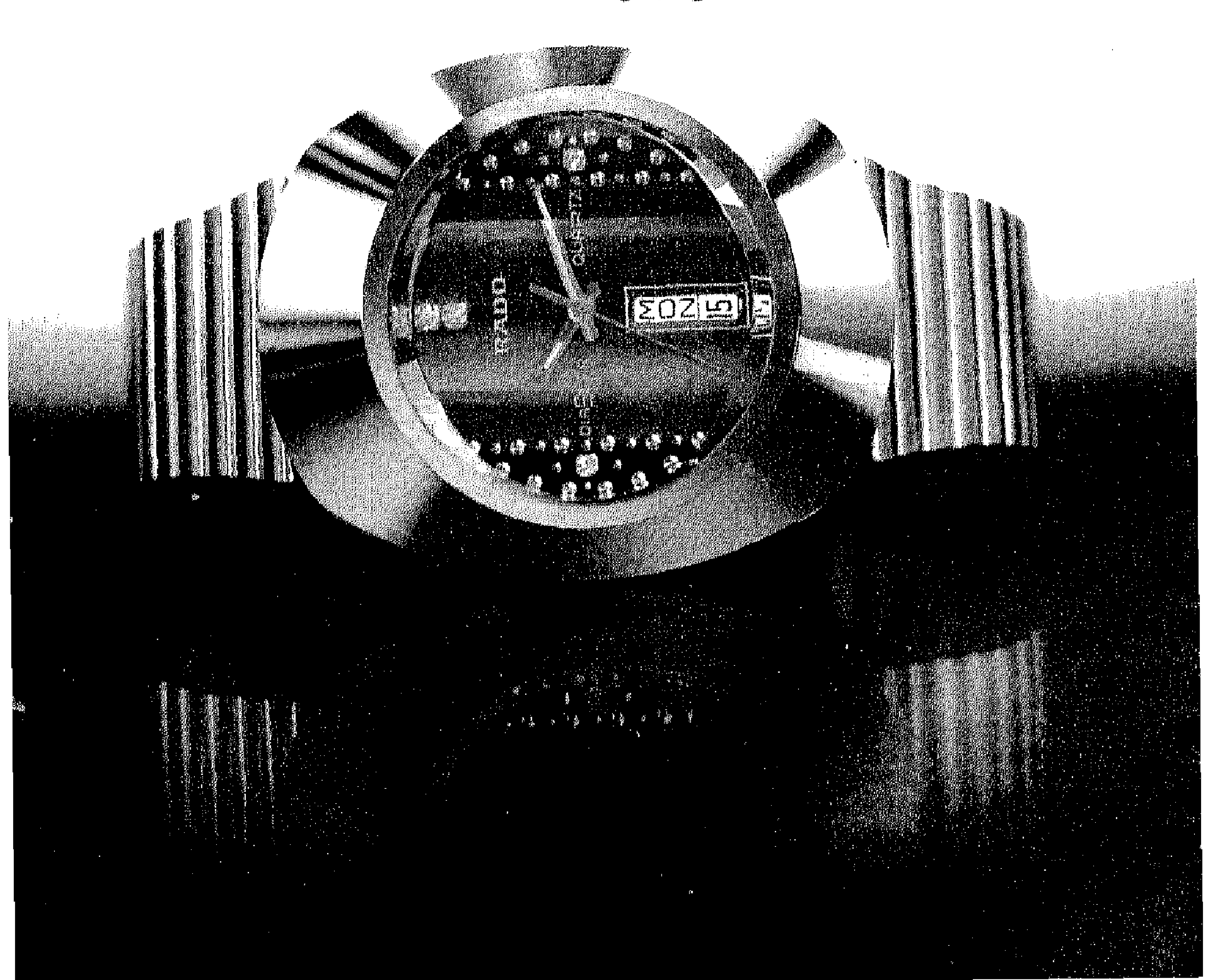


مقياس القيمة

مالكو ساعات رادو لا تهمهم تقليعات عابرة
أو عالم لا يقيم إعتبارًا للقيم . إنهم يبحثون عن قيم خالدة
- قيم لا تتأثر بالزمن - خاصة عندما يكون الزمن نفسه هو الموضوع .
لذا نجد مالكي رادو تربطهم بساعاتهم صلة خاصة فهم ملمّون بجميع
خصائصها . ويعلمون أن باستطاعتهم الاعتماد على رادو إعتماداً كلياً ،
اليوم ... وغداً . وهذه الثقة العمياء برادو قد بنيت
على أسس من الشعور المتبادل
بجمال أكيد ونوعية لا تضاهى .

RADO رادو

مقياس الأناقة . مقياس المتانة . مقياس الزمن



بترا. وهناك اماكن مماثلة في اوستراليا، وحتى في لندن".

وكانت تلك الافكار تتجاوز امكانات البرتين ومعرفته، لكنه ادرك ان عليه التمسك بها لأن رئيس المدرسة قال له: "ان ابقاء فتاة مثل بترا في هذه البلاد يعني الحكم عليها بالموت".

المنزل الموقت

كان بلوك نجيكا في الرابعة والخمسين حين ألقى سلسلة محاضرات في مبنى تشستون في جوهانسبورغ، لكنه بدا أكبر سناً. وكان في سني شبابه مارس أعمالا شاقة في مجال الصناعة أكسبته مهارات كثيرة من شأنها ايصاله الى مراكز متقدمة حرمه أياها لون بشرته الأسود.

وبعد تعرضه لحادث في مسبك للمعادن خلف عاهة في قدميه، أسعده جداً الحصول على وظيفة تقتضي توزيع الاوراق الرسمية باليد. وعلى رغم أن الراتب كان ضئيلا والتنقل بين البيت والعمل يستغرق وقتاً طويلا ومملا، الا أنه لم يجرؤ على الاستقالة. ذلك أنه كان يسمح للشخص الأسود بالبقاء في جوهانسبورغ والسكن في سوويتو اذا مارس وظيفة واحدة مدة عشر سنين. أما اذا استقال أو طرد من عمله فهو يخسر هذا الحق، كما يخسر منزله وحق الاقامة في جوهانسبورغ. من هنا كان الاسود كعبد من القرون الوسطى، مقيداً لا الى أرض بل الى مهنة. وهذا يعني أن في أمكان سيده أن يعطيه راتباً ضئيلا، من غير أن يتمتع بحق الاعتراض.

وذات يوم نزل بلوك عن الرصيف في شارع كوميشونر، حيث مرت شاحنة وقتلته. ولم تكن تلك الصدمة قاتلة بالضرورة. الا أن سيارة الاسعاف الاولى التي مرت من هناك كانت "للبيض فقط". وبقي بلوك ممدداً على الرصيف نصف ساعة قبل أن تصل سيارة اسعاف يمكنها نقله الى مستشفى. وما أن وصل الى قسم الطوارىء الخاص بغير البيض في أحد المستشفيات حتى أُعلن أنه توفي.

وفي اليوم الثالث بعد دفنه، استدعيت زوجته ميريام الى مكتب مدير شرطة سوويتو حيث كان منزل نجيكا. وهناك أخبرها المدير أنها لم تعد زوجة عامل تحق له الاقامة في سوويتو، بل أضحت، على حد التعبير الشائع، "زائدة من دون فائدة"، فخسرت بالتالي حق البقاء في جوهانسبورغ.

وقال لها المدير: "يمكنك البقاء هنا لجمع متاعك. وعليك، بعد ذلك، التوجه الى سوتغروند".

- اني لم أذهب قط الى ذلك المكان، وأجهل حتى موقعه.

"لكنك من الخوشا كما تشهد هويتك".

- لقد ولدت في بلومفونتين، ولم امكث في منطقة الخوشا او أذهب إليها.

"القانون يقول أنك الآن نزيلة موقتة...".

ولم يأت طرد ماريا نتيجة لسوء تصرف زوجها بماله. فقد قصد بلوك المدير وسأله اذا كان في وسعه شراء البيت الذي يسكنه. لكن القانون كان صريحاً هنا: "لا يحق لشخص غير

أبيض امتلاك أرض في سوويتو". وبما أنه لم يكن يحق لسكان جوهانسبورغ غير البيض العيش الا في سوويتو، لذلك لم يكن في استطاعتهم امتلاك منازلهم.

وبعد مرور بضعة أيام، اجتمع بعض النسوة مساء في مطبخ ميريام نجيكا لتعزيتها ووداعها. وخيم على الجمع جو من الرهبة لان النسوة عرفن أنه، في حال وفاة أزواجهن، عليهن الانتقال الى مكان بعيد مخصص للسود لم يسبق أن رأينه من قبل أو شعرن برابطة تجاهه... لكنه القانون.

وبعد أيام جاء مدير الشرطة ومعه شاحنة حكومية. ووضعت مقتنيات ميريام في الشاحنة ونقلت الى محطة السكة الحديد في جوهانسبورغ. وكانت الرحلة جنوباً متعبة في عربة الدرجة الثالثة المخصصة للسود والتي غصت بنساء من مدن مختلفة فقدن أزواجهن وأرسلن الى مواطن جديدة لم تبصرها عيونهن من قبل. كما كان في العربة شبان أخفقت أعمالهم في جوهانسبورغ.

وتوقف القطار عصر اليوم التالي في محطة صغيرة اسمها هيلاري سايدينغ في مقاطعة الكيب، حيث وزعت النساء على شاحنات. وأخيراً بلغن قرية مؤلفة من ٢٠٠ مسكن رديء أقيمت حديثاً على أرض متآكلة خالية من الشجر والعشب والحدائق. وكان هناك مخزن أضيء بمصابيح الكاز وبداية طريقين موحلتين. وتجمع المهجرون الذين حملوا الى هناك خلال السنتين الماضيتين ليسددوا نظرة ترحيب وعزاء الى الوافدين الجدد ويشجعوهم ما استطاعوا. وقال موظف حكومي للسيدة نجيكا: "ان نصيبك هو الرقم ٢٣٤". وأشار بيده الى احدى الطريقين الموحلتين وأضاف: "هناك تجدين لوحة تحمل الرقم".

وكانت اللوحة كل ما وجدته في ذلك المكان. فالرقم ٢٣٤ كان قطعة أرض خالية.

وقال لها الدليل: "هكذا بدأ الآخرون قبلك: حصلوا على حصصهم وباشروا العمل".

وكان لدى الحكومة خطة تقضي باستقدام ثلاثة ملايين و٨٠٠ ألف نسمة الى ذلك المكان. وهي نسبة واحد الى ستة من السكان. واذا ما قورن هذا بالولايات المتحدة، فهو يعني اقتلاع ٤٠ مليون شخص من بيوت جيدة ونقلهم الى بيوت رديئة... لكنه القانون.

مكتب الأمن القومي

على رغم ضروب الحرمان التي جاءت عن طريق سياسة التمييز العنصري، الا أن مواطني جنوب افريقيا السود لم يفقدوا جرأتهم. وكانوا يحلمون بقيامة يصبحون معها أحراراً من جديد، علماً أنه يجب تمييز طبيعة هذا الحلم بعد العام ١٩٧٥ (الذي حصلت فيه أعمال الشغب في سوويتو) وقبله. ويمكن إبراز هذا التغيير الحاسم عبر المقارنة بين حياة شخصين من منطقة فريمير، هما دانيال نكسومالو، حفيد ميكا الذي خدم آل فان دورن سنوات طويلة، وماتيو ماغوبين الذي عمل والده في مزرعة مجاورة.

أظهر دانيال نكسومالو في طفولته وعداً بمستقبل باهر. وأرسل باكراً

الى مدرسة السود في فورت هير التي أدارها مدرسون سود كانوا يطمحون الى تحقيق يقظة بين شعبهم. وابتكر كل منهم طريقة كلام يخاطب بها طلابه الاذكياء: "الشرطة تمنعني من الاستمرار في كلامي، ولكن اسألوا أنفسكم اذا كان نابوليون قضى على الطموح القومي في أي من البلدان التي احتلها الى حين". وهكذا أدرك الطلاب النجباء في فورت هير أنّ ما حدث في أجزاء اخرى من العالم يمكن أن يحدث في جنوب افريقيا.

واكتسب دانيال نكسومالو من دراسته مبدأين قررا خط حياته: هناك واجب لمعرفة ما يحدث للسّود في أماكن اخرى من العالم. لكنّ هذا يجب أن يحدث من غير أن يثير انتباه مكتب الأمن القومي المعروف باسم "بوس". وكان المبدأ الاول أدعى الى التنفيذ من الثاني. فكلما ازدادت معرفته بافريقيا واوروبا، كان يدنو أكثر الى نقطة الخطر.

ولم يكن من السهل أن يبقى باحث أسود ملتزم بعيداً عن أنظار "بوس". وحين أنهى دانيال نكسومالو دراسته في فورت هير، كان اسمه حُفظ في سجلات "بوس" في أربع مناسبات:

١ – في تقرير قدمه أحد الجواسيس عن تجمّع طالبي، جاء أنّ نكسومالو ألقى خطاباً هادفاً حول السكان السود في البرازيل، وضمنه مقارنات بالحال في جنوب افريقيا.

٢ – في مؤتمر يقلد الامم المتحدة، أسند الى نكسومالو دور اندريه غروميكو، وزير الخارجية السوفياتي. وهو لم يسعَ الى تمثيل ذلك الدّور، لكنه قبله لملء مركز المندوب الروسي.

٣ – في مباراة كريكيت جرت في بورت اليزابيث، لاحظ أعوان "بوس" أنّ نكسومالو هتف ليس لفريق جنوب افريقيا بل لفريق انكلترا.

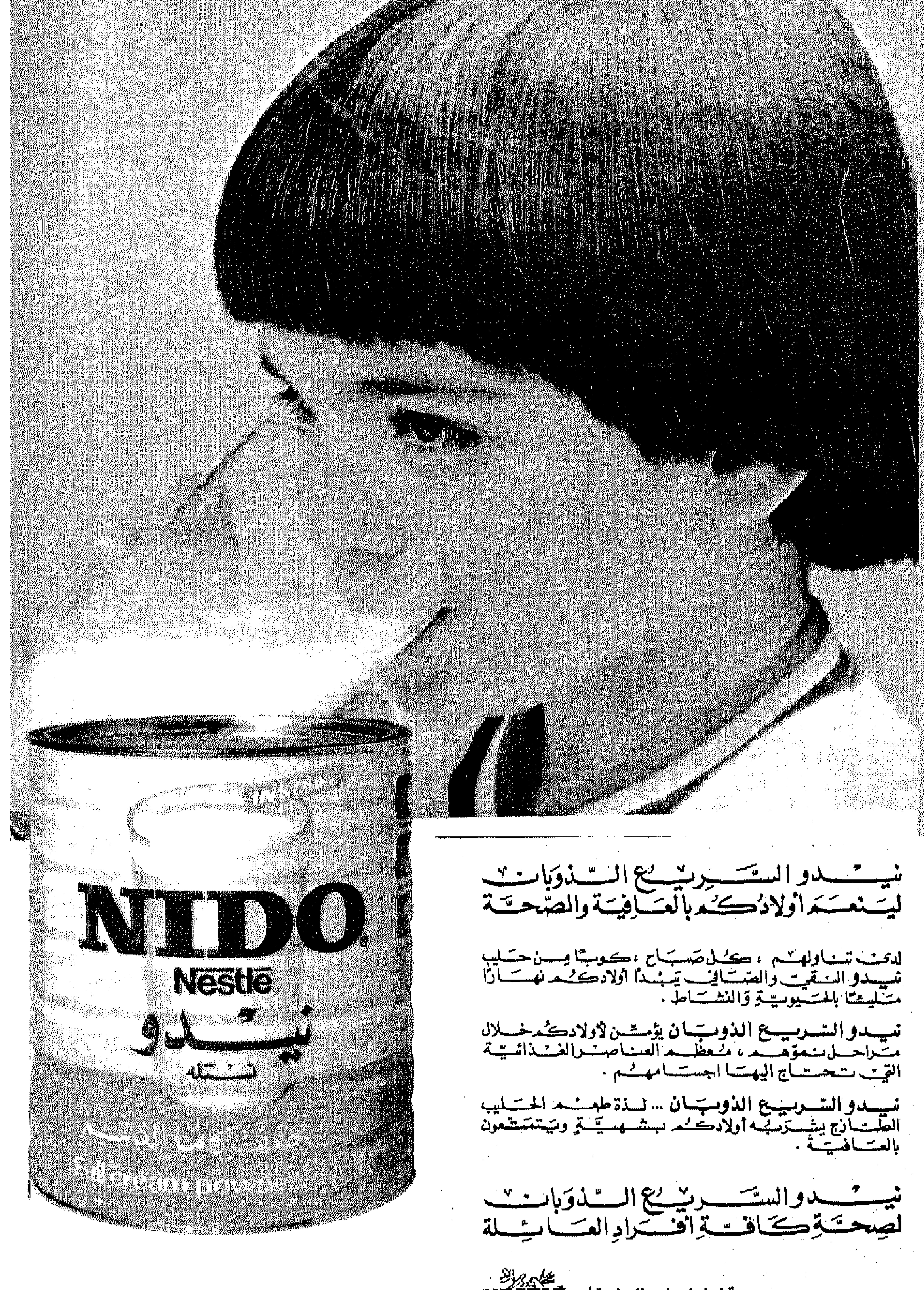
٤ – في مناسبات عدة، سُمع يغني نشيد الحرية الشائع في صفوف الطلاب، وذلك "بحماسة تتجاوز المطلوب".

وبدا واضحاً جداً أن المتاعب كانت تقف لدانيال نكسومالو بالمرصاد. وحين تقدم بطلب الى جامعة ويتووترزراند للدراسات العليا، عُهد به الى استاذ أبيض استدعاه يوماً الى مكتبه وصاح في وجهه: "أيها الاحمق! كيف تمكنك ممارسة أيّ نفوذ اذا كنت في السجن؟ انّ مهمتك هي أن تتعلم، ثمّ تعلم الآخرين".

وبعد نيله درجة الدكتوراه باجتهاد بالغ، أصبح نكسومالو رجلا مثقفاً يحدوه تصميم جارف على تحقيق تغيير جذري في بلاده من غير الوقوع في شرك "بوس". وفي السنة نفسها تخرج آخرون في جامعات مثل هارفارد واوكسفورد، حملوا أنفسهم تبعات جسيمة.

في تلك الأثناء كان ماتيو ماغوبين في مطلع عهده الدراسي، لكنه لم يبشر بمستقبل زاهر. فهو كان فتى ممتلىء الجسم، غليظ العنق، مقاوماً للنظام. وكان ممكناً أن يترك المدرسة وهو في الرابعة عشرة لو لم يكن والده، الذي يعرف آل نكسومالو، طلب من دانيال، وهو يحضر شهادة الدكتوراه، أن يتكلم مع ابنه.

وبتشجيع من دانيال، أكمل ماغوبين دراسته الثانوية ودخل جامعة زولولاند، وهي مؤسسة سوداء كان



NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
حليب كامل الدسم
Full cream powder
نيدو السريع الذوبان
لينعم أولادكم بالعافية والصحة
لدى تناولهم، كل صباح، كوبًا من حليب نيدو النقي والصافي يبدأ أولادكم نهارًا مليئًا بالحيوية والنشاط.
نيدو السريع الذوبان يؤمن لأولادكم خلال مراحل نموهم، معظم العناصر الغذائية التي تحتاج اليها اجسامهم.
نيدو السريع الذوبان ... لذة طعم الحليب الطازج يشربه أولادكم بشهية ويتمتعون بالعافية.
نيدو السريع الذوبان
لصحة كافة أفراد العائلة
تضمنه نستله
NESTLÉ

نكسومالو استاذاً فيها ٠ لكنّ ماغوبين كان يفضل على دروسه معشر الطلاب الثوريين الذين اعتادوا اللقاء حول طاولات المطعم٠ وأوقعه اشتراكه معهم في حبال "بوس"٠ وبدأت المشكلة خلال رحلة في القطار الى دوربان، حين قاد ماتيو مجموعة من الطلاب الصاخبين الذين أنشدوا مختارات من أغانٍ ثورية:

ثمة شمس في الشرق
تعلو علواً،
ثمة قمر في الغرب
يسقط سقوطاً٠
اني أتبع الشمس
مهما بلغت حدتها٠
ها هو القمر يسقط في ظلام الليل٠
مباركةٌ أنتِ أيتها الشمس!

وقبل نهاية الفصل الثاني قبضت شرطة "بوس" السرية على ماغوبين وأحالته على مركز للاستجواب في بلدة هملسدورب النائية حيث أُجريت سلسلة من التحقيقات الشائنة في إشراف كونراد كراوس، ابن بيت كراوس، الذي كان مصمماً على سحْق أقل بادرة عصيان أسود٠

وما أن أُغلق الباب بعد دخول ماغوبين حتى قال كراوس لمعاونه الرقيب: "احمله الى هنا"٠ ورفع الرقيب يده اليمنى وانهال بضربة قوية على ظهر ماغوبين دفعته الى الأمام٠ وبينما كان الثائر الأسْوَد يهوي على طاولة كراوس، ألقمه هذا ضربة من قبضة يده اليمنى سحقت وجهه٠ وسقط ماغوبين أرضاً، فوقف كراوس ومعاونه فوقه يوسعانه نخساً ورفساً حتى أُغمي عليه٠

إن التحقيقات المتعلقة بشؤون الأمن، في أي جزء من جنوب افريقيا، مسألة تكتسي طابعاً مهيباً٠ فخلال سنوات مات نحو خمسين رجلا قيل انهم سقطوا عن غير عمد من الطبقة الثامنة في بناية أو شنقوا أنفسهم بملاءات الأسرة٠ لكن التحقيق في هملسدورب كان ضرباً من الفن ابتُعد فيه عن أخطاء من هذا النوع٠ وبعدما استعاد ماغوبين وعيه، وجد الرقيب يواجهه بمنخس كهربائي٠ وقال له: "اخلع ثيابك"٠

وأظهر بعض تردد جعل الرقيب يستدعي معاونَين جرّدا ماتيو من ملابسه٠ ووقف عارياً ، فوجهوا المنخس الى أعضائه التناسلية وراحوا يراقبونه بارتياح وهو يقفز لتجنّب العذاب٠

"شمس في الشرق"

ظلّ ماغوبين يُرفَس ويُنْخَس ويعذّب طوال الأيام الثلاثة اللاحقة٠ وأُطعم وسُقي وسُمح له بالخروج الى المرحاض كلما طلب ذلك، لكن تعذيبه لم ينقطع٠ وراح الضباط يغنون نشيد الحرية:

"ثمة شمس في الشرق،
تعلو علواً"٠

وسألوه: "ماذا تعني بالشمس في الشرق"؟

وكانوا ينهالون عليه بالضرب بعد كل إجابة٠

وفي اليوم السابع وُجهت اليه التهمة الرئيسية الثانية: "يقول الناس انك أحد العاملين الناشطين لقضية السّود"٠

ــ أجل، إني أعمل من أجل نصرة السود٠ (لكمة على فكه)٠

"انك واحد من البانتو: كفيريّ أبله لا سلطان له على الاطلاق"٠

ـ نعم، أيها البوير، انني افريقي.
(ضربة على فمه).

لم تكن "بوس" من القسوة بحيث تصمم عملية اغتيال. وكل ما رمت اليه كان التهويل على مثيري الشغب. وكان الخطر آتياً من أن المتهم الأسود يخسر حريته بعد تسعة أيام أو عشرة مليئة بالتحقيق معه. ويأتي تقرير المحكمة كالآتي: "المتهم الرقم ٥١: مات وهو يحاول الهرب".

ولم يكن هذا المصير بعيداً عن ماغوبين إلا بفضل رجل خارج السجن لم يكن يعرف ماغوبين على الاطلاق. كان ذلك الرجل اندريه مالان، وهو أبيض في التاسعة والعشرين من عمره عمل مراسلا لصحيفة "الغازيت" التي تصدر في دوربان. ويوم اعتقال ماغوبين، دخل مكتب مالان رجلان أسودان يحفزهما هاجس بأن ماغوبين هو مثال الشاب الأسود الذي يكشف عن عناد يحمل كراوس على نسيان التعليمات القائلة بعدم التمادي في العنف. وحذر الرجلانّ مالان بقولهما: "راقب ما يحصل".

وعلى أثر تلك الزيارة بدأ مالان سلسلة مقالات حول اعتقال ماغوبين، مطالباً الشرطة باصدار تقارير عن حاله الصحية.

وكان في جنوب افريقيا قانون يقول بأن في إمكان "بوس" اقتحام مركز أي كاتب، في أي وقت ومن دون تبرير. فاذا وُجدت أي ملاحظات أو مواد أو رسوم من شأنها ان تستعمل لكتابة مقال قد يسيء الى الحكومة، حق للسلطات اعتقال الكاتب أجلا غير محدود ومن غير تهمة محدّدَة.

وذات صباح اقتحمت جماعة مسلحة من "بوس" شقة مالان. وكان هذا أتلف معظم أوراقه، لكنهم وجدوا تقريراً واحداً نشره مجلس الكنائس العالمي في جنيف، وهو منظّمة مناوئة للتمييز العنصري. ووجدوا في هذا التقرير مسوّغاً لاقتياد مالان الى السجن.

وكان في وسع الشرطة الاستمرار في تحرياتها لحياة مالان ومعتقداته، لكن عنصراً جديداً برز. ففي مزرعة قريبة من فريمير كان يعيش شاب أسود ثائر اسمه جوناثان نكسومالو، وهو شقيق دانيال. وظلّ جوناثان يتابع أخبار اعتقال ماغوبين في الصحف حتى جاء يوم استنتج أن ماغوبين كان على وشك ان يُقتَل. وجمع أربعة من أصدقائه قائلا لهم: "كم رجلا يلزم لانقاذ ماغوبين ثم الهرب الى موزامبيق؟"

وعاد دانيال الى البيت في العطلة الدراسية. وكانت الجماعة تريد نصيحته، وأرسلت اناساً يستدعونه. ولدى وقوفه في باب الغرفة الصغيرة حيث اجتمعوا، أدرك أن خطوة واحدة داخل الغرفة تجعله عضواً في حركة ثورية مع امكان رميه في السجن مدى الحياة أو قتله. لكنه دخل الغرفة.

وقال: "أتمنى أن يمكنكم تحقيق ذلك من غير أسلحة".

فأجاب جوناثان: "هذا عام البندقية. واذا بلغنا موزامبيق، فماذا ينبغي فعله في رأيك؟"

وشعر الاستاذ نكسومالو بأنه هَرِم وغريب عن ذلك المكان. وكالعديد من المدرّسين، كان تلقى إنذاراً بأن تعليمه يؤدي الى نتائج غير مرغوبة، لكنه قبل التحدي بعمق.

"عند بلوغكم موزامبيق، اتحدوا. ولا تتخذوا أي خطوة حتى يصير في إمكانكم اعتماد النجدة من جميع الحدود: ناميبيا، زيمبابوي، بوتسوانا، موزامبيق. ثم تحركوا ببراعة وحذر: خطوة الى الأمام وأخرى الى الوراء. وفي عشر سنين - بعد أن يأتيكم العون من روسيا والمانيا الشرقية وكوبا - سينهار الطاغوت".

وذهب الرجال الخمسة الى هملسدورب، متخذين طرقاً مختلفة. وهناك تلاقوا وساروا بعزم الى مركز الشرطة واحتلوا مدخله، ثم أسرعوا الى الداخل مفتشين الغرف بحثاً عن ماغوبين حتى وجدوه.

وسألهم من خلال شفتين متورمتين: "ماذا يحدث؟"

- هيا بنا الى موزامبيق!

وانطلقوا خارج الثكنة من غير حاجة الى اطلاق رصاصة واحدة، وأخفوا مسدساتهم واتجهوا نحو منفاهم الاختياري.

الفصل الأخير

من أبهج الأيام في حياة دتليف فان دورن يوم ١٦ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٦، الذي دُعي فيه الى إلقاء الخطاب الرئيسي في احتفالات "يوم الميثاق"، وذلك في المجمّع السكني الجديد الذي أُقيم في اشرافه فوق بلدة سوفياتاون السوداء بعد إزالتها بالجرافات. وقد أُطلق على المكان اسم "تريومف" (النصر)، واحتلته عائلات بيضاء حافظت على نظافة بيوتها وتألّق الأزهار في حدائقها.

وجاء خطاب دتليف، من نواح عدة، تلخيصاً لرأيه في مستقبل قومه. وهذه مقاطع مهمة منه:

"إياكم أن تنسوا أن هذه الأرض لنا نحن الافريقانيين الذين دفعنا ثمنها بدمنا وحفظناها بايماننا. ان مؤسس هذه الأمة، جان فان ريبيك، عندما وطىء هذه البلاد للمرة الاولى عام ١٦٥٢، وجدها خالية من الخوشا والزولو الذين لم يكونوا عبروا غرب



ليمبوبو بعد. أما وقد أصبحوا هنا، فواجبنا أن نرعاهم وننظم شؤونهم ونحكمهم.

"ولكي نصون ما أعطانا الله في عهده معنا، خضنا معارك كثيرة وربحناها. وسنبقى دائماً على استعداد للذهاب من جديد الى معسكراتنا الدفاعية المحمية بسياج من عربات رداً لأي اعتداء علينا. ان الدفاع عن أنفسنا واجب لأن الله وضعنا هنا كي نعمل أعماله.

"أبنائي وبناتي! كونوا مستعدين جسدياً وروحياً لصد هجمات اعدائنا. صونوا هويتكم. لا تسمحوا للانظمة الارهابية بأن تقوم على هذا التراب: لا دعاية شيوعية، لا ضعف ليبرالي، لا مطارنة انكليكان ينشرون الاكاذيب. ومتى حاربتم فاعرفوا أنكم تنفذون ارادة الله الذي قضى بأن تكونوا هنا. هذه هي ساعة النصر الافريقاني".

وما أن نزل دتليف عن المنصة حتى أحس بألم في صدره. وأخذ يمشي مترنحاً حتى بلغ مقعده وجلس عليه. وما لبثت الآلام أن هاجمته بعنف مرة اخرى، مصحوبة بثقل في صدره أدرك أنه أمر خطير. وحُمل سريعاً الى جناح خاص في مستشفى جوهانسبورغ، واستُدعيت عائلته من فريمير.

وكعادة المتقدمين في السن، مدّ دتليف يده المرتجفة الى حفيدته سوزانا ذات الشعر التبني الشاحب – وقد أُطلق عليها اسم شقيقته التي قُتلت في كريسيبيسمير – وتمتم: "اقتربي أكثر يا ساني". وحين قبل يدها – وهو أمر غريب جداً من جانبه – أدرك الآخرون أن موته بات وشيكاً.

وقال لها دتليف: "ساني، يجب ان تفعلي دائماً، ما هو صواب لبلادك". وقد كان المبدأ الذي انتهجه لحياته العمل الشريف والفعل العادل. وكان على قناعة بأن التشكيك في مبادىء الرجال ذوي الارادة الصالحة يشكل خطراً على الوطن.

وبعد انقضاء العصر أخذت تعبر مخيلته صُور الاعداء الذين هددوا أرضه. وتلا طلبة سريعة من اللعنات ختمها بذلك الاسم المشؤوم: "كريسيبيسمير"! ومد يده مرة اخرى نحو حفيدته. وعندما رأى وجهها المشرق، قال بصوت خافت: "ساني، اياك ان تنسي ما فعلوه بنا في كريسيبيسمير".

ونهض على ذراعه وأخذ يصيح: "نسقوا العربات بشكل دائرة! ساني، قولي للسائقين أن ينطلقوا..." وسقط الى الوراء، لافظاً أنفاسه الاخيرة وهو يقول: "نبهوا أبناءكم... كل شخص يجب ان يبقى في المكان المعدّ له".

■ جيمس ميتشنر

في العدد المقبل

نجمة الحرية

الانصاف انواع

أن يكون الحق كله الى جانبك نصف الوقت خير من ان يكون نصف الحق الى جانبك كل الوقت.

م.ف.



OMEGA

